❁(فهرست الجزء الاول من فتوح الشام للعلامة الواقدى)❁

صحيفه

صحيفه

هذا الجزء الاول من فتوح الشام للشيخ
الامام العالم العلامة الحبر البحر
الفهامة سيدى محمد بن
عمر الواقدى رحمه
الله تعالى
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * قال الامام الواقدى رحمه الله آمين * حدثنى أبو بكر محمد بن الحسن بن سفيان بن نوفل بن محمد بن ابراهيم التيمى ومحمد بن عبد الله الانصارى وأبو سعيد مولى هشام ومالك بن أبى الحسن واسماعيل مولى الزبير ومازن بن عوف من بنى النجار كل حدث عن فتوح الشام بما كان قالوا جميعا انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقتل فى خلافته مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وقاتل بنى حنيفة وأهل الردة وأطاعته العرب فعزم أن يبعث جيشه الى الشام وصرف وجهه لقتال الروم فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقام فيهم خطيبا فحمد الله عز وجل وقال يا أيها الناس رحمكم الله تعالى اعلموا أن الله فضلكم بالاسلام وجعلكم من أمة محمد عليه السلام وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم الله نصرا مبينا وقال فيكم اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول ان يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه واختار ماله لديه ألا وانى عازم أن أوجه ابطال المسلمين الى الشام بأهليهم ومالهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انبأنى بذلك قبل موته وقال زويت لى الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى مازوى لى منها فما قولكم فى ذلك فقالوا ياخليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك فقال

تعالى

تعالى يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ففرح أبو بكر رضى الله عنه ونزل عن المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن واهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة وهى بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت انى اوجهكم الى بلاد الشام لتأخذوها من ايدى الكفار والطغاة فمن عول منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله الآية ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما مرت الايام حتى قدم انس رضى الله عنه يبشره بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد الا وبادر الى طاعة الله ورسوله وأجابوا دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد النضيد وقد اقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال واى رجال وقد اجابوك شعثا غبرا وهم ابطال اليمن وشجعانها وقد ساروا اليك بالذرارى والاموال والنساء والاطفال وكأنك بهم وقد اشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم قال فسر ابو بكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما واقام يومه ذلك حتى اذا كان من الغد اقبلوا الى الصديق رضى الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لاهل المدينة قال فأخبروه فركب المسلمون من اهل المدينة وغيرهم واظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الالوية المحمدية فما كان الا قليل حتى اشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قوم فى اثر قوم وقبيلة فى اثر قبيلة فكان اول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وامامهم ذو الكلاع الحميرى رضى الله عنه فلما قرب من الصديق رضى الله عنه احب ان يعرفه بمكانه وقومه واشار بالسلام وجعل ينشد ويقول

اتتك حمير بالاهلين والولد ❁ اهل السوابق والعالون بالرتب
اسد غطارفة شوس عمالقة ❁ يردوا الكمات غدا فى الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا ❁ وذو الكلاع دعا فى الاهل والنسب
دمشق لى دون كل الناس اجمعهم ❁ وساكنيها سأهويهم الى العطب

قال فتبسم ابو بكر الصديق رضى الله عنه من قوله ثم قال لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه يا ابا الحسن اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل اولادها فابشر بنصر الله على اهل الشرك اجمعين فقال الامام على صدقت وانا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس رضى الله عنه وسارت حمير بكتائبها واموالها واقبلت من بعدها كتائب مذحج اهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وامامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادى رضى الله عنه فلما وصل الى الصديق رضى الله عنه جعل يقول صلوا على طه الرسول

اتتك كتائب منا سراعا ❊ ذوو التيجان اعنى من مرادى
فقدمنا أمامك كى ترانا ❊ نبيد القوم بالسيف النجاد

قال فجزاه ابو بكر رضى الله عنه خيرا وتقدم بكتائبه ومواليه وتقدمت من بعده قبائل طى يقدمها حارث بن مسعد الطائى رضى الله عنه فلما وصل هم ان يترجل فاقسم عليه ابو بكر رضى الله عنه بالله تعالى ان لا تفعل فدنا منه فصافحه وسلم عليه واقبلت الازد فى جموع كثيرة يقدمها جندب بن عمرو الدوسى رضى الله عنه جاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير ميسرة ابن مسروق العبسى رضى الله عنه واقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم غشم بن اسلم الكنانى وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم واموالهم فلما نظر ابو بكر رضى الله عنه الى نصرتهم سر بذلك وشكر الله تعالى وانزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبتها واستمروا فأضر بهم المقام من قلة الزاد وعاف الخيل وجدوبة الارض فاجتمع اكابرهم واجتمعوا عند الصديق رضى الله عنه وقالوا يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بأمر فأسرعنا اليك ولنا رغبة فى الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من اهبتنا والمقام قد اضر بنا لان بلدك ليست بلد جيش ولا حافر ولا عيش والعسكر نازل فان كنت قد بدلت فيما عزمت عليه فأمرنا بالرجوع الى بلادنا واقبلوا الجميع وخاطبوه بذلك فلما فرغوا من كلامهم قال ابو بكر رضى الله عنه يا اهل اليمن ومن حضر من غيرهم اما والله ما اريد لكم الاضرار وانما اردنا تكاملكم قالوا انه لم يبق من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى (قال المؤلف رحمه الله تعالى) لقد بلغنى ان ابا بكر رضى الله عنه قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء فى الناس وكبروا بأجمعهم فرحا لخروجهم واجابتهم الجبال لدوى اصواتهم وعلا ابو بكر على رابية حتى اشرف على الجيش فنظر اليهم قد ملئوا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم انزل عليهم الصبر وايدهم ولا تسلمهم الى عدوهم انك على كل شئ قدير وكان اول من دعاه ابو بكر يزيد بن ابى سفيان وعقد له راية وامره على الف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بنى عامر بن لؤى يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا فى الحجاز فعقد له راية وامره على الف فارس ثم اقبل ابو بكر على يزيد بن ابى سفيان وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوى العلا والمفاخر وقد علمت صولته وقد ضممته اليك وامرتك عليه فاجعله فى مقدمك وشاوره فى امرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة واسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن ابى سفيان وربيعة بن عامر واقبلا بقومهما الى ابى بكر رضى الله عنه فأقبل يمشى مع القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله الناجى من غضب الله من رضيت عنه لا نركب على ظهور خيولنا وانت تمشى فاما ان تركب واما ان تنزل فقال ما انا براكب وما انتم بنازلين وسار الى ان وصل الى ثنية الوداع فوقف هناك فتقدم اليه يزيد فقال يا خليفة رسول الله اوصنا فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على اصحابك فى مسيرك ولا تغضب على قومك

ولا

ولاعلى أصحابك وشاورهم فى الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوّهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم فى الصوامع رهبان يزعمون انهم ترهبوا فى الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا أوساط رؤسهم حتى كانها أناحيض الغطاء فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله ثم عانقه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال يا عامر اظهر شجاعتك على بنى الاصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم ورجع أبو بكر رضى الله عنه بمن معه الى المدينة قال فجدّوا القوم فى السير فقال ربيعة بن عامر ما هذا السير يا يزيد وقد أمرك أبو بكر أن ترفق بالناس فى سيرك فقال يزيد يا عامر ان أبا بكر رضى الله عنه سيعقد العقود ويرسل الجيوش فأردت أن أسبق الناس الى الشام فلعلنا أن نفتح فتحا قبل تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك ثلاث خصال رضى الله عز وجل ورضى خليفتنا وغنيمة نأخذها فقال ربيعة فسر الآن ولا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم قال فأخذ القوم فى السير على وادى القرى ليخرجوا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق قال واتصل الخبر بالملك هرقل من قوم من عرب اليمن المتنصرة كانوا فى المدينة فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته فى عسكره وقال لهم يا بنى الاصفران دولتكم قد عزمت على الانهزام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة التى أمركم بها الآباء والاجداد والقسوس والرهبان وتقيمون حدود الله الذى أمركم بها فى الانجيل لا جرم أنكم ما قصدتم ملكا من ملوك الوشاء ونازعكم على الشام الا وقهرتموه ولقد قصدكم كسرى بجنود فارس فانكسروا على أعقابهم والآن قد بدّلتم وغيرتم فظلمتم وجرتم وقد بعث اليكم ربكم قوما لم يكن فى الامم أضعف منهم عندنا وقد رماهم شدّة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذوا ملكنا من أيدينا ويخرجونا من بلادنا ثم انه حدّثهم بالذى سمعه من طرسيسه فقالوا أيها الملك نردهم عن مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كعبتهم قال فلما سمع مقالتهم وتبين اغتياظهم جرّد منهم ثمانية آلاف من أشجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم وهم البطاريق وأخوه جرجيس وصاحب شرطية ولوقا بن سمعان وصليب بن حنا صاحب غزة وكانت هذه الخمسة البطارقة يضرب بهم المثل فى الشجاعة والبراعة ثم تدرعوا وأظهروا زينتهم وصلت عليهم الامة صلاة النصر فقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروجهم بخور الكنائس ثم رشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك وساروا وامامهم العرب المتنصرة يدلوهم على الطريق (قال حدّثنى رفاعة عن ياسر بن الحصين) قال بلغنى ان أول من وصل الى تبوك

كان يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع والمسلمون قد هموا على الرحيل الى الشام اذ أقبل جيش الروم فلما رأوه المسلمون أخذوا على أنفسهم وا كمن ربيعة بأصحابه الالف وأقبل يزيد بأصحابه الالف ووعظهم وذكر الله تعالى وقال لهم اعلموا أن الله وعدكم النصر وأيدكم بالملائكة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الاصفر فكأنكم بجنود الشام واياكم أن تطمعوا العدو فيكم وانصروا الله ينصركم فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائع الروم قد أقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا انه ليس وراءهم أحد فبربر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن يريدوا أخذ بلادكم وانتصروا بالصليب فانه ينصركم ثم حملوا والتقاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير دانية ودار القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا انهم في قبضتهم اذ خرج عليهم ربيعة بن عامر رضي الله عنه بالكمين وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحملوا على الروم حملة صادقة فلما عاينت الروم من خرج عليهم انكسروا وألقى الله الرعب في قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة ابن عامر الى البطاليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم انه طاغية الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت في خاصرته وطلعت من الناحية الاخرى فلما نظرت الروم الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار (حدثنا سعد بن اوس عن السرية التي أنفذها أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر) قال قد اجتمعنا بعساكر الروم في أرض تبوك مع البطاليق وهزمهم الله تعالى على أيدينا وكان جملة من قتل منهم ألف ومائتين وقتل من المسلمين مائة وعشرين رجلا قال وان القوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو المقتول يا ويلكم بأي وجه ترجعون الى الملك وقد عملوا فينا عملا ذريعا وملؤا الارض من قتلانا ولا أرجع حتى آخذ بثار أخي أو الحق به قال واجتمع القوم وسمعوا منه ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى القتال فلما استقروا في خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح وقالوا له امض الى بني عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما يريدون منا قال فركب القداح جواده وأقبل نحو جيش المسلمين فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد قال لهم ان البطارقة يريدون رجالا من عقلائكم ليخاطبوهم فيما يريد الله به صلاح شأن الجميعين قال فأخبروا يزيد وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم فقال يزيد يا ربيعة انا أخاف عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون واني أوصيك والمسلمين أن تكون همتكم عندي فاذا رأيتم القوم غدروا بي فاحملوا عليهم ثم ركب جواده وسار حتى أتى جيش الروم

وقرب

وقرب من سرادق أميرهم فقال القدّاح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك فقال ربيعة
رضي الله عنه ما كنت بالذى أنتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادى لغيرى وما أنا
بنازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لاننا ما بعثنا اليكم بل أنتم بعثتم الينا
قال فأعلم القدّاح الروم بما تكلم به ربيعة بن عامر فقال بعضهم لبعض صدق العربى
فى قوله دعوه ينزل حيث أراد قال فنزل ربيعة على باب السرادق وجثى على ركبته ومسك
عنان جواده بيده وسلاحه معه فقال له جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم
عندنا وما كنا نحدّث أنفسنا انكم تغزونا وما الذى تريدون منا فقال ربيعة نريد منكم أن
تدخلوا فى ديننا وان تقولوا بقولنا وان أبيتم تعطون الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فالسيف
بيننا وبينكم فقال جرجيس فما منعكم أن تقصدوا الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم
فقال ربيعة بدأنا بكم لانكم أقرب الينا من الفرس وان الله تعالى أمرنا فى كتابه بذلك قال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال
جرجيس فهل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم وان نعطى كل رجل منكم دينارا من ذهب
وعشرة أوسق من الطعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزوا الينا ولا نغزوا اليكم
قال ربيعة لا سبيل على ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف أو أداء الجزية أو الاسلام قال
جرجيس أما ما ذكرت من دخولنا فى دينكم فلا سبيل الى ذلك ولو نهلك عن آخرنا لاننا لا نرى
لديننا بدلا وأما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك وما أنتم بأشهى منا الى القتال
والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب قال
جرجيس لاصحابه على بأنفس صقالية حتى يناظر هذا البدوى فى كلامه قال وكان الملك
هرقل قد بعث معهم قسيسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فأتى الحاجب به
فلما استقرّ به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن شريعتهم وعن دينهم
فقال القسيس يا أخا العرب انا نجد فى علمنا ان الله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا
قرشيا علامته ان الله تعالى يسرى به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم أسرى به وقد ذكر
ربنا فى كتابه العزيز بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القسيس انا نجد فى كتابنا ان ربنا
يفرض على هذا النبى وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان قال ربيعة نعم وقد رأينا
فى القرآن العظيم شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فقال القسيس انا وجدنا فى كتابنا ان من أحسن حسنة تكتب بعشرة قال
ربيعة نعم قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون قال القسيس انا نجد فى كتابنا ان الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة نعم
وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون عن النبى يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما قال فعجب القسيس من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء

القوم فقال بعض الحجاب ان هذا هو الذى قتل أخاك فلما سمع ذلك أزورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم ان يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه أسرع من البرق وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجندله صريعا قتيلا ووثب على فرسه فركبها فأسرعت البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر يزيد بن أبى سفيان الى ذلك فقال للمسلمين ان أعداء الله قد غدروا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش وعبرت الروم لقتال العرب فبينما هم فى القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم فى القتال حملوا على القوم حملة صادقة وحكمت سيوفهم فى قمم الروم (قال الواقدى) لقد بلغنى ان الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان العرب التقطوهم بسبق الخيل وبعد الشام من تبوك ثم ان المسلمين أخذوا أموالهم وخيامهم ثم سلموا على شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم فقالوا نبعث الجميع الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فاسترضوا بذلك وبعثوا الجميع الا العدة والسلاح وبعثوا مع الغنائم والاموال شدّاد بن أوس رضى الله عنه فى خمسمائة فارس ولما ان وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون أموال المشركين رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وسمع الصدّيق بقدوم شدّاد ابن أوس رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أقبلوا الى الصدّيق وأعلموه بالفتح بعد ان سلموا عليه فسجد لله عز وجل ثم كتب كتابا الى أهل مكة يستدعيهم الى الجهاد مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر الى أهل مكة وسائر المؤمنين فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم * أما بعد فانى قد استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين ان تسرعوا الى ما أمركم ربكم تبارك وتعالى اذ يقول الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية فيكم وأنتم أحق بها وأهلها وأول من صدّق وقام بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غنى حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدّها الله للمجاهدين والانصار فمن اتبع سبيلهم من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل قال وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله بن حذافة فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ فى أهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه قام سهل بن عمرو والحارث ابن هشام وعكرمة ابن أبى جهل وقالوا أجبنا داعى الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأما عكرمة فانه قال الى متى نبسط لانفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تاخرنا عن السبق فاللحاق اللحاق فلعلنا نكتب فى الحال ثم خرج عكرمة بن ابى جهل فى بنى مخزوم وخرج الحارث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة

خمسمائة رجل وكتب أبو بكر للطائف فخرجوا في اربعمائة رجل (قال الواقدي) لسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا وذلك ان سعيد بن خالد اتى الى الصديق رضى الله عنه فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك اردت ان تعقد لابي خالد راية ويكون قائدا من قواد جيشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين رجع من بعثتك وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ولم أزل مجيبا دعوتك في بعثتك فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانيا أبدا ولا عاجزا عن الحرب قال وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا أنجب من أبيه وأفرس فعقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وانه خير من ان يكون أميرا كره له ذلك واقبل على الصديق رضى الله عنه وقال يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عندما عقدتها على رغم الاعادي والله لتعلم انه ما يريد بالقول غيري والله ما تكلمت في أبيه قال الواقدي فثقل ذلك على أبي بكر وكره ان يعقد له وكره أيضا ان يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم ووثب قائما ودخل على عائشة رضى الله عنها وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من كلامه فقالت عائشة قد علمت ان عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين وما في قلب عمر بغض للمسلمين قال فقبل قول عائشة رضى الله عنها ثم دعا بأزد الدوسي وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك قال فردها وقال والله لا قاتلن تحت راية أبي بكر حيث كان فاني قد حبست نفسي في سبيل الله قال الواقدي ولقد بلغني ان الصديق حال تفكره فيمن يقدم طليعة الجيش قال فتقدم اليه سعد بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وهشام بن الحارث وقالوا اشهدوا أننا قد حبسنا أنفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال أبدا فقال أبو بكر اللهم بلغهم افضل ما يؤملون ثم ان أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب فانصرف الى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وانجده اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم قال فاقبل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال له يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على العدو وصبري على الحرب فلو كلمت الخليفة ان يجعلني أميرا على أبي عبيدة وقد رايت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واني أرجو ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعداء قال عمر رضى الله عنه ما كنت بالذي كذبك وما كنت بالذي أكلمه في ذلك فانه ليس على ابي عبيدة امير ولا ابو عبيدة عندنا افضل منزلة منك واقدم سابقة منك والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ابو عبيدة أمين الامة قال عمرو وما ينقص من منزلته اذا كنت واليا عليه قال عمر بن الخطاب ويلك يا عمرو انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو بن العاص ان الامر كما ذكرت ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم اهل مكة وتبعها بنوا كلاب وطي وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسيروا

مع أبي عبيدة بن الجراح وتقدّم عمرو بن العاص وسار قال ابو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص
في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه ويقول اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه
في خلواتك فانه يراك في عملك وقد رايت تقدمتي لك على من هو اقدم منك سابقة واقدم
حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم
في السير فان فيهم اهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا
سرت بجيشك فلا تسر الا في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل بل اسلك طريق
ايلة حتى تنتهي الى أرض فلسطين وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة فان كان ظافرا
بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا فأنفذ اليه جيشا في أثر جيش
وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد واياك ان تكون
وانيا لما ندبتك اليه واياك والوهن أن تقول ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به وقد
رايت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من
عدونا ثم رايت يوم حنين وما نصر الله عليهم واعلم يا عمرو ان معك المهاجرين والانصار من اهل
بدر فأكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان
فتقول أنا ولاني أبو بكر لاني خيرهم واياك وخدائع النفس وكن كاحدهم وشاورهم فيما تريد
من امرك والصلاة ثم الصلاة اذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه اهل العسكر
ثم ابرزوه قل لمن رغب في الصلاة معك فذلك افضل له ومن صلاها وحده اجزاته صلاته
واحذر من عدوك وامر اصحابك بالحرس ولتكن انت بعد ذلك مطلعا عليهم واطل الجلوس
بالليل على اصحابك واقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف استار الناس واتق الله اذا لاقيت
العدو واذا وعظت اصحابك فاوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام ينفرد الى الله
تعالى فيما يعمله وما يفعله في رعيته واني قد وليتك على ما قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة
على حميتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك
طلائك فيكونون امامك وخلف على الناس من ترضاه واذا رايت عدوك فاصبر ولا تتأخر
فيكون ذلك منك فخرا والزم اصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان
ذلك يورث العداوة بينهم واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من
الائمة الممدوحة في القرآن اذ يقول الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم
فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين قال فكان أبو بكر رضي الله عنه
يوصي عمرو بن العاص وأبو عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقاتلوا
أعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فان الله ناصر من ينصره قال فسلم المسلمون عليه وودعوه
وساروا في تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون أخذ فلسطين فلما كان بعدهم بيوم واحد
عقد العقود والرايات الى أبي عبيدة بن الجراح وأمره بأن يقصد بمن معه أرض الجابية
وقال يا أمين الامة قد سمعت ما وصيت به عمرو بن العاص وودعوه المسلمون فلما عاد أبو بكر

والمسلمون

والمسلمون دعا بخالد بن الوليد وعقد له راية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم وأمره على
لخم وجزام وضم له جيش الزحف وكانوا شجعانا ما منهم الا من شهد الوقائع مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال له يا أبا سليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به أرض العراق وفارس
وارجو الله ان ينصركم ثم انه ودعه وسار خالد بن معه يطلب العراق قال حدثني ربيعة بن
قيس قال كنت في الجيش الذي وجهه ابو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين
وايلة وكان صاحب رايته سعد بن خالد قال و بعث ابو بكر مع كل جيش اميرا وهو يدعو لهم
بالنصر واخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان بن عفان
رضي الله عنه ما هذا الغم الذي نزل بك فقال اغتممت على جيوش المسلمين وارجو الله
ينصرهم على عدوهم فقال عثمان والله ما خرج جيش سررت به الا هذا الجيش الذي سار
الى الشام وهذا الذي اوصى الله نبيه به وليس في قوله خلف وانا سنظهر على الروم وفارس
ولكن ماندري متى يكون في هذا البعث اوغيره فقال عثمان اما هذا فلا ادري ولكن احسن
الظن بالله قال وبات الصديق فرأى في منامه كان عمرو بن العاص في وجهه طرحة هو
وأصحابه ثم قصد عمرو ارضا خضرة سهلة وفرجة فحمل على فرسه ثم اتبعه اصحابه فاذاهم
في ارض واسعة فنزلوا واستراحوا قال وانتبه ابو بكر من منامه فرحا بما رآى فقال عثمان يدل
على فتح الا انه يوشك ان يلقى عمرو في قتال المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها قال الواقدي
كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين
والقماش وما يكون في الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وابو بكر ينفذ الجيوش
وسمعوا كلام ابي بكر لعمرو بن العاص وهو يقول عليك بفلسطين وايلة قال فساروا
بالخبر الى الملك هرقل فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته وبطارقته واعلمهم بالحديث الذي جرى
وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت حذرتكم منه قديما وان أصحاب هذا النبي لا بد تملك
ما تحت سريري هذا وقد قرب الوعد وان خليفة محمد قد أنفذ لكم الجيوش وكانكم بهم وقد اتوكم
وقصدوا نحوكم فحذروا أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب
بلادكم وأموالكم قال فبكى القوم فقال لهم دعوا عنكم البكاء ثم قال له وزيره أيها الملك قد
اشتهينا أن تدعوا بعض من قدم بهذا الخبر عليك فأمر هرقل لبعض حجابه ان يأتي برجل
من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار فأتى برجل منهم فقال له الملك كم عهدك قال منذ
خمسة وعشرين يوما قال فمن المتولي عليهم قال له رجل يقال له ابو بكر الصديق وجه جيوشه
الى بلدك قال هل رأيت ابا بكر قال نعم وانه اخذ مني شملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه
وهو كواحد منهم وهو يمشي في ثوبين و يطوف بالاسواق و يدور على الناس يأخذ الحق
من القوي قال هرقل صفه لي قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق
ديني هو صاحب أحمد الذي كنا نجده في كتبنا انه يقوم بالامر من بعده ونجد في كتبنا ايضا
ان بعد هذا الرجل رجل آخر طويل كالاسد الوثاب يلوح على يديه الدمدمة والجلاء قال

فشهق المتنصر من قول هرقل وقال ان هذا الذى وصفته لى رأيته معه لا يفارقه قال هرقل
هذا الامر والله قد صح وقد دعوت الروم الى الرشد والصلاح فأبوا ان يطيعونى وان ملكى
سوف ينهدم ثم عقد صليبا من الجوهر واعطاه الى قائد جيوشه روبيس وقال له قد وليتك
على الجيوش فسير وامنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كثيرة الخير وهى عزنا وجاهنا
وتاجنا فتسلم روبيس الصليب وسار من يومه الى اجنادين واتبعه جيش الروم (قال الواقدى)
لقد بلغنى ان عمرو بن العاص توجه الى ايلية حتى وصل الى ارض فلسطين هو ومن معه قال
فلما نزل المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والانصار وشاورهم فى امرهم فبينما هم
فى المشورة اذ اقبل عليهم عدى بن عامر وكان من خيار المسلمين وكان كثيرا يتوجه بلاد الشام
وداس ارضهم وعرف مساكنها ومسالكها فلما اشرف على المؤمنين دار وابه واوقفوه بين
يدى عمرو بن العاص فقال له عمرو بن العاص ما الذى وراءك يا ابن عامر قال ورائى المتنصرة
وجنودها مثل النمل فقال له عمرو يا هذا لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم
فقال له فكم حررت القوم فقال أيها الامير انى قد علوت على شرف من الجبال عال فرايت
من الصلبان والرماح والاعلام ما قد ملأ الاجم وهو اعظم جبل بأرض فلسطين وهم زيادة
عن مائة ألف فارس وهذا ما عندى من الخبر قال فلما سمع عمرو ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم ثم اقبل على من حضره من كبار المسلمين وقال ايها الناس انا واياكم فى هذا
الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا
ومن عاش كان سعيدا فماذا انتم قائلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الراى فقالت
طائفة منهم ايها الامير ارجع بنا الى البرية حتى نكون فى بطن البيداء فانهم لا يقدرون
على فراق القرى والحصون فاذا جاءهم الخبر اننا توسطنا البرية يتفرق جمعهم وبعد ذلك
نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى فقال سهل بن عمرو ان هذه مشورة
رجل عاجز فقال رجل من المهاجرين لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع
الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الا خيرا وقد قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال سهل بن عمرو
اما انا لا رجعت عن قتال الكفرة ولا رددت سيفى عنهم فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع
ومن نكص على عقبيه فأنا وراءه بالمرصاد قال فلما سمع المسلمون وافقه على ذلك عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا احسنت يا ابا الفاروق قال ثم ان عمرو بن العاص
عقد راية واعطاها الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وضم اليه الف فارس فيهم رجال من الطائف
ومن ثقيف وامرهم بالمسير فسار عبد الله وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة القوم
قد لاحت فقال عبد الله بن عمر هذه غبرة عسكر واظنها طليعة القوم ثم وقف ووقف امامه
اصحابه فقال قوم من البادية اتركنا نرى ما هذه الغبرة فقال لا تتفرقوا من بعضكم حتى نرى
ما هى فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث

معهم روبيس بطريقا من اصحابه وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم لانهم لا بدّ لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال فأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما جهر وابها اجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر وكان أول من حمل عكرمة بن أبي جهل واتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالحملة وصاح فى رجاله وحمل المهاجرون والانصار معهم والتقى الجمعان وعمل السيف فى الفريقين قال عبد الله بن عمرو بينما أنا فى الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد وهو يركض يمينا وشمالا فقلت ان يكن لهذا الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع وهو مرعوب من الحرب فلما حملت عليه ومددت قناتى اليه نفر فرسه من الرمح فتقربت اليه وأوهمته انى أريد الانهزام ثم عطفت عليه وطعنته فوالله لقد خيل لى انى ضربت بسيفى حجرا وسمعت طنين السيف حتى حسبت ان سيفى انفصل واذا هو صريع ثم عطفت عليه وأخذت لامته فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون فى الضرب والقتال فلله در الضحاك والحارث بن هشام لقد قاتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين قال فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعبد الله بن عمر قال قائل منهم الله خبير بحسن زهده وعبادته وقال آخرون قد أصبنا بابن عمر فما كان يساوى هذا الفتح شعرة من رأسه قال عبد الله بن عمر وأنا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية فأعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الى وقالوا أين كنت فقلت اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا أفلح الله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله اياه ببركتك قال عبد الله وبوجوهكم ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وستمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ثم دعا بالاسرى واستنطق منهم بالعربية فما كان فيهم غير ثلاثة نفر من اقباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر أصحابهم فقالوا يا معشر العرب ان هذا روبيس قد أقبل فى مائة ألف فارس وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل الى ايلة وانه بعث بهذا البطريق طليعة وقد قتل وكأنكم به فقال عمرو ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم أعرض عليهم الاسلام فما أحد منهم أسلم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى يأخذ ثارهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح للمسلمين استعدّوا فانى أظن ان القوم سائرون فان أتوا الينا فهم فى شدّة وقوة وسنلقى منهم تعبا فى القتال وان سرنا اليهم نرجو من الله النصر والظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله الا خيرا قال أبو الدرداء وبتنا مكاننا فلما أصبح الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى أشرفت علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فلما أشرف

الجيش على الجيش وأقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل فى الميمنة الضحاك وفى الميسرة سعيد وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمرو فى القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرؤن القرآن وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا فى ثواب الله وجنته ثم انه جعل يصفهم ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو بن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤن القرآن والنور يلمع من نواصى خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع وعلم ان كل مامعه كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين وانكسرت حميته قال وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن خالد رضى الله عنه وهو أخو عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا أهل الشرك ثم حمل على الميمنة فألجأها الى الميسرة وحمل على الميسرة فألجأها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل ابطالا ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم قال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه قال فحزنت المسلمون على قتله حزنا عظيما وأكثرهم عمرو بن العاص وقال واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله عز وجل ثم قال يافتيان من يحمل معى هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرهما وانظر حال سعيد قال فأسرع بالاجابة ذو الكلاع الحميرى وعكرمة بن ابى جهل والضحاك والحارث بن هشام ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين قال عبد الله وكنا سبعين رجلا وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا لانهم جبال من حديد (قال الواقدى) رحمة الله عليه فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعضنا لبعض اجعوادوابهم فما هلا لهم غير ذلك قال فجعلنا دوابهم بالاسنة فتنكثوا فبعد انتكائهم تفرق بعضهم على بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يارب انصر امة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو الدرداء فلقد اشغلنى الحرب عن مناشدة الاشعار ولقد كان احدنا لا يدرى هو يضرب اخاه أو عدوه من كثرة الغثام قال فثبت المسلمون مع قلتهم وفوضوا أمرهم الى الله عز وجل وما كان احد من المسلمين يضرب الا وظهره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس فى الغثام اذ نظرت الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضرا اسنتها تلمع ومناد ينادى بالنصر ابشروا يا امة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتاكم الله بالنصر قال فما كان غير قليل اذ نظرت الى الروم منهزمين والمسلمون فى اعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم قال ابن عمر فقتلنا فى هذه الوقعة قريبا من خمسة عشر الف فارس واكثر ولم نزل فى آثارهم الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين لاسراعهم وراء العدو وقال عمر بن غياث فنظرت الى عمرو بن العاص والراية فى يده وقد ارفى القناة على عاتقه وهو يفركها بيده ويقول من يرد الناس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت

الكرب وقد عطفت راجعة كعطفة الام على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول هنيئا لهذه الوجوه التى تعبت فى رضاء الله تعالى أما كان لكم كفاية فى ان خولكم الله حتى اتبعتم العدو فقالوا انما اردنا الغنيمة بل القتال والجهاد قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عباد ونوفل بن دارم والاهب بن شداد والباقى من اليمن و وادى المدينة قال فاغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير وانت يا عمرو تأبى ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما امره ابو بكر الصديق رضى الله عنه فصلى مافاته كل صلاة بأذان واقامة قال ابن عمر ان كان صلى خلفه الا قليلا بل صلى الناس فى رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم الا القليل وبات الناس فلما اصبح عمرو اذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع الغنائم وان يخرجوا اخوانهم المؤمنين من الروم فجعلوا يلتقطوهم قال فأخرجوا مائة وثلاثين رجلا و وجدوا سعيد بن خالد فلما نظر عمرو الى ما نزل به بكى وقال رحمك الله فلقد نصحت بدين الله وأديت النصيحة ثم جعله فى جملة المسلمين وصلى عليهم وأمر بدفنهم وذلك قبل ان يخمس شيئا من الغنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى أمين الامة ❊ أما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وصلت الى أرض فلسطين ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس فى مائة الف فارس فمن الله بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر الف فارس وفتح الله على يدى فلسطين بعد ان قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا فان احتجت الى سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله و بركاته ودفع الكتاب الى ابى عامر الدوسى وامره ان يسير الى ابى عبيدة قال فأسرع ابو عامر بالكتاب فوجد ابا عبيدة وهو نازل بأرض الشام وهاجر بالدخول اليها غير انه امره كما امره ابو بكر قال فلما وصل ابو عامر قال له ابو عبيدة ما وراءك قال خير هذا كتاب من عمرو ابن العاص يخبرك بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه خر ساجدا فرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين رجال اخيارهم سعيد بن خالد قال ابو عامر فكان خالد والده جالسا فلما سمع بأن ولده قد قتل قال وا ابناه وجعل يبكيه حتى بكى المسلمون لبكائه ثم ان خالدا أسرع الى فرسه فركبها وعزم الى أرض فلسطين لينظر الى قبر ولده فقال ابو عبيدة كيف تسير وتدعنا فقال انما انظر قبر ولدى وأرجو الله ان يلحقنى به قال وكتب ابو عبيدة كتابا لعمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان ابو بكر أمرك ان تكون معنا فسر الينا وان كان أمرك بالثبات فى موضعك فاثبت والسلام عليك ورحمة الله و بركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع ابى عامر الى ان اتيا الى جيش عمرو بن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكى فوثب عمرو وصافح خالدا ورفع منزلته وعزاه فى ولده سعيد وعزاه المسلمون فقال خالد يا ايها الناس هل اروى سعيد رمحه وسيفه فى الكفار قالوا نعم فلقد قاتل وما قصر ولقد جاهد فى الدين ونصر فقال اورونى

قبره قال فأروه اياه فأقام على القبر وقال ياولدى رزقنى الله الصبر عليك والحقنى بك وانا لله
اليه راجعون والله ان مكننى الله لآخذن بثارك ياولدى عند الله احتسبتك ثم قال لعمرو بن
العاص انى أريد ان أسرى بسرية فى طلب القوم فلعل ان أجد فيهم فرصة أو غنيمة وأكون
قد أخذت بثار ولدى فقال عمرو ان الحرب امامك يا ابن الام فاذا رأيت الروم فلا تبق
عليهم فقال خالد والله لاسيرن اليهم ثم أخذ خالد اهبته للسير وعزم ان يسير وحده فركب
معه ثلثمائة فارس من فتيان حمير فساروا يومهم ذلك أجمع وأرادوا النزول فى الاودية ليعلقوا
على دوابهم ويسيروا فى ليلتهم اذ نظر خالد بن سعيد الى اشباح على ذروة جبل هناك عال منيع
فقال لاصحابه انى أرى اشباحا على ذروة هذا الجبل ونحن فى هذا الوادى ثم قال كونوا
فى أماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد بسيفه والتحف بازاره وقال اعلموا ان القوم ما علموا بنا
ولو نظروا الينا ما ثبتوا فى اماكنهم فمن منكم يبذل نفسه ويصنع كما أصنع قالوا كلنا لك قال فطافوا
فى الجبل حتى أشرفوا على القوم وهم فى اماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم فاسرع
اليهم المسلمون فقتلوا منهم ثلاثين وأسروا أربعة فسألهم خالد بن سعيد واذا هم من اقباط
الشام فسألهم عن حالهم فقالوا نحن من أهل هذا البقيع والجامعة وكفار القرية وقد عظم
علينا دخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا عظيما وقد هرب أكثرنا الى الحصون
والقلاع وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل لان ما فى الرستاق أحصن منه فعلونا عليه وأنتم
كبستونا قال خالد فما بلغكم عن جيش الروم قالوا باجناد وهذا لبطريق أقبل الينا ليأخذ الميرة
والعلوفة وقد جمعوا له الدواب والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون أن تلحقهم
خيل العرب وهذا خبر قومنا ولا شك انهم رحلوا من يومهم قال فلما سمع خالد بن سعيد
مقالاتهم قال غنيمة للمسلمين ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أى طريق
القوم ساروا قالوا هذا الطريق الذى أنتم عليها لانها أوسع الطرق كلها واما الميرة فانها مجموعة
من حول البلاد فلما سمع خالد كلامهم قال لهم اسلموا فقالوا والله ما نعرف الا دين الصليب ونحن
فلاحون قال فهم خالد بقتلهم فقال رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى ميرة القوم
فأجابوهم الى ذلك وساروا وهم يدلونهم الى تل عظيم قال فتدوا فقوا القوم وهم يحملون دوابهم
حول التل ومعهم سمائة لابس من القوم فلما نظر خالد الى ذلك قال لاصحابه اعلموا ان الله تعالى
قد وعدكم بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو امامكم فارغبوا فى ثواب
الله تعالى واسمعوا ما قال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص وها أنا أحمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبه ثم ان خالدا حمل وحمل أصحابه قال
فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين وصبرت الخيل لقتالنا ساعة
من النهار قال فبينما ذو الكلاع الحميرى يشجع أصحابه ويقول يا اهل حمير ابواب الجنة قد
فتحت والحور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم قد لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن زيه
قال فاستقبله وصرخ فيه أرعبه ثم قال يالثار ولدى سعيد وطعنه طعنة صادقة فجندله

صريعا

صبرنا كانه برج من حديد وما بقى أحد الا قتل من الروم قال فلما رأوا الروم ذلك ولوا الادبار
وركنوا الى الفرار وقتل منهم ثلثمائة وعشرون فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا
الاثقال والبغال والميرة وأخذ المسلمون الجميع بعون الله تعالى قال وأطلق سبيل
الفلاحين وعاد خالد ومن معه بالغنائم والميرة الى عمرو بن العاص ففرح بسلامتهم
وشكر فعلهم وكتب كتابا الى أبى بكر الصديق وذكر له ماجرى مع الروم وبعث الكتاب
مع أبى عامر الدوسى رضى الله عنه وأخذه وقدم به المدينة وأعطاه الى أبى بكر الصديق
رضى الله عنه فلما قراه على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
ثم ان أبا بكر استخبر عن أبى عبيدة فقال له عامر انه قد اشرف على اوائل الشام ولم يجسر على
الدخول اليها وانه سمع ان جيوش الملك قد اجتمعت من حول اجنادين امم لاتحصى وقد
خاف على المسلمين ان يتوسط بهم عدوهم فلما سمع أبو بكر ذلك علم ان ابا عبيدة بين العريكة
ودونه لا يصلح لقتال الروم وعول ان يكتب الى خالد بن الوليد يوليه على جيوش المسلمين وقتال
الروم قال واستشار المسلمين فى ذلك قالوا الرأى ماتراه وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم من عبد الله عتيق بن أبى قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله
الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وليتك على جيوش المسلمين وامرتك
بقتال الروم وان تسارع الى مرضات الله عز وجل وقتال اعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله
حق جهاده ثم كتب يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
الآية وقد جعلتك الامير على ابى عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكنانى
فركب على مطيته وتوجه الى العراق فراى خالدا رضى الله عنه قد اشرف على فتح القادسية
فدفع اليه الكتاب فلما قراه قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ارتحل ليلا واخذ طريقه عن اليمين وكتب كتابا الى ابى عبيدة يخبره بعزله وبسيره الى الشام
وقد ولانى ابو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى اقدم عليك والسلام وبعث
الكتاب مع عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكان احد ابطال المسلمين فأخذه وتوجه يطلب
الشام واما خالد لما وصل الى ارض السماوة قال ايها الناس ان هذه الارض لاتدخلوها
الا بالماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء عليكم قليل فكيف يكون الامر
فقال له رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه ايها الامير انى أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع
ارشدك الله بما نصنع وفقك الله للخير مولانا جل وعلا قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها
سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول
وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا يأخذون عشرة من الابل يشقون بطونهم ويأخذون ما يجدون
من الماء فى بطونها فيجعلونه فى حياض الادم فاذا برد سقوه للخيل واكلوا اللحم ولم يزالوا
كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلا ماء واشرف خالد ومن معه على
الهلاك فقال خالد لرافع بن عميرة يا رافع قد اشرفنا على الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء

فنزل عليه (قال الواقدى) وكان رافع رمدت عيناه فقال أيها الامير انا ارمد كما ترى ولكن اذا أشرفتم على أرض سهلة فأعلمونى قال فلما أشرفوا عليها أعلموا رافعا بذلك قال فرفع طرف عمامته عن عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس من ورائه الى ان اقبل على شجرة من الاراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا هنا قال فحفر العرب واذا الماء قد طلع كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه وعلى رافع خيرا ثم وردوا الماء وأسقوا خيلهم وابلهم ثم جدوا فى طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب بالماء قال فسقوهم فارتجعت قوتهم ثم لحقوا بالجيش وأراحوا أنفسهم ثم فى ثانى يوم جدوا فى المسير الى أن بقى بينهم وبين أركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك اذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وابل قد سدوا الفضاء والمستوى فاسرع المسلمون الى الحلة واذا براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود قال فتبينه المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل الذى أرسله خالد قال فأقبل خالد بن الوليد مسرعا حتى وقف عليه فلما رآه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب أسرك قال عامر أيها الملك الامير انى أشرفت على هؤلاء القوم فى هذه الحلة وقد أصابنى الحر والعطش فملت الى هذا الراعى ليسقينى من اللبن فوجدته يشرب خمرا فقلت له يا عدو الله تشرب الخمر وهى محرمة فقال لى يا مولاى انها ليست بخمر وانما هى ماء زلال فانزل كى تراه واستنشق فى الجفنة فان كانت خمرة فافعل ما بدا لك فلما سمعت كلامه انخت المطية ونزلت عن كورها وجلست على ركبتى فى الجفنة واذا أنا بالعبد قد دعانى بعصاة كانت الى جانبه وضربنى على رأسى فشجنى شجة موضحة فانقلبت على جانبى فاسرع العبد الى وشدنى كتافا وأوثقنى رباطا وقال لى أظنك من أصحاب محمد بن عبد الله ولست أدعك من بين يدى أو يقدم سيدى من عند الملك فقلت له ومن سيدك من العرب فقال القداح ابن واثلة وانى عند هذا العبد كلما شرب الخمر احضرنى كما ترى والقى على فضله من كاسه قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب ومال على العبد وضربه ضربة هائلة فتجندل صريعا ونهب المسلمون المال والاغنام والابل وقلعوا الحلة بما فيها واطلق عامرا وقال له أين رسالتى يا عامر فقال يا مولاى هى فى طرف عمامتى لم يعلم بها العبد فقال خالد انطلق بها يا عامر على بركة الله تعالى قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل بأركة وهى رأس الامانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فغار خالد عليها وأخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب القديمة والملاحم فلما رأى المسلمين وجيشهم انخطف لونه وقال اقترب الوقت وحق دينى فقال أهل اركة وكيف ذلك قال ان عندى ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تشرف من خيلهم هى الراية المنصورة وقد دنا هلاك الروم فانظروا ان كانت رايتهم سوداء واميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل فى وجهه أثر جدرى فهو صاحب جيشهم فى الشام وعلى

يديه يكون الفتح قال فنظر القوم واذا الراية على رأس خالد وهى كما قال حكيمهم قال واجتمعوا على بطريقهم وقالوا له أنت تعلم أن الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد قال كذا وكذا والذى وصفه لنا رأيناه عيناً ونرى من الرأى أن نعقد بيننا وبين العرب صلحاً ونأمن على حريمنا وأنفسنا فلما سمع ذلك بطريقهم قال أخرونى الى غد لارى من الرأى قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر أمره وكان عارفاً عاقلاً خبيراً بالامور وقال ان انا خالفتهم خفت ان يسلمونى للعرب وقد تحقق ان روبيس صار بجيش عظيم فهزموهم العرب ولم يزل يراود نفسه الى ان اصبح الصباح فدعا قومه وقال على ماذا عولتم قالوا عولنا على اننا نقيم الصلح بيننا وبين العرب فقال البطريق انا واحد منكم مهما فعلتم لا اخالفكم قال فخرج مشايخ اركة الى خالد وكلموه فى الصلح فأجابهم الى الصلح وألان الكلام لهم وتلقاهم بالرحب والسعة فسمع ذلك أهل السخنة وبلغ الخبر لاهل قدمة وكان الوالى عليهم بطريق اسمه كوكب فجمع رعيته وقال لهم بلغنى عن هؤلاء العرب انهم فتحوا اركة والسخنة وان قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد وهذا حصن مانع لا سبيل لاحد علينا ولكن نخاف على نخلنا وزرعنا وما يضرنا أن نصالح العرب فان كان قومنا هم الغالبين فسخنا صلحهم وان كان العرب ظافرين كنا آمنين قال ففرح قومه بذلك وهيئوا العلوفة والضيافة حتى خرج خالد رضى الله عنه من اركة ونزل عليهم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من الذهب وكتب لهم كتاباً بالصلح ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الى أبى عبيدة فلما قرأه تبسم وقال السمع والطاعة لله تعالى ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد وكان أبو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى فى أربعة ألف فارس قال فسار على فنائها وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند الملك وعند الروم اسمه روماس وكان قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان يجتمع اليه الروم من أقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون ألفاظ حكمته وكانت آهلة بالخلق عامرة بالناس وكان فيها ألف فارس وكانت العرب يقصدونهم ببضائعهم وتجاراتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان فى أيام الموسم ينصب البطريقهم كرسى ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ويستفيدون من علمه وحكمته فبينما هم قد اجتمعوا اليه واذا وقعت الضجة بقدوم شرحبيل ابن حسنة وعسكره فبادروا الى جواده فركبه وصاح فى قومه فأجابوه وقال لا تتحدثوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ثم سار حتى قرب من شرحبيل بن حسنة وجيشه ونادى يا معاشر المسلمين أنا روماس وانى أريد صاحبكم قال فخرج اليه شرحبيل فلما قرب منه قال البطريق من أنتم قال شرحبيل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى القرشى الهاشمى المبعوث فى التوراة والانجيل فقال روماس ما فعل الله به فقال شرحبيل قبضه الله اليه فقال البطريق فمن ولى الامر بعده قال عتيق بن أبى قحافة بن بكر بن تميم بن مرة فقال روماس وحق دينى لقد

أعلم بانكم على الحق ولا بدّ لكم أن تملكوا الشام والعراق وانا أشفق عليكم اذ أنتم في جمع يسير ونحن في جمع كثير ولكن ارجعوا الى بلادكم فانا لا نتعرض لكم واعلم يا أخا العرب ان أبا بكر هو صاحبي ورفيقي ولو كان حاضرا ما قاتلني فقال شرحبيل لو كان ولده أو ابن عمه لما عفا عنه الان يكون من أهل ملته وليس له من الامر شئ لانه مكلف وقد أمره الله أن يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو السيف فقال روماس وحق ما أعتقده من ديني لو كان الامر الى ما أقاتلكم لاني اعلم انكم على الحق وهؤلاء طواغية الروم وقوم مجتمعة واني أريد أن ارجع اليهم وأنظر ما عندهم فقال شرحبيل ارجع اليهم فلا بدّ لكم مما ذكرت قال فعاد روماس الى قومه وجمعهم وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية ان الذي كنتم تعتقدونه في كتبكم من الخروج من بلادكم وديار كم ونهب أموالكم قد قرب وهذا وقته وزمانه ولستم باعظم جيش من رويبس سار الى شرذمة من العرب بارض فلسطين فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ولقد بلغني ان رجلا منهم خرج من أرض السماوة صوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح اركة والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قريب يحضر اليكم والصواب ان تؤدوا الجزية عن يد الى هؤلاء العرب وينصرفون عنكم قال فلما سمع قومه ذلك غضبوا وشوشوا وهموا بقتله فقال روماس يا قوم انما أردت ان اختبركم واري حمية دينكم والآن دونكم والقوم وأنا في أولكم قال فرجعت الروم الى عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا الجنائب وتهيؤا للحملة فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ أصحابه وقال اعلموا رحمكم الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظل السيوف وأحب ما قرب الى الله قطرة دم في سبيل الله أو دمعة جرت في جوف الليل من خشية الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال عبد الله بن هدى واجتمع علينا العدو وطمعوا فينا وحملوا علينا في اثني عشر ألف فارس من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى ان توسطت الشمس في قبة الفلك وقد طمع العدو فينا فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده الى السماء وهو يقول يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال فوالله ما استتم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم وذلك ان القوم داروا بنا اذ رأينا غبرة قد أشرفت علينا من صوب حوران فلما قربت منا رأينا تحتها سوابق الخيل فلاحت لنا الاعلام الاسلامية والرايات المحمدية وقد سبق الينا فارسان أحدهما يقول ويزعق يا شرحبيل يا ابن حسنة أبشر بالنصر لدين الله أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد والآخر يزعق ويقول أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأشرفت العساكر من كل جانب قال وأشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائي قال حدثنا سالم بن عدي عن ورقا بن حسان العامري عن

ميسرة بن مسروق العبسى قال والله لقد خمدت أصوات الروم عند زعقة خالد رضى الله عنه وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد وسلم عليه فقال خالد يا شرحبيل أما علمت ان هذه مدينة الشام والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين قال كله بأمر أبى عبيدة فقال خالد أما أبو عبيدة فانه رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بمواقعها ثم أمر الناس بالراحة فنزلوا وارتاحوا من أزوارهم فلما كان فى اليوم الثانى زحفت جيوش بصرى على المسلمين فقال خالد ان الروم زحفوا اليكم لعلمهم بتعبنا وتعب خيولنا فاركبوا بارك الله فيكم واحملوا على بركة الله تعالى قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم للحرب فجعل فى الميمنة رافع بن عمير الطائى وجعل فى الميسرة ضرار ابن الازور وكان غلاما فاتكا فى الحرب وجعل على الدرك عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم قسم جيش الزحف فجعل على شطره المسيب بن نجية الفزارى وعلى الشطر الآخر مذعور ابن غانم الاشعرى وأمرهم أن يزفوا الخيل اذا حملت قال وبقى خالد فى الوسط وهو يعظ الناس ويوصيهم وقد عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من وسطها فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب الاحمر والياقوت فلما توسط الجمعين نادى بلسان عربى كانه بدوى يا معاشر العرب لا يبرز لى الا أميركم فأنا صاحب بصرى قال فخرج اليه خالد رضى الله عنه كالاسد الضرغام وقرب منه فقال له البطريق أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون أنى أميرهم ما دمت على طاعة الله ورسوله فان عصيته فلا امارة لى عليهم قال البطريق انى رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم وان الحق لا يخفى على ذى بصيرة واعلم انى قرأت الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت ان الله تعالى يبعث نبيا قرشيا واسمه محمد بن عبد الله قال خالد والله نبينا قال أنزل عليه الكتاب قال نعم القرآن قال روماس البطريق أحرم عليكم فيه الخمر قال خالد نعم من شربها حددناه ومن زنى جلدناه وان كان محصنا رجمناه قال أفرضت عليكم الصلوات قال نعم خمس صلوات فى اليوم والليلة قال أفرض عليكم الجهاد قال خالد ولولا ذلك ما جئنا كم نبغى قتالكم قال روماس والله انى لاعلم انكم على الحق وانى أحبكم وقد حذرت قومى منكم وانى خائف منكم فأبوا فقال خالد فقل أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يكون لك ما لنا وعليك ما علينا فقال انى أسلمت وأخاف أن يعجلوا هؤلاء بقتلى وسبى حريمى ولكن أنا أسير الى قومى وأرغبهم فلعل الله أن يهديهم فقال خالد ان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بينى وبينك خفت عليك ولكن احمل على حتى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فحمل بعضهم على بعض وأرى خالد الفريقين أبوابا من الحرب حتى أبهر روماس فقال لخالد شد على الحملة حتى يرى الديرجان فانى خائف عليك من بطريق بعث به الملك يقال له الديرجان فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شد على روماس الحملة حتى انه انهزم من بين يديه الى قومه فلما وصل الى قومه قال ما الذى رأيت من العرب قال ان العرب أجلاد ما لكم بقتالهم طاقة ولا بد لهم أن يملكوا

الشام وماتحت سريرى هذا فادخلوا تحت طاعتهم وكونوا مثل اركة والسخنة قال فلما سمعوا كلامه زجروه وأرادوا اقتله وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب فانصرف روماس وقال لعل الله ينصر خالدا ثم ان أهل بصرى ولوا عليهم الدبرجان وقالوا اذا فرغنا من المسلمين سرنا معك الى الملك ونسأله أن ينزع روماس ويوليك علينا قال الدبرجان وما الذى تريدون قالوا نحمل ونطلب قتال العرب قال فخرج الدبرجان وطلب خالدا فقال عبد الرحمن لخالد يا أمير أنا أخرج اليه فقال دونك يا ابن الصدّيق فخرج عبد الرحمن وحمل على الدبرجان فما اشتواغير ساعة وقد أحس الدبرجان من نفسه التقصير فولى منهزما وراح الى قومه فلما رأوا ذلك منه نزل الرعب فى قلوبهم وعلم خالد ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق وحمل المسلمون فلما نظر أهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقت الفريقان وضجت الرهبان بكلمة كفرهم فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء الانجاس يتهللون بكلمة كفرهم ويدعون معك الها آخر لا اله الا أنت ونحن نبتهل اليك بلا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك الا ما نصرت هذا الدين على أعدائك المشركين اثم حملوا حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون الادبار وركنوا الى الفرار فلما حطوا داخل المدينة اغلقوا الابواب وتحصنوا بالاسوار ورفعوا الصلبان وعولوا أن يكتبوا للملك ليمدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا رجعنا عنهم وافتقدنا أصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا وقتل من الاعيان بدريان قال وغنم المسلمون الاموال وصلى خالد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما كان الليل تولى الحرس عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق ومعمر ابن راشد ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول العسكر واذا بروماس صاحب بصرى قد أقبل عليهم وقال لهم أين خالد بن الوليد فأخذوه وأتوا به الى خالد فلما رآه رحب به فقال يا أيها الامير بعد أن فارقتك طردنى قومى وقالوا الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصرى وهو ملاصق للسور ولما وقع لهم ما وقع وانهزموا وتحصنوا فلما جن الليل أمرت غلمانى بحفر السور ففتحوا فيه بابا فأتيتك فأرسل معى من تعتمد عليه من اصحابك تستلمون المدينة فلما سمع خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن ابى بكر أن يأخذ مائة من المسلمين ويسيرون مع روماس قال ضرار بن الازور وكنت ممن دخل المدينة فلما صرنا فى قصر روماس فتح لنا خزانة السلاح فلبسنا من سلاحهم وقسمنا أربعة أقسام كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا فلما صرنا حيث أمرنا أخذنا انفسنا بالحملة على القوم (قال الواقدى) بلغنى ممن أثق به من الرواة أن عبد الرحمن لما فارق أصحابه لبس سلاحه وسار هو وروماس يطلبون الدرج الذى عليه الدبرجان وسار معهم ضرار ورافع وشرحبيل بن حسنة فلما قرب عبد الرحمن من الدرج الذى فيه الدبرجان قال الدبرجان من أنتم فقال أنا روماس فقال لا اهلا ولا مرحبا بك ومن الذى معك قال معى صديق لك ومشتاق الى رؤياك قال

ويحك

ويحك ومن هو يا روماس قال هذا ابن ابى بكر الصديق فلما سمع الديرجان ذلك هم
أن يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن وهز سيفه فى وجهه وضربه على عاتقه
فتجندل صريعا يخور فى دمه و عجل الله بروحه الى النار قال وكبر عبد الرحمن فأجابه روماس
وسمع أصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى قال وأجابتهم الاحجار والاشجار قال
وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف فى الروم وسمع خالد التكبير فصرخوا
واذا بغلمان روماس وأولاده قد فتحوا لهم الابواب فعبر خالد ومن معه من المسلمين فلما نظر
أهل بصرى الى الابواب وقد فتحت بالسيف قهرا ضجوا بأجمعهم يقولون الامان الامان فقال
خالد بن الوليد رضى الله عنه ارفعوا السيف عنهم وأقام خالد الى الصباح واجتمع اليه أهلها
وقالوا يا أيها الامير لو صالحناك ماجرى شئ من ذلك ولكن نسألك بالذى أيدك ونصرك
ما الذى فتح لك ابواب مدينتنا فاستحى خالد رضى الله عنه ان يقول فوثب روماس وقال
انا فعلت ذلك يا اعداء الله واعداء رسوله وما فعلته الا ابتغاء مرضات الله وجهادا فيكم فقالوا
أولست منا فقال اللهم لا تجعلنى منهم رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة قبلة وبالقرآن
اماما وأنا أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ففرح خالد بذلك واما أهل بصرى
فغضبوا من كلامه واضمروا له شرا وعلم بذلك روماس فقال لخالد أنا لا أريد المقام عندهم
وانى أسير معك حيث سرت فاذا فتح الله على يديك الشام وصار لكم الامر ردونى اليها
لان الوطن عزيز (قال الواقدى) حدثنى معمر بن سالم عن جده قال كان روماس يجاهد
معنا جهادا حسنا حتى فتح الله على ايدينا الشام فكان ابو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فى ايامه فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيرا حتى توفى رحمه الله وخلف عقبا
يذكر به قال وأمر خالد رجالا يعينونه على اخراج رحله وماله من المدينة ففعلوا ذلك واذا
بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون ما الذى تريدين قالت أريد امير جيشكم
يحكم بيننا فجاؤا بها الى خالد فقالت له انا نستغيث بك من روماس فقال لها خالد وكيف
ذلك فقالت انى كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصا ما رأيت احسن منه وجها كان البدر
يطلع من بين عينيه وكانه يقول ان المدينة فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له
ومن انت ياسيدى قال انا محمد رسول الله ثم دعانى الى الاسلام فأسلمت ثم علمنى سورتين من
القرآن قال فحدث الترجمان خالدا بما كان منها فقال ان هذا العجب ثم قال خالد للترجمان
قل لها تقرأ السورتين فقرأت الفاتحة وقل هو الله احد ثم جددت اسلامها على يد خالد بن
الوليد وقالت يا أيها الامير ما يرجع روماس الى هذا ولا يتركنى اعيش بين المسلمين قال
فضحك خالد من قولها وقال سبحان الله الذى وفقهما جميعا ثم قال للترجمان قل لها ان روماس
أسلم قبلها ففرحت بذلك ثم ان خالدا أحضر اهل بصرى وقررهم على اداء الجزية وولى عليهم
من اتفق رأيه عليه ثم كتب الى أبى عبيدة كتابا يبشره بالفتح ويقول له يا صاحب رسول الله
قد ارتحلنا الى دمشق فألحقنا اليها ثم كتب كتابا آخر الى أبى بكر الصديق يخبره برحيله ويوم

كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته ثم بعث الكتابين كلاهما ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى أشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك واركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الآن بدير خالد وكان اهل السواد قد التجؤا الى دمشق وقد اجتمعت خلائق وامم لاتحصى من الرجال واما اصحاب الخيل فكانوا اثنى عشر الفا وقد زينوا اسوارهم بالطوارق والبيارق والصلبان واقام خالد على الدير ينتظر قدوم المسلمين (قال الواقدى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام وكيف قدم على دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال يابنى الاصفر قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا اركة وتدمر والسخنة وبصرى وقد توجهوا الى الزبوة يعنى ففتحوها فوا كرباه لان دمشق جنة الشام وقد سارت اليها الجيوش وهم اضعاف العرب ثم قال ايكم يتوجه الى قتال العرب ويكفينى امرهم فان هزمهم أعطيته ما فتحوه ملكا فقال بطريق من البطارقة اسمه كلوس بن حنا وكان من فرسانهم وقد عرفت شجاعته فى عسكر الروم والفرس ايها الملك انا اكفيك واردهم على اعقابهم منهزمين قال فلما سمع الملك قوله سلم اليه صليبا من الذهب وقدمه على خمسة آلاف فارس وقال له قدم صليبك امامك فانه ينصرك قال فأخذه كلوس وسار من يومه من انطاكية الى ان وصل حمص فوجدها مزينة بالسلاح فلما بلغ اهلها قدومه خرجوا الى لقائه وقد خرجت الاقسة والرهبان واستقبلوه ودعواله بالنصر واقام بحمص يوما وليلة ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه النساء لاطمات الخدود وقالوا ايها السيد ان العرب فتحوا اركة وحوران وبصرى فقال لهن كيف قدرت العرب على حوران وبصرى فقالوا ايها السيد ان الذى ذكرتهم لم يبرحوا من أماكنهم وان هذا الرجل قد أقبل من العراق وهو الذى فتح اركة فقال وما اسمه قالوا خالد بن الوليد قالوا فى كم يكون معه من العساكر قال فى ألف وخمسمائة فارس فقال وحق المسيح لاجعلن رأسه على رأس سنانى ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق وكان واليها بطريق من قبل الملك هرقل اسمه عزازير فلما قدم كلوس اجتمع عليه عزازير واصحابه وقرؤا عليهم منشور الملك ثم قال لهم أتريدون انى أقاتل عدوكم واصدعن بلادكم قالوا نعم فقال أخرجوا عزازير عنكم حتى أكون وحدى فى هذا الامر فقالوا أيها السيد وكيف ينبغى أن نخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو قاصد الينا قال فغضب عزازير فى وجه كلوس من كلامه وقد اتفق رأيهم على ان كل واحد يقاتل العرب يوما وقد ثبتت عداوة عزازير فى قلب كلوس (قال الواقدى) ولقد بلغنى انهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسخ ينظرون قدوم ابى عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية * قال حدثنا يسار بن محمد قال أخبرنا رفاعة بن مسلم قال كنت فى جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعروف به واذا بجيش الروم قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر فلما نظر خالد ذلك تدرع بدرع مسلمة ثم صرخ فى وجه المسلمين وقال هذا يوم ما بعده يوم وهذا العدو

قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله ينصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل
وكانكم باخوانكم المسلمين وقد قدموا عليكم مع أبي عبيدة بن الجراح ثم بعد ذلك استقبل
الجيش وصرخ بجل رأسه فارعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة
وعبد الرحمن بن أبي بكر وضرار بن الازور وقد حمل ضرار ولم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة
فرسان ومن الميسرة كذلك ثم حمل ثاني مرة فقتل منهم ستة فرسان ولولا سهام القوم لما ارتد
عن قتالهم فشكره خالد بن الوليد وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه احمل بارك الله
فيك قال فحمل عبد الرحمن وفعل كما فعل ضرار بن الازور وقاتل قتالا شديدا ثم حمل من
بعده خالد بن الوليد ورفع رمحه واورى العسكر من امور الحرب حتى انجزع الروم من
شجاعته فلما نظر اليه البطريق كلوس علم انه امير الجيش وعلم انه يقصده فتأخر كلوس الى ورائه
من مخافته فلما نظر خالد الى قهقرة كلوس الى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة
ورموه بالسهام فلم يلتفت اليهم خالد ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قتل عشرين ثم انثنى بجواده
بين الصفين وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه احد وقالوا اخرجوا غيره منكم
فقال ويلكم هاأنا رجل واحد من العرب وكلنا في الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه فاقبل
عزازير على كلوس وقال اليس الملك قد قدمك على جيشه وبعثك الى قتال العرب فدونك
حام عن بلادك ورعيتك فقال كلوس انت احق مني بذلك لانك اقدم مني وقد عزمت انك
لا تخرج الا باذن الملك هرقل فابالك لا تخرج الى قتال امير العرب فقال لهم العساكر
تقارعا فمن وقعت عليه القرعة فلينزل الى قتال امير العرب فقال كلوس لا بل نحمل جميعا فهو
اهيب لنا قال وخاف كلوس ان يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو يقتله قال فتقارعا فوقعت
القرعة على كلوس فقال عزازير اخرج وبين شجاعتك فقال كلوس لاصحابه أريد ان
تكون همتكم عندي فان رأيتم مني تقصيرا احملوا وخلصوني فقال اصحابه هذا كلام عاجز
لا يفلح ابدا فقال يا قوم ان الرجل بدوي ولغته غير لغتي فخرج معه رجل اسمه جرجيس
وقال له انا اترجم لك فسار معه فقال كلوس اعلم يا جرجيس ان هذا رجل اهل شجاعة فان
رأيته غلبني فاحمل انت عليه حتى نقضي يومنا معه ويخرج له غدا عزازير فيقتله ونستريح منه
واتخذك انا صديقي فقال له ما انا اهل حرب وانما اجزعه بالكلام قال فسكت وسارا حتى
قربا من خالد ونظر اليهما قال فهم أن يخرج اليهما رافع بن عميرة فزعق فيه خالد وقال مكانك
لا تبرح فاني كفؤ لهما فلما ادنوا من خالد قال كلوس لصاحبه قل له من انت وما تريد وخوفه من
سطوتنا فقرب جرجيس من خالد وقال له ياخا العرب انا اضرب لك مثلا ان مثلكم ومثلنا كمثل
رجل له غنم فسلمها الى راع وكان الراعي قليل الجراءة على الوحوش فأقبل عليه سبع عظيم
فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى ان انفضت الاغنام والسبع ضار عليها ولم يجد له مانعا عنها
فلما نظر صاحب الغنم ما حل بغنمه علم انه لم يؤت الا من الراعي فانتدب لغنمه غلاما نجيبا
فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم فبينما الغلام كذلك اذ اقبل عليه السبع

على عادته الاصلية واخترع الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده منجل فضربه فقتله ولم
يقرب الغنم وحش بعدها وكذلك أنتم تهاونوا بامركم لانه ما كان أضعف منكم لانكم جياع
مساكين ضعفاء وتعودتم بأكل الذرة والشعير ومص النوى فلما خرجتم الى بلادنا وأكلتم
طعامنا وفعلتم ما فعلتم وقد بعث لكم الملك رجالا لا تقاس بالرجال ولا تكترث بالابطال
ولاسيما هذا الرجل الذى بجانبى فاحذر منه أن ينزل بك ما أنزل الغلام بالاسد وقد سألنى
ان أخرج اليك واتلطف بك فى الكلام فاخبرنى ما الذى تريد قبل أن يهجم عليك هذا
الفارس فلما سمع خالد منه ذلك قال يا عدو الله والله لا نحسبكم عندنا فى الحرب الا كقابض
الطير بشبكة وقد قبضها يمينا وشمالا فلم يخرج الا من انفلت منهم واما ما ذكرت من بلادنا وانها
بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا ان الله تعالى أبدلنا ما هو خير منه والله أبدلنا بدل الذرة
الحنطة والفواكه والسمن والعسل وهذا كله قد رضيه لنا ربنا ووعدنا به على لسان نبيه وأما
قولك ما الذى تريدون منا فنريد منكم احدى ثلاث خصال اما ان تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا
الجزية أو القتال واما قولك ان هذا الرجل الذليل الذى هو عندكم مسكين فهو عندنا أقل
القليل وان يكن هو ركن الملك فأنا ركن الاسلام أنا الفارس الصنديد انا خالد بن الوليد أنا
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فلما سمع جرجيس كلام
خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه فقال له كلوس يا ويلك رأيتك فى بدايتك تهتم كالسبع فمالك
قد تأخرت فقال وحق المسيح ما علمت انه الفارس الجحجاح وبطلهم الفصاح هذا صاحب القوم
الذى ملأ الشام شرا فقال كلوس يا جرجيس اسأله أن يقطع الحرب بيننا الى غد فالتفت
الى خالد وقال له يا سيد قومك هذا صاحبى يريد يرجع الى قومه ليشاورهم فقال خالد
ويحك أتريد تخدعنى بالكلام وأقبل برمحه فى وجه جرجيس فلما نظر جرجيس ذلك انعقد
لسانه وولى هاربا فلما رأى خالد ذلك طلب كلوس وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق
من طعنات خالد فلما نظر خالد احتراز البطريق حط يده فى أطواقه وجذبه اقتلعه من سرجه
فلما نظر المسلمون فعل خالد كبروا بأجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد فلما قربوا منه رمى لهم
البطريق وقال اوثقوه كتافا فصار يبربر بلسانه فأتواله المسلمون بروماس صاحب بصرى
وقالوا له اسمع ماذا يقول فقال لهم يقول لكم لا تقتلونى فانى أجبت صاحبكم فى المال
والجزية فقال خالد استوثقوا منه ثم نزل عن جواده وركب جوادا اهداه له صاحب تدمر
وعزم أن يهجم على الروم فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعنى انا احمل على القوم حتى
تستريح أنت فقال يا ضرار الراحة فى الجنة غدا ثم عول خالد على الحملة فصاح به البطريق
كلوس وقال وحق دينك ونبيك الا ما رجعت الى حتى أخاطبك فرجع خالد اليه وقال
لروماس اسأله ما يريد فقال اعلمه انى صاحب الملك وقد بعثنى اليكم فى خمسة آلاف فارس
لاردكم عن بلده واهله ورعيته وقد تحاججت أنا وعزازير متولى دمشق وقدم الى معه كذا
وكذا وانا اسألك بحق دينك اذا خرج اليك فاقتله وان لم يخرج اليك فاستدع به واقتله فانه

رأس القوم فان قتلته فقد ملكت دمشق فقال خالد لروماس قل له انا لا نبقى عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى ثم انه بعد ذلك الكلام حمل وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة ❁ وشكراً لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة ❁ واجرتنا من حندس الظلم والظلم
وأكرمتنا بالهاشمى محمد ❁ وكشفت عنا ما نلاقى من الهمم
فتمم اله العرش ما قد نرومه ❁ وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
والقيهم وار بى سريعاً ببغيهم ❁ بحق نبى سيد العرب والعجم

(قال الواقدى) لقد بلغنى ممن أثق به انه لما ولى جرجيس هارباً من بين يدى خالد الى اصحابه فراوه يرتعد من الفزع فقالوا واله ما وراءك فقال يا قوم ورائى الموت الذى لا يقابل والليث الذى لا ينازل وهو أمير القوم وقد آلى على نفسه ان يطلبنا أين ما كنا وما خلصت روحى الا بالجهد فصالحوا الرجل قبل ان يحمل عليكم بأصحابه فلا يبقى منكم احدا فقالوا واله ما يكفيك انك انهزمت وقد هموا بقتله فبينما هم كذلك اذا اقبل اصحاب كلوس على عزازير وهم خمسة آلاف وصاحوا به وقالوا واله ما انت عند الملك اعز من صاحبنا وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج انت الى خالد واقتله او أسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح فلو شناك بالحرب فقال عزازير وقد رجع به مكره ودهاه يا ويلكم اتظنون انى جزعت من الخروج الى هذا البدوى من اول مرة ولكنى ما اردت الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يبان عجز صاحبكم وسوف ينظر الفريقان اينا افرس واشجع واثبت فى مقام القتال اذا نحن تشابكنا بالنصال ثم انه فى الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جواداً يصلح للجولان وخرج الى قتال سيدنا خالد بن الوليد الفارس الصنديد رضى الله عنه فلما قرب منه قال يا اخا العرب ادن منى حتى اسألك وكان الملعون يعرف العربية فلما سمع خالد ذلك قال يا عدو الله ادن انت على ام راسك ثم هم ان يحمل عليه فقال على رسلك يا اخا العرب انا ادنو منك فعلم خالد ان الخوف داخله فأمسك عنه حتى قرب منه فقال يا اخا العرب ما حملك ان تحمل انت بنفسك اما تخشى الهلاك فلو قتلت بقيت اصحابك بلا مقدّم فقال خالد يا عدو الله قد رايت ما فعل الرجلان من اصحابى لو تركتهم لهزموا اصحابك بعون الله تعالى وانما معى رجال واى رجال يرون الموت مغنماً والحياة مغرماً ثم قال له خالد من انت فقال او ما سمعت باسمى انا فارس الشام انا قاتل الروم والفرس انا كاسر عساكر الترك فقال خالد ما اسمك فقال انا الذى تسميت باسم ملك الموت اسمى عزرائيل (قال الواقدى) فضحك خالد من كلامه وقال يا عدو الله تخوفنى ان الذى تسميت باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ليرديك الى الهاوية فقال له البطريق ما فعلت بأسيرك كلوس فقال هو موثوق بالقيود والاغلال فقال له عزازير وما منعك من قتله وهو داهية من دواهى الروم فقال خالد منعنى من ذلك حتى اقتلكما جميعاً فقال عزازير هل لك ان تأخذ الف مثقال من الذهب وعشرة اثواب من الديباج

وخمسة رؤس من الخيل وتعتقه وتأتيني براسه فقال له خالد هذه ديته فالذى تعطيني
انت عن نفسك قال فغضب عدو الله من ذلك وقال ما الذى تأخذ منى قال الجزية وانت
صاغر ذليل فقال عزازير كلما زدنا في كرامتكم زدتم في اهانتنا فخذ الآن لنفسك الحذر
فاني قاتلك ولا أبالي فلما سمع خالد كلام عزازير حمل عليه حملة عظيمة كانه شعلة نار فاستقبله
البطريق وقد اخذ حذره وكان عزازير ممن يعرف بالشجاعة في بلاد الشام فلما نظر خالد
الى عدو الله أظهر شجاعته وبراعته تبسم فقال له عزازير وحق المسيح لو أردت الوصول
اليك لقدرت على ذلك ولكنني ابقيت عليك لاني أريد أستيسرك ليعلم الناس انك اسيرى
وبعد ذلك اطلق سبيلك على شرط انك ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما أخذت من بلاد الشام
فلما سمع خالد كلام عزازير قال له يا عدو الله قد داخلك الطمع فينا وهذه العصابة وملكوا
تدمر وحوران وبصرى وهم ممن باعوا أنفسهم بالجنة واختاروا دار البقاء على دار الفناء وستعلم
أينا من يملك صاحبه ويذل جانبه ثم ان خالدا أورى للبطريق ابواب الحرب قال فندم عزازير
على ما كان منه من الكلام وقال يا اخا العرب اما تعرف الملاعبة فقال خالد ملاعبتى
الضرب في طاعة الرب ثم ان الملعون هاجم خالدا ولوح اليه بسيفه وضربه به فلم يقطع شيئا
فانذهل عدو الله من جولان خالد وثباته وعلم انه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى هاربا
وكان جواده أسبق من جواد خالد قال عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكنت يوم حرب دمشق
في القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزازير لما ولى هاربا وقصر جواد خالد عن طلبه فوقع
في قلبه الطمع وقال كأن البدوى خاف منى ومالى الآن أقف حتى يلحقنى وآخذه اسيرا ولعل
المسيح ينصرني عليه فلما وقع ذلك في نفسه وقف حتى لحق به خالد وقد جلل فرسه العرق فلما
قرب منه صاح عزازير وقال يا عربى لا تظن انى هارب خوفا منك وانما ابقيت عليك وخوفا
على شبابك فارحم نفسك وان اردت الموت اسوقه اليك انا قابض الارواح انا ملك الموت فعند
ذلك ترجل عن جواده وسحب السيف وسار اليه كانه الاسد الضارى فلما نظر عزازير
الى ذلك والى ترجل خالد زاد طمعه فيه وحام حوله وهم اليه يريد ان يعلو رأسه بالسيف فزاغ
خالد عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة عظيمة فقطعها فسقط عدو الله الى الارض
ثم ولى هاربا يريد اصحابه فسبقه خالد وقال يا عدو الله ان الذى سميت باسمه قد غضب عليك
ومشتاق اليك وها هو قد اقبل عليك يقبض روحك ليؤديك الى جهنم ثم هجم عليه وهم
ان يجالد به الارض ونظرت الروم الى صاحبها وهو في يد خالد فهموا أن يحملوا على خالد
ويخلصوه من يده واذا قد اقبلت جيوش المسلمين وابطال الموحدين مع الامير أبى عبيدة بن
الجراح رضى الله عنه وكان قد سار من بصرى فوجده وقد اخذ عزازير في تلك الساعة فلما
نظرت عساكر دمشق الى جيوش المسلمين قد اقبلت داخلهم الجزع والفزع فوقفوا عن الحملة
قال حدثنى عمرو بن قيس عن شعيب عن عبد الله عن هلال الاقشعم قال لما قدم الامير
أبو عبيدة سأل عن خالد قالوا انه في ميدان الحرب وقد اسر بطريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه

وهم أن يترجل فاقسم عليه خالدان لا يفعل وأقبل عليه وصافحه وكان أبو عبيدة يحب خالدا لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو عبيدة لخالد يا ابا سليمان لقد فرحت بكتاب أبي بكر الصدّيق حين قدمك علي وامرك علي وما أخذت في قلبي عليك لاني اعلم مواقفك في الحرب فقال خالد والله لا فعلت امرا الا بمشورتك و والله لولا امر الامام طاعة لما فعلت ذلك أبدا لانك اقدم مني في دين الاسلام وانا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت قال فيك أبو عبيدة امين هذه الامة فشكره ابو عبيدة وقدّم لخالد جواده فركبه وقال خالد لابي عبيدة اعلم ايها الامير ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب في قلوبهم واهينوا بأخذ كلوس وعزازير قال وسار مع ابي عبيدة يحدثه بما صار من البطريقين وكيف نصره الله عليهما الا ان اتيا الدير فنزلا هناك واقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان من الغد ركب الناس وتزينت المواكب وزحف اهل دمشق للقتال وقداموا عليهم قوما ظهر الملك هرقل ولما أقبلوا قال خالد لابي عبيدة ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب في قلوبهم فاحمل بنا على القوم قال أبو عبيدة افعل قال فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا بأجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتل في الروم وجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا عظيما واندهلت منهم الكفار قال عامر بن الطفيل لقد كان الواحد منا يهزم من الروم العشرة والمائة قال فما لبثوا معنا ساعة واحدة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقبلنا فقتل فيهم من الدير الى الباب الشرقي فلما نظر أهل دمشق الى انهزام جيشهم أغلقوا الابواب في وجه من بقي منهم قال قيس بن هبيرة رضي الله عنه فنهم من قتلناه ومنهم من اسرناه فلما رجع خالد عنهم قال لابي عبيدة ان من الرأي اذا نزل انا على الباب الشرقي وتنزل انت على باب الجابية فقال ابو عبيدة هذا هو الرأي السديد قال حدثنا سهل بن عبد الله عن أويس بن الخطاب ان الذي قدم مع الامير أبي عبيدة من المسلمين من اهل الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس والذي قدم بهم خالد ابن الوليد رضي الله عنه من العراق ألف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة واربعين الفا وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب في خلافته وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى هذا وان خالدا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقي ونزل أبو عبيدة بالنصف الثاني على باب الجابية فلما نظر اهل دمشق الى ذلك نزل الرعب في قلوبهم ثم ان خالدا أحضر البطريقين الى بين يديه وهم كلوس وعزازير فاعرض عليهم الاسلام فابيا فأمر ضرار ابن الازور ان يضرب رقابهما ففعل قال فلما نظر اهل دمشق ما فعلوا بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبروه بما جرى على كلوس وعزازير وقد نزلت العرب على الباب الشرقي وباب الجابية وقد نزلوا بشبانهم واولادهم وقد قطعوا ارض البلقا وارض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فادركنا والا سلمنا اليهم البلد ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم

واعطوه أوفى اجرة ودلوه بالحبل من اعلى الاسوار فى ظلمة الاعتكار (قال الواقدى) وان الرجل وصل الى الملك هرقل وهو بأرض انطاكية فاستأذن اليه فأمر له بالدخول فلما دخل سلم الكتاب اليه فلما اقرأه الملك رماه من يده وبكى ثم انه جمع البطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب واخبرتكم انهم سوف يملكون ما تحت سريرى هذا فاتخذتم كلامى هزؤا واردتم قتلى وهؤلاء العرب خرجوا من بلاد الجدب والقحط واكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبنا وليس يزجرهم شئ لما هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب ولولا انه عار على لتراكت الشام وارحل الى القسطنطينية العظمى ولكن ها انا اخرج اليهم واقاتلهم عن اهلى ودينى فقالوا ايها الملك ما بلغ من شأن العرب ان تخرج اليهم بنفسك وقعادك اهيب قال الملك هرقل نبعث اليهم قالوا عليك أيها الملك بوردان صاحب حمص لانه ليس فينا مثله فى القوة وملاقاة الرجال ولقد بين لنا فى عساكر الفرس لما قصدونا قال فأمر الملك باحضاره فلما حضر وردان قال له الملك انما قدمتك لانك سيفى القاطع وسندى المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر فقد قدمتك على اثنى عشر الفا فاذا وصلت الى بعلبك فانفذ الى من باجنادين بأن يتفرقوا على ارض البلقاء وجبال السواد فيكونوا هنالك ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق باصحابه يعنى عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال وردان السمع والطاعة لك ايها الملك وسوف يبلغك الخبر انى لا اعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه اهزمهم جميعا وبعد ذلك ادخل الحجاز ولا أخرج حتى اهدم الكعبة ومكة والمدينة قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال وحق الانجيل لان انت فعلت ذلك ووفيت بقولك لاعطينك ما فتحوه حرثا وخراجا وكتبت كتاب العهد انك الملك من بعدى ثم سوره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفى جوانبه أربع يواقيت لا قيمة لها وقال اذا لاقيت العرب قدمه امامك فهو ينصرك قال فلما تسلم وردان الصليب من وقته دخل الكنيسة وانغمر فى ماء المعمودية وبخروه ببخور الكنائس وصلوا عليه الرهبان وخرج من وقته فضرب خيامه خارج المدينة قال وأخذت الروم على أنفسهم بالرحيل فلما تكاملوا ركب الملك هرقل وسار لوداعهم وصحبته أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماه فنزل بها وانفذ من وقته كتابا الى من باجنادين من جيوش الروم يأمرهم ان يتفرقوا على سائر الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاص ومن معه أن يصلوا الى خالد فلما سار الرسول بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة وقال لهم انى اريد أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم ولا ينجو منهم أحد فلما كان الليل رحل على طريق وادى الحياة (قال حدثنى شداد بن أوس) قال لما دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد قتل البطريقين أمر المسلمين ان يزحفوا الى دمشق قال فزحف منا الرجال من العرب وبأيديهم الجحف يتلقون بها الحجارة والسهام فلما نظر أهل دمشق الينا ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالسهام والحجارة من أعلى الاسوار وضيقنا عليهم فى الحصار وأيقن

القوم بالدمار قال شداد بن أوس فأقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد ذلك جاءنا ناوى
ابن مرة وأخبرنا عن جموع الروم باجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحو باب الجابية الى ابى
عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال يا امين الامة انى رايت ان نرحل من دمشق الى اجنادين
ونلتقى من هناك من الروم فاذا نصرنا الله عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم قال أبو عبيدة ليس
هذا برأى قال خالد ولم ذلك قال أبو عبيدة اذا رحلنا يخرج اهل المدينة فيملكون مواضعنا
فلما سمع خالد ذلك من ابى عبيدة قال يا أمين الامة انى اعرف رجلا لا يخاف الموت خبيرا بلقاء
الرجال قدمات ابوه وجده فى القتال قال ومن هو هذا الرجل يا أبا سليمان قال هو ضرار بن
الازور بن طارق قال ابو عبيدة والله لقد صدقت ووصفت رجلا بذلا معروفا فافعل قال
فرجع خالد الى بابه واستدعى بضرار بن الازور وجاء اليه وسلم عليه فقال يا ابن الازور انى أريد
ان أقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل واختاروا دار البقاء والآخرة
على الاولى وتسيرون الى لقاء العدو وهؤلاء القوم الذين وردوا علينا فان رأيت لك فيهم طمعا
فقاتلهم وان رأيت انك لا تقدر عليهم فابعث الينا رسولك فقال ضرار بن الازور وا فرحتاه
والله يا ابن الوليد ما دخلت قلبى مسرة اعظم من هذه فاتركنى أسير وحدى قال خالد لعمرى
انك ضرار ولكن لا تلق نفسك الى الهلاك وسر بما انتدب معك من المسلمين قال فقام
ضرار رضى الله عنه مسرعا فقال خالد أرفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش فقال والله
لا وقفت ومن علم الله فيه خيرا ادركنى ثم ركب ضرار وأسرع الى ان وصل الى بيت لهيا وهو
الموضع الذى كان يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه فلما تكاملوا نظر
ضرار واذا بجيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر وهم متعكون بالدروع وقد أشرقت الشمس
على لاماتهم وطوارقهم فلما نظر اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لضرار أما
والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب اننا نرجع فقال ضرار والله لا زلت أضرب بسيفى
فى سبيل الله واتبع سبيل من أناب الى الله ولا يرانى الله مهزوما ولا اولى الدبر لان الله تعالى
يقول ولا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب
من الله وتكلم رافع بن عميرة الطائى وقال يا قوم وما الخيفة وما هؤلاء العلوج انما نصركم
الله فى مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة
والجموع اليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قالت قوم
طالوت عند لقائهم بجالوت ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فلما سمعوا كلام رافع بن عميرة قالوا والله لا يرانا الله منهزمين ابدا ولنقاتل اعداء الله
الكافرين قال فلما سمع ضرار كلامهم وانهم اشتروا الآخرة على الاولى كمن بهم عند بيت لهيا
واخفى امره وجلس عارى الجسد بسراويله على فرس له عربى بغير سلاح وبيده قناة كاملة
الطول وهو يوصى القوم (قال الواقدى) هكذا حدثنى تميم بن اوس عن جده عمرو بن دارم
قال كنت يوم بيت لهيا ممن صحب ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو بهذه الصفة رغبة

منه فى الشهادة فلما قارب العدوّ كان اول من برز وكبر ضرار بن الازور فقال فأجابه المسلمون بتكبيرة واحدة ارتعبت منها قلوب المشركين وفاجؤهم بالحملة ونظروا الى ضرار بن الازور وهو فى أوّل القوم وهو فى حالته التى وصفناها فهالهم امره وكان وردان فى المقدّمة والاعلام والصلبان مشتبكة على رأسه قال فما طلب ضرار غيره لانه علم انه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن فارسا كان فى يده العلم فتجندل من على فرسه قتيلا ثم انه طعن آخر فى الميمنة فأرداه وحمل يريد القلب وكان قد عاين وردان والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم والجواهر تلمع من أربع جوانب فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان يلمع من خاصرته قال فسقط الصليب منكسا الى الارض فلما نظر وردان الى الصليب أيقن بالهلاك وهم ان يترجل لاخذه أو يميل فى ركابه ليأخذه فما وجد لذلك سبيلا لما قد أحدق به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر ضرار الى من ترجل لاخذ الصليب فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم انا صاحبه فلا تطمعوا فانى اليه راجع اذا فرغت من كلاب الروم قال فسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من القلب يريد الهرب فقالت البطارقة الى اين ايها السيد اتفر من الشيطان فما رأينا ادنى من منظره ولا اهول من تحيره ونظر ضرار اليه وقد عطف راجعا فعلم انه قد عزم على الهرب فصاح بقومه ثم اقتحم فى أثره ومد رمحه وهمز جواده فتصارخت به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فانشد وجعل يقول

الموت حق أين لى منه المفر * وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالى فاشهدوا يامن حضر * وكل هذا فى رضى رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون فى اثره فاحدقوا بهم من كل مكان ونظروا الى ضرار وقد قصده وردان صاحب حمص عندما علم انه اخترق القوم فمدّ اليه رمحه وقد أحدقت به بطارقته وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا فما طعن أحدا الا اباده الى ان قتل من القوم خلقا كثيرا وهو يصرخ بقومه و يقول ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وانكبت عليه جيوش الروم من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فاصاب عضده الايمن فوصل السهم اليه فأوهنه وحس ضرار بالالم فحمل على همدان وصمم عليه برمحه وطعنه فأصاب بالطعنة فؤاده فوصل السنان الى ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج واذا به قد اشتبك فى عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطمعوا فيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا فنظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار وهو أسير فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فما وجدوا الى ذلك سبيلا وارادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائى يا اهل القرآن الى أين تريدون أما علمتم ان من ألوى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله وان الجنة لها ابواب لا تفتح الا للمجاهدين الصبر الصبر الجنة الجنة يا اهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان

وها أنا معكم فى أوائلكم فان كان صاحبكم اسرأو قتل فان الله حى لا يموت وهو يراكم بعينه التى لا تنام فرجعوا وحملوا معه قال ووصل الخبر الى خالد ان ضرارا قد أسر بيد الروم وانه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال فى كم العدو وقالوا فى اثنى عشر ألف فارس فقال والله ماظننت الا انهم فى عدد يسير ولقد غررت بقومى ثم سأل عن مقدّمهم من يكون قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده همدان فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أرسل الى أبى عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له اترك على الباب الشرقى من تثق به وسر اليهم فانك تطحنهم باذن الله تعالى فلما وصل الجواب الى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه فى سبيل الله ثم أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه ومعه ألف فارس وقال له احذر ان ينفذ من مكانك فقال ميسرة حبا وكرامة وعطف خالد بالناس وقال لهم اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار ان شاء الله تعالى ان كانوا أبقوا عليه والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثاره ان شاء الله تعالى وارجوان لا يفجعنا به ثم تقدّم امام القوم وجعل يقول

اليوم يوم فاز فيه من صدق * لا جزع من الموت اذا الموت طرق
لاروين الرمح من ذوى الحدق * لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أنال غدا مقام من صدق * فى جنة الخلد أدعى منطلق

فبينما خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبان منه الا الحدق والفروسية تبان من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق امام الناس كانه نار فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس وايم الله انه لفارس شجاع ثم اتبعه خالد والناس وكان هذا الفارس أسبق الناس الى المشركين قال وكان رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه فى قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه اذ نظر خالد وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ونظر الى الفارس الذى وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كانه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ثم غاب فى وسطهم فما كانت الا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم فى الناس وكثر قلقهم عليه فاما رافع بن عميرة ومن معه فظنوا الا انه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد فهم على ذلك اذ اشرف عليهم رضى الله عنه وهو فى كبكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة من الفارس الذى مقدّم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انى أشدّ انكارا منكم اليه ولقد أعجبنى ما ظهر منه ومن شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كانه شعلة نار والخيل

فى اثره وكلما لحقت به الروم الوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين قال فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله واظهر شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن لثامك قال فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك لقد أشغلت قلوب الناس وقلبى بفعلك فمن أنت قال فلما لج عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال انى يا أمير لم أعرض عنك الا حياء منك لانك أمير جليل وانا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملنى على ذلك لانى محروقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت انا خولة بنت الازور والمأسور بيد المشركين هو اخى ضرار وانى كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بأن ضرارا اسير فركبت وفعلت ما فعلت قال خالد نحمل باجمعنا ونرجو من الله ان نصل الى أخيك فنفكه قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة امامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه واذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظر وردان اليهم فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونك على قتالكم قال فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم وردان عند اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله أصحاب الحديد والزرد النضيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها وأما خولة بنت الازور فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهى لا تطلب الا أخاها وهى لا ترى له اثرا ولا وقعت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم عن بعضهم بعضا وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قال وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد انكمدت أفئدة الروم مما ظهر لهم من المسلمين وقد هموا بالهزيمة وما مسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنت الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم تر من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه اسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمى ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك أو بالسنان طعنوك أم بالحسام قتلوك ليت شعرى يا أخى أختك لك الفداء ولو انى أراك انقذتك من ايدى الاعداء أترى انى أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمى فى قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفى ليت شعرى لحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فعليك منى السلام الى يوم اللقاء قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم ان يعاود بالحملة اذ نظر الى كردوس من الروم قد خرج من

ميمنة العقبات فتأهب الناس لحربهم وتقدّم خالد وحوله ابطال المسلمين فلما قربوا من القوم
رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان فقال خالد اقبلوا أمانهم وائتونى
بهم فأتوا اليه فقال خالد من انتم فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان وقامنا بحمص
وقد تحقق عندنا انه ما يطيعكم ولا يستطيع حربكم فأعطوا لنا الامان واجعلونا من جملة من
صالحتم من سائر المدن حتى نؤدّى لكم المال الذى أردتم فى كل سنة فكل من فى حمص
يرضى بقولنا فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم فيكون الصلح ان شاء الله تعالى ان كان
لكم فيه ارب ولكن ها نحن هاهنا لا نصالحكم ولكن كونوا معنا الى ان يقضى الله بما هو
قاض ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم من صاحبنا الذى قتل ابن صاحبكم قالوا لعله عارى
الجسد الذى قتل منا مقتلة عظيمة وفجع صاحبنا فى ولده قال خالد عنه سألتكم قالوا بعثه
وردان عندنا أسيرا على بغل ووكل به مائة فارس وانفذه الى حمص ليرسله الى الملك ويخبره
بما فعل قال ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائى وقال يا رافع ما علم أحدا أخبر
منك بالمسالك وأنت الذى قطعت بنا المفازة من أرض السماوة واعطشت الابل وأوردتها
الماء ووردتنا الى اركة وما وطئها جيش قبلنا لمفازتها وأنت أوحد أهل الارض فى الحيل
والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع اثر القوم فلعلك ان تلحق بهم وتخلص صاحبنا من
أيديهم فلان فعلت ذلك فتكون الفرحة الكبرى فقال رافع بن عميرة حبا وكرامة ثم انه
فى الحال انتخب مائة فارس شداد من المسلمين وعزم على المسير فأتت البشارة الى خولة بمسير
رافع بن عميرة ومن معه فى طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا واسرعت الى لبس سلاحها
وركبت جوادها وأتت الى خالد بن الوليد ثم قالت له أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد
سيد البشر الا ما سرحتنى مع من سرحت فلعلى ان أكون مشاهدة لهم فقال خالد لرافع أنت
تعلم شجاعتها فخذها معك فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع ومن معه وسارت خولة
فى اثر القوم ولم تختلط بهم وسار الى ان قرب من سلمية قال فنظر رافع فلم يجد للقوم اثرا فقال
لاصحابه ابشروا فان القوم لم يصلوا الى هاهنا ثم انه أكمن بهم فى وادى الحياة فبينما هم مكمون
واذا بغبرة قد لاحت فقال رافع لاصحابه ايقظوا خواطركم وانتبهوا فأيقظ القوم هممهم
وبقوا فى انتظار العدو واذا بهم قد اتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون
معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضرارا وقتلوهم جميعا وأخذوا سلبهم قال
واذا بعساكر الروم قد اقبلت منهزمة وأولهم لم يلتفت الى آخرهم فعلم رافع ان القوم انهزموا
فأقبل يلتقطهم بمن معه قال وكان خالد لما أرسل رافع بن عميرة فى طلب ضرار ليخلصه ومعه
المائة فارس صدم وردان صدمة من يحب الشهادة ويبتغى دار السعادة وصدم المسلمون
الروم فما لبثوا ان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان اولهم وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا
اسلابهم واموالهم وابرزوا فى طلبهم الى وادى الحياة فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائى
وضرار بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار رضى الله عنه وهنوه بالسلامة قال واتى خالد

على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده همدان قال فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه أما بعد فانى قد بلغنى ان جياع الاكباد عراة الاجساد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ورحمك ولولا أعلم انك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليس النصر آتيك فحل عليك سخطى والآن مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين تسعين ألفا وقد أمرتك عليهم فسر نحوهم وانجد أهل دمشق وأنفذ بعضهم ليمنعوا من فى فلسطين من العرب وحل بينهم وبين أصحابهم وانصر دينك وصاحبك قال وانفذ اليه الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقراه سلى عنه بعض ما كان يجده وأخذ الاهبة الى اجنادين فسار فوجد الروم قد تجمعوا وأظهروا العدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه فى ولده فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملك فأجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا على أنفسهم قال حدثنى روح بن طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقى حين رجعنا من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمى وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من اجنادين فى تسعين ألف فارس فخذ اهبتك للقائهم قال فلما سمع خالد ذلك ركب الى أبى عبيدة وقال له يا أمين الامة هذا عباد بن سعد الحضرمى قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبران طاغية الروم هرقل قد ولى وردان على من تجمع باجنادين من الروم وهم تسعون ألفا فما ترى من الرأى يا صاحب رسول الله فقال أبو عبيدة اعلم يا أبا سليمان ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقون مثل شرحبيل بن حسنة بأرض بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن أبى سفيان بالبلقاء والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر واركة وعمرو بن العاص بأرض فلسطين والصواب ان تكتب اليهم ليقصدونا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب المعونة والنصر قال فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان اخوانكم المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين فان هناك تسعين ألفا من الروم وهم يريدون المسير الينا يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقدم علينا بمن معك الى اجنادين تجدنا هناك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذى ذكرناهم ثم أمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال وساقوا الغنائم والاموال فقال خالد لابى عبيدة قد رأيت رأيا ان أكون على الساقة مع الغنائم والاموال والبنين والولدان وكن أنت على المقدمة مع خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة بل أكون أنا على الساقة وأنت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك على اهبة فتمنعهم من الوصول الى الحريم والاولاد فلا يصلون الينا الا وأنت قاتلت فيهم والا كنت أنا ومن معى غنيمة لهم اذا كنت أنا فى المقدمة فقال خالد

لست أخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قال أيها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فأيقظوا
هممكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا أخذ الجيش وسار فى المقدمة وبقى أبو عبيدة
فى ألف من المسلمين ونظر الى ذلك أهل دمشق فعطفوا عليه وأقبلوا بسيوفهم وهم يظنون انهم
منهزمين لاجل ما بلغهم من الجيش العظيم الذى هو باجنادين فقالوا لهم عقلاؤهم ان كانوا
سائرين على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان كانوا على طريق سرج لاهط
فالقوم لا شك هاربون الى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال وكان بدمشق بطريق
يقال له بولص وكان عظيما عند النصرانية وكان اذا قدم على الملك يعظمه وكان الملعون فارسا
وذلك انهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم فى الشجرة من قوة ساعده ثم ان
من عجبه كتب عليها ان كل من يدعى الشجاعة فليرم بسهمه الى جانب سهمى وكان قد
شاع ذكره بذلك ولم يحضر قتال المسلمين منذ دخلوا دمشق فلما اجتمعوا عليه قال لهم بولص
ما الذى حل بكم فاعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وقالوا له ان كنت تريد حياة الابد عند
الملك وعند المسيح وعند أهل دين النصرانية فدونك والمسلمين فاخرج اليهم واخطف كل من
تخلف منهم وان رأيت لنا فيهم مطمعا قاتلناهم فقال بولص انما كان سبب تخلفى عن نصرتكم
لانكم قليلون الهمة لقتال عدوكم فتخلفت عنكم والآن لا حاجة لى فى قتال العرب فقالوا
وحق المسيح والانجيل الصحيح لان سرت فى مقدمتنا لنثبتن معك وما منا من يولى عنك وقد
حكمناك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه ولا يعارضك فى ذلك أحد قال فلما استوثق منهم
دخل الى منزله ولبس لامته فقالت له زوجته الى أين عزمت قال اخرج فى أثر العرب فقد
ولوا فى أهل دمشق عليهم فقالت لا تفعل والزم بيتك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فانى رأيت
لك فى المنام رؤيا فقال لها وما الذى رأيتى قالت رأيتك كأنك قابض قوسك وأنت ترمى
طيورا وقد سقط بعضها على بعض ثم عادت صاعدة فبينما انا متعجبة اذ أقبلت نحوك
سحابة من الجو فانقضت عليك من الهواء وعلى من معك فجعلت تضرب هاماتهم ثم وليتم
هاربين ورأيتها لا تضرب أحدا الا صرعته ثم انى انتبهت وانا مرعوبة باكية العين عليك
فقال لها ومع ذلك رأيتينى فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم قال فلطم وجهها وقال
لا بشرك المسيح بخير لقد دخل رعب العرب فى قلبك حتى صرتى تحلمين بهم فى النوم فلا بد
ما اجعل لكى أميرهم خادما واجعل أصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت له زوجته افعل
ما تريد فقد نصحتك قال فلم يلتفت الى كلامها وخرج من عندها وركب وسار معه من كان
فى دمشق من الروم فاعرضهم فاذا هم ستة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل من أهل النجدة
والحمية وسار يطلب القوم وكان خالد فى المقدمة وأبو عبيدة يمشى مع الاموال والاغنام والجمال
اذ نظر رجل من أصحابه وهو يتأمل الغبرة من ورائهم فسأله أبو عبيدة عن ذلك فقال أظنها
غبرة القوم فقال أبو عبيدة ان أهل الشام قد طمعوا فينا وهذا العدو قاصد الينا قال فا

استتم كلامه حتى بدت الخيل كأنها السيل وبولص فى أوائلهم فلما نظر الى أبى عبيدة قصده ومعه الفرسان واخوه بطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة فلما احتوى عليها رجع بها بطرس نحو دمشق فلما أبعد بها جلس هناك لينظر ما يكون من أمر اخيه واما أبو عبيدة فانه لما نظر الى ما فاجأه من الروم قال والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعنى فى الساقة فلم أدعه وانه قد وصل اليه بولص وقصده والاعلام والصلبان على رأسه مشتبكة والنساء يولولون والصبيان يزعقون والالف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال وقد قصد عدو الله بولص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من أصحابه والروم وارتفعت الغبرة عليهم وهم فى فكر وفر على أرض سحورا قال وقد بلى أبو عبيدة بالقتال وجرجس الكرام قال سهيل بن صباح وكان تحتى جواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة فقومت السنان واطلقت العنان فخرج كأنه الريح العاصف فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد ابن الوليد والمسلمين فاقبلت اليهم صارخا وقلت أيها الامير ادرك الاموال والحريم فقال خالد ما وراءك يا ابن الصباح فقلت أيها الامير الحق ابا عبيدة والحريم فان نفير دمشق قد لحق بهم وقد اقتطفوا قطعة من النسوان والولدان وقد بلى أبو عبيدة بما لا طاقة له به قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهيل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون قد قلت لابى عبيدة دعنى أكون على الساقة فما طاوعنى ليقضى الله أمرا كان مفعولا ثم أمر رافع بن عميرة على ألف من الخيل وقال له كن فى المقدمة وأمر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق على ألفين وقال له ادرك العدو وسار خالد فى اثره ببقية الجيش قال فبينما أبو عبيدة فى القتال مع بولص لعنه الله اذ تلاصقت به جيوش المسلمين وحملوا على اعداء الله وداروا بهم من كل مكان فعند ذلك تنكست الصلبان وايقن الروم بالهوان وتقدم الامير ضرار بن الازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بولص فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة عليه وقال لابى عبيدة يا عربى وحق دينك الا ما قلت لهذا الشيطان يبعد عنى وكان بولص قد سمع به وراءه من سور دمشق وما صنع بعسكر كلوس وعزازير وسمع بفعاله فى بيت لهيا فلما رآه مقبلا اليه عرفه فقال لابى عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربنى فسمعه ضرار رضى الله عنه فقال له أنا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم انه فاجأه وطعنه فلما رآى بولص ان الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وطلب الهرب نحو اصحابه فسار ضرار فى طلبه وقال له اين تروح من الشيطان وهو فى طلبك ولحقه وهم ان يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوى ابق على ففى بقائى بقاء اولادكم واموالكم قال فلما سمع ضرار قوله امسك عن قتله واخذه اسيرا هذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة قال حدثنى اسلم بن مالك اليربوعى عن ابى رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين وكنت فى خيل عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال فدرنا بالروم من كل جانب وبذلنا اسيافنا فى القوم وكانوا ستة كتائب فى كل كتيبة الف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد حملنا يوم فتح دمشق وانه ما رجع منهم فوق المائة ووجه

خبر ضرار ان خولة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه واقبل على خالد واعلمه بذلك فقال
له خالد لا تجزع فقد اسرنا منهم خلقا كثيرة وقد اسرت انت بولص صاحبهم وسوف نخلص
من اسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق فى طلبهم ثم امر خالد ان يسيروا بالناس على مهل حتى
ننظر ما يكون من امر حريمنا ثم انه سار فى الف فارس جريدة وبعث العسكر كله الى ابى عبيدة
مخافة ان يلحقهم وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه فى طلب المأسورات وقد قدّم
امامه رافع بن عميرة الطائى وميسرة بن مسروق العبسى وضرار بن الازور قال حدثنى سعيد بن
عمرو عن سنان بن عامر اليربوعى قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما اقتطفوا من ذكرنا من
نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص الى ان نزل بهم الى النهر الذى ذكرناه ثم قال بطرس
انا لا ابرح من هاهنا حتى انظر ما يكون من أمر اخى ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم
يعجبه منهن الا خولة بنت الازور اخت ضرار قال بطرس هذه لى وانا لها لا يعارضنى فيها أحد
فقال له اصحابه هى لك وأنت لها قال وكل من سبق الى واحدة يقول هى لى حتى قسموا
الغنيمة على ذلك ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص واصحابه وكان فى النساء عجائز من
حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضات الليل والهجوم
على القبائل قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات
حمير بقية تبع اترضين لانفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك فأين
شجاعتكن وبراعتكن التى نتحدث بها عنكن فى احياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن
الا بمعزل عن ذلك وانى أرى القتل عليكن اهون من هذه المصائب ومانزل بكم من خدمة
الروم الكلاب فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور واسم الله
كما ذكرت فى الشجاعة والبراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله قد
اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت واغما دهمنا
العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا اعمدة
الخيام واوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام لعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من
معيرة العرب فقالت عفرة بنت غفار والله مادعوت الا ما هو احب الينا مما ذكرت ثم انهن
تناولن كل واحدة عامودا من اعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة والقت خولة على عاتقها
عامود الخيمة وسعت من ورائها عفرة وام ابان بنت عتبة وسلمة بنت ذارع ولبنا بنت حازم
ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ومثل هؤلاء رضى الله عنهن فقالت لهن خولة
لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت
واحطمن رماح لقوم واكسرن سيوفهن قال وهجمت خولة امامهن فأول ماضربت رجلا
من القوم على هامته بالعامود فتجندل صريعا والتفتت الروم ينظرون ما الخبر فاذا هم بالنسوة
وقد أقبلن والعمد بايديهن فصاح بهن بطريق ياويلكن ما هذا فقالت عفرة هذه فعالنا
فانضرب القوم بهذه الاعمدة ولا بدّ من قطع أعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر قال

فجاء بطرس وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتي فلا ينالها بمكروه وتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن احد من الروم الا ضربن قوائم فرسه فاذا انتكس عن جواده بادرت النساء بالاعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه (قال الواقدي) ولقد بلغني ان النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجلت أصحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما وأظهر بطرس بأسه وتلهفه عندما نظر الى فعالهن ونظر الى خولة بنت الازور وهي تجول كالاسد وتقول شعرا

نحن بنات تبع وحمير ❀ وضربنا فيكم اليس ينكر
لاننا في الحرب نار تسعر ❀ اليوم تسقون العذاب الاكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ورأى حسنها وجمالها قال لها يا عربية اقصري عن فعالك فاني مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين ان أكون أنا مولاك وانا الذي تهابني كل النصرانية ولي ضيع ورساتيق وأموال ومواش ولي منزلة عند الملك هرقل وجميع ما أنا فيه مردود اليك اما ترضين ان تكوني سيدة أهل دمشق فلا تقتلي نفسك فقالت له يا ملعون يا ابن ألف ملعون والله لان ظفرت بك لاقطعن راسك والله ما ارضى بك ان ترعى لي الابل فكيف ارضاك ان تكون لي كفؤا قال فلما سمع كلامها حرض اصحابه على القتال وقال اما ترون عارا أكبر من هذا في بلاد الشام ان النسوة غلبوكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح ابن مريم قال فافترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرت النساء لهم صبر الكرام فبينما هم على ذلك اذا اقبل عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ونظروا الى الغبار وبريق السيوف فقال لاصحابه من يأتيني بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائي أنا آتيك به قال ثم اطلق جواده حتى اشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت قال فرجع واخبر خالدا بما رأى فقال خالد لا عجب من ذلك انهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة وما بينهم وبين تبع الاقرن واحد وتبع بن بكر بن حسان الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث وقال

شهدت باحمد انه رسول ❀ من الاله بارئ النسم
سميت أمته في الزبور ❀ بامة أحمد خير الامم
فلو مد عمري الى عصره ❀ لكنت وزيرا له وابن عم

(قال الواقدي) قال خالد لا تعجب يا رافع واعلم ان هذه النسوة لهن الحروب المذكرات والمواقف المشهورات وان يكن فعلهن ما ذكرت فلقد سدن على نساء العرب الى آخر الابد وازلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار بن الازور عندما سمع كلام رافع فقال خالد مهلا يا ضرار لا تعجل فانه من تأنى نال ما تمنى فقال ضرار أيها الامير لا صبر لي

عن نصرة بنت أبي وأمي فقال خالد قد قرب الفرج ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا وثب ووثبت
أصحابه وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القوم فتفرقوا عليهم وأحدقوا بهم فعسى ان يخلص
حريمنا فقالوا حبا وكرامة ثم تقدم خالد قال فبينما القوم فى القتال الشديد مع النسوة اذ
أشرفت عليهم المواكب والكتائب والاعلام والرايات فصاحت خولة يا بنات التبابعة
قد جاءكم الفرج ورب الكعبة ونظر بطرس الى الكتائب المحمدية وقد اشرفت فخفق
فؤاده وارتعدت فرائصه وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضا قال فصاح بطرس يا معاشر النسوة
ان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى لكن لان لنا اخوات وبنات وأمهات وقد وهبتكن
للصليب فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك ثم عطف يريد العرب اذ نظر الى فارسين وقد خرجا
من قلب العسكر أحدهما متعكن فى سلاحه والآخر عارى الجسد وقد أطلقا عنانيهما
كانهما أسدان وكانا خالدا وضرارا فلما رأت خولة أخاها قالت له الى أين يا ابن أمى اقبل
فصاح بها بطرس انطلقى الى اخيك فقد وهبتك له ثم ولى يطلب الهرب فقالت له خولة
وهى تهزأ به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب ثم تظهر الساعة الجفا والتباعد
وخطت نحوه فقال قد زال عنى ما كنت اجد من محبتك فقالت له خولة لا بد لى منك على
كل حال ثم اسرعت اليه وقد قصده ضرار فقال له بطرس خذ اختك عنى فهى مباركة عليك
وهى هدية منى اليك فقال له الامير ضرار قد قبلت هديتك وشكرتها وانى لا اجد مكافاة لك على
ذلك الا سنان رمحى فخذ هذه منى اليك ثم حمل عليه ضرار وهو يقول واذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها أو ردوها ثم همهم اليه بالطعنة ووصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه فكبا به
الجواد ووقع عدو الله الى الارض فأدركه ضرار قبل سقوطه وطعنه فى خاصرته أطلع السنان
من الجانب الآخر فتجندل صريعا الى الارض فصاح به خالد لله درك يا ضرار هذه طعنة
لا يخيب طاعنها ثم حملوا فى أعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جولة جائل حتى
قتل من الروم ثلاثة آلاف رجل قال حامد بن حامد اليربوعى لقد عددت لضرار بن الازور
فى ذلك اليوم ثلاثين قتيلا وقتلت خولة خمسة وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة قال وانهزم
بقية القوم ولم يزالوا فى ادبارهم والمسلمون على اثرهم الى ان وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم
احد بل زاد فزعهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا الغنائم والخيل والسلاح
والاموال ثم قال خالد الحقوا بأبى عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحقوا به فسار ضرار
والقوم وقد جعل ضرار راس البطريق على سنان رمحه ولم يزل القوم سائرين الى ان لحقوا بأبى
عبيدة فى مرج الصفير وقد تخاف ابو عبيدة حتى اشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خالد بن
الوليد رضى الله عنه ومعه المسلمون فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض وراوا المأسورات
وقد خلصن واخبر خالد ابا عبيدة بما فعلت خولة وعفرة وغيرهن من الصحابة فاستبشر
بنصر الله وعلموا ان الشام لهم ثم دعا خالد بيولص فقال له اسلم والا فعلت بك ما فعلت بأخيك
فقال له وما الذى صنعت بأخى قال قتلته وهذه رأسه وراماها ضرار قدامه فلما رأى رأس

اخيه بكى وقال له لابقاء لى بعده حيا فالحقونى به قال فقام اليه المسيب بن يحيى الفزارى رضى الله عنه فضرب عنقه بامر خالد ثم رحل القوم (قال الواقدى) حدثنا سعيد بن مالك قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يزيد بن أبى سفيان والى عمرو بن العاص قرأ كل واحد من الامراء كتابه قال فساروا بأجمعهم الى أجنادين لعون اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى خيل معاذ بن جبل فلما أشرفنا بأجمعنا على أجنادين كاننا كلنا على سيارة واحدة فى يوم واحد وذلك فى شهر صفر سنة ٢٠ من الهجرة وتبادروا من المسلمون يسلم بعضهم على بعض قال ورأينا جيوش الروم فى عدد لا يحصى فلما اشرفنا عليهم أظهر والناز ينتهم وعددهم واصطفوا مواكب وكتائب ومدّوا صفوفهم فكانوا ستين صفا فى كل صف الف فارس قال الضحاك بن عروة والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى فما رأينا أكثر من جنود الروم ولا أكثر من عددهم وسلاحهم قال فنزلنا بازائهم قال فلما كان من الغد بادرت الروم نحونا قال الضحاك فلما رأيناهم وقد ركبوا اخذنا على انفسنا وتأهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل الصفوف و يقول اعلموا انكم لستم ترون للروم جيشا مثل هذا اليوم فان هزمهم الله على ايديكم فما يقوم لهم بعدها قائمة ابدا فاصدقوا فى الجهاد وعليكم بنصر دينكم واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واقرنوا المواكب ومكنوا المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وايقظوا هممكم (قال الواقدى) ولقد بلغنى ممن اثق به ان وردان لما رأى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا وعولوا على حربهم جمع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر اعلموا ان الملك يعول عليكم اذا انكسرتم ولا تقوم لكم بعدها قائمة ابدا وتملك العرب بلادكم وسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا ان كل ثلاثة منا بواحد منهم واستعينوا بالصليب ينصركم فهذا ما كان من هؤلاء واما خالد رضى الله عنه فانه مشى على اصحابه وقال معاشر المسلمين من فيكم يحذر لنا القوم وينذرهم فقال ضرار بن الازور أنا ايها الامير فقال خالد انت لها والله ولكن يا ضرار اذا أشرفت على القوم اياك ان تحمل نفسك ما لا تطيق وان تغر بنفسك وتحمل على القوم فما أمرك الله بذلك فقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال فاطلق ضرار عنان جواده حتى اشرف على جيش الروم فرأى أثاثهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات كاجنحة الطيور قال وكان وردان ينظر الى نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار وهو مشرف على القوم فقال للبطارقة انى أرى فارسا قد اقبل ولست اشك انه طليعة للقوم فايكم ياتينى به فانتدب من القوم ثلاثون فارسا وطلبوا ضرارا فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين أيديهم فتبعوه وظنوا انه قد انهزم منهم وانما اراد بذلك أن يبعدهم عن اصحابهم فلما ابعدوا علم انه تمكن منهم فالوى رأس جواده اليهم وصوب السنان عليهم فأول ما طعن فارسا من القوم ارداه وثنى على الآخر فأعدمه الحياة وصال فيهم صولة

الاسد على الغنم ودخل رعبه فى قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد
فارس الى ان صرع منهم تسعة عشر فارسا فلما رأوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم الوى
راجعا الى خالد ومعه اسلابهم وخيولهم وأعلمه بما كان فقال له خالد الم اقل لك لا تغرر بنفسك
ولا تحمل عليهم فقال ان القوم طلبونى فخفت ان يرانى الله منهزما فجاهدت باخلاص
ولا جرم ان الله ينصرنا عليهم والله لولا خوفى من ملامك لى لاحملن على الجميع واعلم ان القوم
غنيمة لنا قال فرتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل فى القلب معاذ بن جبل
وفى الميمنة عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وفى الميسرة سعيد بن عامر وفى الجناح الايسر
شرحبيل بن حسنة وفى الساقة يزيد بن ابى سفيان فى اربعة آلاف فارس حول الحريم
والبنات والاولاد ثم التفت الى النسوة وهى عفرة بنت غفار الحميرية وام ابان ابنة عتبة وكانت
عروسا قد تزوج بها فى هذا اليوم ابان بن سعيد بن العاص والخضاب فى يدها والعطر
فى رأسها وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت زارع وغيرهن من النسوة
من عرفن بالشجاعة والبراعة فقال لهن خالد يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتن فعلا
ارضيتن به الله تعالى والمسلمين وقد بقى لكن الذكر الجميل وهذه ابواب الجنة وقد فتحت
لكن وابواب النار قد اغلقت عنكن وفتحت لاعدائكن واعلمن انى واثق بكن فان جاءت
طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن انفسكن وان رأيتن احدا من المسلمين قد ولى هاربا
فدونكن واياه بالاعمدة وارمين عليه بولده وقلن له الى اين تولى عن اهلك ومالك وولدك
وحريمك فانكن ترضين بذلك الله تعالى فقالت عفراء بنت غفار أيها الامير والله
لا يفرحنا الا اذا متنا امامك ولنضربن وجوه الروم ولنقاتلن الى ان لا يبقى لنا عين تطرف
والله ما نبالى اذا رمينا الروم كله قال فجازاهن خيرا ثم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم
بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو ينادى برفيع من صوته يا معاشر المسلمين انصروا الله
ينصركم وقاتلوا فى سبيل الله واحتسبوا نفوسكم فى سبيل الله ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة
ولتكن السهام اذا خرجت من اكباد القسى كانها من قوس واحد فاذا تلاصقت السهام رشقا
كالجراد لم يخل ان يكون منهم سهم مصائبا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون واعلموا انكم لم تلقوا بعد هذه عدوا مثله وان هذه الفئة جلتهم وابطالهم وملوكهم
فجردوا السيوف واوتروا القسى وفوقوا السهام ثم ان خالدا اقبل ووقف فى القلب مع عمرو
ابن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وذى الكلاع الحميرى وربيعة
ابن عامر ونظائرهم قال فلما نظر وردان الى جيش المسلمين وقد زحف فزحفوا وكانوا ملء
تلك الارض فى الطول والعرض من كثرتهم فترامى الجمعان وتلاقى الفريقان وقد أظهر
أعداء الله الصلبان والاعلام ورفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
فلما قرب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شيخ كبير وعليه قلنسوة سوداء فلما

قرب من المسلمين نادى بلسان عربي ايكم المقدم فليخاطبني وليخرج الي وعليه الامان قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له القس انت امير القوم فقال خالد كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله وسنة رسوله وان انا غيرت او بدلت فلا امارة لي عليهم ولا طاعة قال القس بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك توسطت بلادا وما جسر ملك من الملوك يتعرض لها ولا يدخلها وان الفرس دخلوها ورجعوا خائبين وان البرابعة اتوها وافنوا انفسهم عليها وما بلغوا ما ارادوا ولكنكم انتم نصرتم علينا وان النصر لا يدوم لكم وصاحبي وردان قد اشفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال انه يعطي لكل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك انت مائة دينار ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن ان هؤلاء مثل مالقيت من جموعنا فان الملك ما انفذ في هذا الجيش الاعظماء البطارقة والاساقفة قال خالد والله ما نرجع الا باحد ثلاث خصال اما ان تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال واما ماذكرت من انكم عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك في كتابه العزيز وأما ماذكرت من أن صاحبكم يعطي كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فعن قريب ان شاء الله تعالى نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك في ملكنا وبأيدينا فقال الراهب اني راجع الى صاحبي أخبره بجوابك ثم الوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان أيظن اننا مثل من لقيه من قبل وانما هؤلاء لحقهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك قد ارسل اليهم أكابر البطارقة وما بيننا وبينهم الاجولة الجائل وقد تركناهم صرعى ثم رتب أصحابه وزحف وقدم امامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة وبأيديهم المزاريق والقسي قال فصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد أقبلت والحور العين قد تزينت للقائكم فأبشروا بالجنة السرمدية ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بارك الله فيكم الحملة فقال خالد مهلا يامعاذ حتى اوصي الناس ومشى في الصفوف ورتب صفوفهم وقال اعلموا ان هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة نرزق فيها النصر واياكم أن تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ازحفوا على بركة الله تعالى فلما تقارب الجمعان رمت الاروام سهامهم رمية واحدة قال فقتلوا رجالا وجرحوا اناسا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال ضرار بن الازور مالنا والوقوف والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا والله ماتظن أعداء الله الا اننا قد فشلنا عنهم وجزعنا فأمر نا بالحملة حتى نحمل معك قال فأنت لها ياضرار فخرج ضرار بن الازور وقال والله مامن شيء أشهى الى قلبي من ذلك ثم حمل ضرار وقد تدرع بدرع كان لبطرس اخي بولص والقى الزرد على وجهه وركب جواده وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة وكان قد أخذهما أيضا من بطرس وقد اخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك وقد اطلق عنانه وقوم سنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى وهو يخترق صفوفهم

فما كان قدر ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومثلها رجالة قال عنان بن عوف النجبي
كنت ممن يعد قتلى ضرار بن الازور وكنت كلما قتل فارسا من الروم اعده فكان جملة من
قتل ضرار في حملته هذه فرسانا ورجالا ثلاثون فارسا قال عمر بن سالم هكذا حدثني نوفل بن
زياد ثم انه رمى البيضاء عن رأسه والزرد عن وجهه ونادى بأعلى صوته انا الموت الاصفر انا ضرار
ابن الازور وانا صاحبكم انا قاتل همدان بن وردان أنا البلاء المتسلط عليكم وعلى من اشرك
بالرحمن قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل
اثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الروم فقال وردان من هذا البدوي فقالوا أيها الملك هذا
الذي عمره عاري الجسد ومرة برمح ومرة بنبل فلما سمع بذلك وبذكر ضرار بن الازور تنفس
الصعداء وقال هذا قاتل ولدي ولقد اشتهيت من يأخذ منه بثاري وله مني ما يريد قال فبرز
اليه بطريق وكان صاحب طبرية وقال لوردان انا آخذ لك بالثار ثم الوى عنانه وحمل على
ضرار فجالا أكثر من ساعة ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها كبد عدو الله فتجندل
صريعا فقال وردان لهم ما أتى به ولو أتى به عيانا ما صدقته فان هذا لا تطيقه الانس ان تقاتله
وأنا ما ارى له ذا غيري ثم ترجل وغير لامته والقى عليه درعا وجعل على رأسه التاج وركب
جوادا من الخيول العربية وهم ان يخرج الى ضرار بن الازور فتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان
وهو صاحب عمان قال وباس ركاب وردان وقال ايها السيدان أخذت بثارك من هذا الذميم
أو أسرته لك تزوجني ابنتك فقال له وردان هي لك واشهد عليه من حضر من ملوك الشام
فلما سمع اصطفان بذلك خرج كأنه شعلة نار وحمل على ضرار وقال له ويلك قد نزل بك
ما لا قدرة لك به قال فلم يدر ضرار ما يقول غير انه أخذ حذره منه وقد اخرج اصطفان
صليبا من الذهب وجعله في عنقه في سلسلة من الفضة وجعل يقبله ويرفعه على رأسه فعلم
ضرار انه يستنصر به عليه فقال ضرار رضي الله عنه ان كنت تستنصر علي به فانا
استنصر عليك بالقريب المجيب الذي هو لمن دعاه قريب ثم حمل عليه وارى الناس ابوابا من
الحرب حتى ضج الناس من قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتغافل
والجنة قد فتحت لك والنار قد فتحت لاعدائك واياك والكسل فان الله عز وجل يعينك قال
فايقظ ضرار نفسه وانقض من سرجه وحمل على خصمه وتصايحت الروم بصاحبها تشجعه
وكلاهما في ضرب عظيم وقد حميت الشمس وتعب الجوادان فاشار البطريق الى ضرار ان
ترجل حتى نتقاتل فهم ضرار ان يترجل شفقة على الجواد واذا بصفوف الروم قد خرجت
ورجل يقود جنيبا امامهم وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح في جواده وقال له
اجلد معي ساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمحم الجواد وشمر
أجنحته جريا واستقبل ضرار غلام البطريق بطعنة فقتله وأخذ الجنيب فركبه وأطلق جواده
نحو عسكر المسلمين فتناولوه وعاد ضرار نحو البطريق فلما رآه اقبل اليه بعد ما قتل غلامه
وركب جواده أيقن عدو الله بالهلاك وعلم انه ولى قتله بلا محالة وان وقف أهلكه فلما نظر

ضرار الى عدو الله علم ما عنده فهجم عليه اذ نظر الى الروم وقد خرج منهم كردوس وذلك ان وردان لما نظر الى صاحبه وقد أشرف على الموت علم انه ان لم يدركه هلك فقال لقومه يا قوم ان هذا الشيطان قد أكل من كبدى قطعة واذا لم أقتله والا قتلت نفسى ولا بد لى من الخروج اليه قال فخرج فى عشرة من البطارقة وهم مدرعون وفى أرجلهم اخفاف من الحديد وسواعد من الحديد وبأيديهم أعمدة من الحديد ووردان قد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجوا ووردان امامهم كأنه شعلة نار ونظر اصطفان الى من خرج فصاح بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه الا انه تأهب فبينما هم كذلك اذ نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج وهو يلمع على رأس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على رأس الملك ولا شك انه صاحب القوم وقد خرج الى صاحبنا فما الذى يقعدنا عن نصرته ثم قال لاصحابه لا يخرج الا عشرة حتى نساوى القوم فخرج خالد فى عشرة من أصحابه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة قال ووصل الروم الى ضرار فاستقبلهم بقلب أقوى من الحجر الجلمود وقال فناداه خالد أبشر يا ضرار فقد أسعدك الجبار ولا تجزع من الكفار فقال ضرار رضى الله عنه ما أقرب النصر من الله وجاء خالد ومن معه والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان وقد كل ساعده وارتعدت فرائصه عندما نظر الى خالد ومن معه ينظر يمينا وشمالا ليطلب الهرب فعلم ضرار منه ذلك فتهجم عليه بسنانه فلما أيقن بالموت ألقى نفسه الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار وألقى نفسه عن جواده وطلب عدو الله حتى لحقه وتقابضا على وجه الارض وكان عدو الله كالصخر الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير ان الله تعالى أعطاه قوة الايمان فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض بحيلة وجلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية أيها السيد أنجدنى مما أنا فيه فقد هلكت فصاح وردان يا ويلك وأنا من ينقذنى من هؤلاء السباع الاكاسرة فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل وردان وهم ضرار بخصمه ونظر اليهما الفريقان وأقبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار فلم يمهل على خصمه دون ان برك على صدره وذبحه مثل البعير وكل واحد مشتغل عن نصرة صاحبه قال فأخذ ضرار رأس عدو الله وهو ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد يا معاشر الناس اذكروا الوقوف بين يدى الله الملك الجبار فاياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا دخول النار يا أهل الايمان اصبروا يا حملة القرآن قال فزاد الناس بقوله نشاطا وتزاحم الفريقان قال وجاء وقت العصر فافترقوا وقد قتل من الروم ثلاثة آلاف وعشرة من ملوكهم وهم رومان صاحب الاميرة ودمر صاحب نوى وكوكب صاحب أرض البلقاء ولاوى بن حنا صاحب غزى قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ قلبه رعبا مما ظهر له من المسلمين من شدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة وقال لهم يا أهل دين النصرانية ما تقولون فى هؤلاء العرب فانى أراهم غالبين علينا وقد رأيت اسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم بليدة وان

القوم أطوع منكم لربهم وماخزلتم الا بالظلم والجور والغدر وما مرادى منكم الا أن تتوبوا
الى ربكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فأذنوا بحرب
من المسيح وبهلاك انفسكم فان الله عاقبكم اشد عقوبة اذ سلط عليكم اقواما لا نفكر بهم
ولا نعدهم لان اكثرهم جياع وعبيد وعراة ومساكين اخرجهم الينا قحط
الحجاز وجوعه وشدة الضر والبلاء والآن قد أكلوا من خبز بلادنا وفواكه أرضنا وأكلوا
العسل والتين والعنب وأعظم ذلك سبى نسائكم واموالكم (قال الواقدى) فلما سمع
القوم ذلك بكوا وقالوا نقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى ان نقاتلهم بالرماح
قال فلما سمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ما عندكم من الرأى فقال رجل منهم
يا وردان اعلم انك قد بليت بقوم لا تقام لقتالهم وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا
ولا يبالى من أحد ولا يرجع حتى يقتل منهم وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم صار الى الجنة
ومن قتل من الروم صار الى النار والموت والحياة عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمعا
الا أن تحيل على صاحبهم فتقتله فان قتلتموه تنهزم القوم وانك لم تصل اليه الا بحيلة توقعه
فيها فقال وردان وأى حيلة ندخل بها على القوم والحيل والخداع والمكر منهم فقال له
البطريق أنا اقول لك شيأ ان صنعته وصلت به الى أمير العرب من حيث لا يصل اليك شئ
ولا أذى وذلك انك تنتخب عشرة من الفرسان من ذوى الشدة والبأس ويكمنون فى كمين من
جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليه واخرج
قومك يبادرون اليك من المكمن ويقطعوه اربا اربا وتستريح منه وبعد ذلك تتفرق أصحابه
ولا يجتمع منهم أحد قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فرح فرحا عظيما وقال ما هذا
الا رأى سديد فنعم ما اشرت به وقد اصبت فيما ذكرت غير ان هذا الامر يعمل فى جنح الليل
ولا يأتى الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من العرب المتنصرة اسمه داود
وكان فى سكنه وقال له يا داود انا اعلم انك فصيح اللسان وانى اريد ان تخرج الى هؤلاء العرب
وتسألهم ان يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم لا يخرجون لنا بكرة النهار حتى اخرج
بنفسى اليهم منفردا عن قومى ولعلنا نصطلح مع العرب فقال داود ويحك وتخالف امر الملك
هرقل فيما امرك به من الحرب وتصطلح انت والعرب فان الملك ينسبك الى الجزع والفزع
وما كنت بالذى اخاطب العرب فى ذلك ابدا فيبلغ الملك انى كنت السبب فى ذلك فيقتلنى فقال
له وردان يا ويلك انما دبرت حيلة على امير العرب حتى اصل اليه بها فأقتله وتتفرق هؤلاء
العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر لخالد بن الوليد فقال لوردان ان الباغى
مخذول فى كل فعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فقال وردان وقد غضب ويلك
انت تعاندنى فيما أمرتك به دع عنك المحاججة فقال حبا وكرامة ثم انه مضى وقال
فى نفسه ان وردان قد عزم ان يلحق بولده ثم اقبل حتى انه وقف قريبا من المسلمين ونادى
برفيع صوته يا معاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم

عن سفكها واريدان يخرج الى أمير العرب حتى أخاطبه بما أرسلت به قال فلما استتم كلامه
حتى خرج اليه خالد رضى الله عنه وهو كانه شعلة نار فلما نظر اليه داود النصرانى قال له
يا عربى على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما انا الا رسول فلما سمع خالد
مقالته تقرب منه وقال أدرمسئلتك واستعمل الصدق تنجو فمن صدق نجى ومن كذب
هلك فقال صدقت يا عربى ان أميرنا وردان كاره سفك الدماء وقد نظر حربكم ولا يريد
حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره ان يحاربكم وقد رأى ان يدفع لكم مالا
ويحقن به دماء الناس لكن بشرط ان يكون بينك وبينه كتاب وتشهد عليك كبراء قومك
انك لا تتعرض له ولا لاحد من أصحابه ولا لحصن من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك
وهو يسأل ان تقطع الحرب بقية يومك فاذا أصبحت اخرج بنفسك ولا يكون معك أحد
ويخرج هو أيضا مفردا فتنظرا ما تتفقا عليه عسى ان تحقنا دماء الناس بيننا وبينكم قال
فلما سمع خالد ما نطق به داود قال له ان كان ما أخبر به صاحبكم يريد به حيله أو مكيدة
فنحن والله جرثومة الخداع وما مثلنا يؤتى بحيلة ولا بخديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده
فما هو الا قرب أجله وانقطاع عمره وهلاك جموعكم والانفصال بيننا وبينكم وان كان
ذلك حقا من قوله فلست أصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته وأما المال فلست براغب
فيه الا على ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ اموالكم ونملك بلادكم فقال داود وقد عظم
عليه كلام خالد ما يكون الامر الا كما ذكرت فاذا توافقتم كان الانفصال بيننا وها انا راجع
فاذكر له ما ذكرت ثم الوى راجعا وقد امتلاء قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا ثم قال
فى نفسه صدق والله امير العرب وانا اعلم والله ان وردان أول مقتول ونحن من بعده ومالى
الأن أصدق أمير العرب وآخذ لى ولاهلى منه امانا ثم رجع الى خالد وقال له يا اميرانى قد
أضمرت على سر وأريد ان أبديه لك لانى اعلم ان البلاد لكم ان وردان قد نوى على شئ فقال
خالد وما هو فقال خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا فانه قد أضمر لك كيدا ثم اخبره بالقصة
من اولها الى آخرها ثم قال يا خالد اريد منك الامان لى ولاهلى فقال خالد الامان لك ولاهلك
ولا ولدك ان انت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود لو أردت ان اغدر بك لما حدثتك فقال خالد واين
كمين القوم قال عند كثيب عن يمين عسكرهم ثم انه خلاه ورجع واعلم وردان ففرح وقال
الآن ارجو ان يظفرنى الصليب بهم ثم انه دعا بعشرة من الابطال وقال لهم امضوا رجالة
واكمنوا وامرهم ان يفعلوا ما دبروه واما خالد فانه رجع فالتقاه امين الامة ابو عبيدة فرآه
ضاحكا فقال يا ابا سليمان اضحك الله سنك ما الخبر فحدثه بما جرى فقال ابو عبيدة على ماذا
عزمت قال عزمت ان اخرج الى القوم وحدى فقال يا ابا سليمان لعمرك انك لكفؤ ولكن
ما أمرك الله ان تلقى بنفسك الى التهلكة والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد أعد لك عشرا وهو حادى عشر وما آمن عليك من
اللعين ولكن انذب له رجالة كما ندب لك رجالة ويكمنون قريبا من القوم فاذا صرخ اللعين

بقومه فاصرخ أنت بقومك ونكون نحن متأهبين على خيولنا فاذا فرغت من عدو الله حملنا جميعا ونرجو من الله النصر ثم قال والمسلمون هم رافع بن عميرة الطاءى ومعاذ بن جبل وضرار ابن الازور وسعيد بن زيد وقيس بن هبيره وميسرة بن مسروق العبسى وعدى بن حاتم حتى استتم العشرة وأخبرهم خالد بما قد عزم عليه الروم من الحيلة والمكيدة التى قد دبرها وردان وقال اخرجوا رجالة بحيث لا يدرى بكم احد حتى انكم تأتوا الكثيب التى عن يمين العسكر فاكمنوا هناك فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا القوم كل واحد لواحد واتركونى لعدو الله فانى ان شاء الله تعالى كفؤله فقال ضرار أيها الامير أخاف أن يكثر عليك الجمع الكثير فلا تأمن ان يصلوا بشرهم اليك وقد كنت ادبر لك حيلة اننا نسير من وقتنا هذا الى مكمن القوم فاذا وجدناهم رقودا قتلناهم وفرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن فى مواضعهم فاذا خلوت انت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مقالة فقال خالد افعل يا أبا الازور ماذكرت ان وجدت الى ذلك سبيلا وخذ معك هؤلاء الذين ندبتهم وأنت الامير عليهم وارجو ان الله يبلغك ما تطلبه فان فعلت ذلك فهى الفرحة الكاملة فقال ضرار أرجو من الله الوصول اليهم وخرج هو وأصحابه فى جنح الليل رجالة وبأيديهم اسلحتهم وودعوا الناس وكان وقت خروجهم قد مضى ثلث الليل ثم سار ضرار حتى وصل الكثيب فاوقف اصحابه وقال على رسلكم حتى استخبر لكم خبر القوم فلما اشرف عليهم من بعيد سمع خطيطهم وهم نيام سكرا غرقوا فى النوم لما نالهم من التعب والنصب وقد آمنوا من احد يطرقهم فقال ضرار فى نفسه ان أنا دنوت من القوم لاقتلهم فأخشى ان يوقظ بعضهم بعضا قال فرجع الى أصحابه وقال لهم أبشروا فقد اتاكم الله بما تريدون واذهب عنكم ما تحذرون فجردوا سيوفكم وسيروا الى القوم فاقتلوهم كيف شئتم ثم تقدم ضرار امامهم وهم فى اثره الى ان وصل بهم اليهم فوجدوهم نياما كل واحد منهم سلاحه عند رأسه فانفرد كل واحد بواحد فلم يستقر الا وقد فرغوا منهم عن آخرهم واخذ كل واحد سلاح غريمه واخذوا كل ما معهم من الزاد وغيره فقال لهم ضرار أبشروا فان هذا أول النصر ان شاء الله تعالى واقبلوا بقية ليلتهم يصلون ويدعون الله أن ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم فى مصلاه الى ان أضاء الفجر فصلوا صلاة الفجر فلما فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غريمه ولباسه وغيبوا القتلا مخافة ان يرسل اليهم وردان (قال الواقدى) فلما اصبح الله بالصباح صلى خالد بالناس ورتب أصحابه لاهبة الحرب فبينما هم لذلك اذ خرج من القلب فارس وقال يا معاشر العرب اريد اميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لينظر ما يتفقان عليه من أمر الجيشين واحقان الدماء بينهما قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له الفارس ان وردان يريد ان تنتظره حتى تتكلم معه فقال خالد السمع والطاعة ارجع واخبره فعند ذلك خرج وردان وقد تظاهر بقلادة جوهر وعلى رأسه تاج فقال خالد عند ما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء الله تعالى قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل عن جواده وكذلك خالد وجلس كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه على فخذه فقال له خالد قل ما تشاء واستعمل الصدق

والزم طريق الحق واعلم انك جالس بين يدى رجل لا يعرف الحيل فقل ماتريد فقال روما ن
يا خالد اذكر لى ما الذى تريدون وقرب الامر بينى وبينكم فان كنت تطلب منا شيئا فلا
نبخل به عليك صدقة منا عليكم لاننا ليس عندنا امة اضعف منكم وقد علمنا انكم كنتم
فى بلاد قحط وجوع تموتون جوعا فاقنع منا بالقليل وارحل عنا فلما سمع منه خالد هذا الكلام
قال له يا كلب النصرانية ان الله عز وجل أغنانا عن صدقاتكم وأموالكم وجعل أموالكم
نتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم وأولادكم الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وان
أبيتم فالحرب بيننا وبينكم أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون والله ينصر من يشاء منا ومنكم
وما لكم عندنا الا السيف ان أبيتم الاسلام وبالله اقسم ان الحرب أشهى لنا من الصلح وأما
قولك يا عدو الله انا لم تكن أمة أضعف منا عندكم فأنتم عندنا بمنزلة الكلاب
وان الواحد منا يلقى ألفا منكم بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كنت
ترجو ان تصل الى بانفرادى عن قومى وعن قومك فدونك وما تريد قال فلما سمع وردان
مقالات خالد وثب من مكانه من غير ان يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا وتعانقا بعضهم ببعض
قال فصاح عدو الله عندما وثق من خالد وقال لاصحابه بادروا الآن الصليب قد مكننى من
أمير العرب قال فما استتم كلامه حتى بادروا اليه الصحابة كأنهم عقبان ومقدمهم
ضرار ابن الازور وقد رموا النشاب عنهم وجردوا سيوفهم وضرار عارى الجسد بسراويله قابض
عن سيفه وهو يزمجر كالاسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر الى القوم وهم يسابقون
اليه وهو يظن انهم قومه حتى انهم وصلوا اليه ونظر فى أوائلهم ضرار ابن الازور فقال لخالد
سألتك بحق معبودك تقتلنى أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلنى فقال خالد هو
قاتلك لا محالة فهز ضرار سيفه وقال يا عدو الله أين خديعتك من خديعة أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد اصبر يا ضرار حتى أمرك بقتله ثم وصل اليه أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهزوا سيوفهم فى وجهه ومرادهم يقتلوه ونظر عدو الله الى ما دهمه فوقع
الى الارض وهو يشير باصبعه الامان الامان فقال خالد يا عدو الله لا نعطى الامان الا لاهل
الايمان وانت أظهرت لنا المكر والخديعة والله خير الماكرين فلما سمع ضرار كلام خالد
لم يمهله دون ان ضربه على عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه ثم أخذ التاج من
على رأسه وقال من سبق الى شئ كان اولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه
اربا اربا وتبادروا الى سيفه فأخذوه ثم ان خالد قال لاصحابه انى اريد ان تحملوا على الروم
لانهم مشتاقون الى اصحابهم قال فخذوا راس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم فلما
وصل خالد الصفوف نادى يا اعداء الله هذا راس صاحبكم وردان انا خالد بن الوليد انا
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه رمى الراس وحمل عليهم وحملوا المسلمون وحمل
ابو عبيدة وقال احملوا يا اهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين فلما راوا الروم راس وردان
ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت الصباح الى الغروب قال عامر

ابن

ابن الطفيل الدوسى كنت مع ابى عبيدة ونحن نتبع المنهزمين الى طريق غزاة اذا شرف علينا خيل فظننا انها نجدة من عند الملك هرقل فأخذنا على انفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا فاذا هى عسكر قد ارسلها ابو بكر الصديق وما راوا احدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا جميع مامعه (قال الواقدى) وكان الروم بأجنادين تسعون الف فقتل منهم فى ذلك اليوم خمسون الف وتفرق من بقى منهم فنهم من انهزم الى دمشق ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون منهم غنيمة لم يغنم مثلها واخذوا منهم صلبان الذهب والفضة فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى وقت القسمة وقال خالد ليس اقسم عليكم شيأ الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى وكانت الوقعة باجنادين لليلة ست خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة ابى بكر بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالدا رضى الله عنه كتب كتابا الى ابى بكر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومى الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وازيد حمدا وشكرا على المسلمين ودمار على الكافرين المشركين وانصداع بيعتهم وانا لقينا جموعهم بأجنادين وقد رفعوا صلبانهم وتقاسموا بينهم ان لا يفروا ولا ينهزموا فخرجنا اليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا فرزقنا الله الصبر والنصر وكتب الله على اعدائنا القهر وقتلناهم فى كل واد وسبسب وجملة من احصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون الفا وقتل من المسلمين فى اليوم الاول والثانى اربعمائة وخمسة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من الانصار ومن اهل مكة ثلاثون رجلا ومن حمير عشرون والباقى من اخلاط الناس ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاخرى ونحن راجعون الى دمشق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وامره بالمسير الى المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة واتم السلام وسار خالد بالمسلمين طالب دمشق (قال الواقدى) رحمة الله عليه ولقد بلغنى ان ابا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذا اقبل عبد الرحمن بن حميد فلما رآه تسابقت اليه اصحابه وقالوا له من اين اقبلت قال من الشأم وان الله قد نصر المسلمين فسجد ابو بكر الصديق لله شكرا واقبل عبد الرحمن ابن حميد الى ابى بكر وقال يا خليفة رسول الله ارفع راسك فقد اقر الله عينك بالمسلمين فرفع ابو بكر راسه وقرأ الكتاب سرا فلما فهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا فتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب فشاع الخبر فى المدينة فهرعت الناس من كل مكان فقراءه أبو بكر ثانى مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على أيدى المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا فى الثواب والاجر واقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفى أوائلهم أبو سفيان والغيداق بن وائل وأقبلوا يستأذنوا أبا بكر فى الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال

لابى بكر دعوا القوم لنا وفى قلوبهم حقائد وصفائق والحمد لله الذى كانت كلمة الله هى العليا وكلمتهم هى السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأب الله الا أن يتم نوره ونحن مع ذلك نقول ليس مع الله غالب فلما ان أعز الله دينا ونصر شريعتنا أسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا ان جند الله قد نصروا على الروم أتونا لنبعث بهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب ان لا تقربهم فقال أبو بكر لا أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرا قال وبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب فأقبلوا بجمعهم الى أبى بكر الصديق فى المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين وعمر بن الخطاب عن يساره وعلى بن أبى طالب عن يمينه والناس حوله فأقبلت قريش الى أبى بكر فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتطاولوا فيمن يكون أولهم كلاما فكان أول من تكلم سفيان بن حرب فأقبل على عمر بن الخطاب وقال يا عمر كنت لنا مبغضا فى الجاهلية فلما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك فى قلوبنا لان الايمان يهدم الشرك وأنت بعد اليوم تبغضنا فاهذه العداوة يا ابن الخطاب قديما وحديثا أما آن لك أن تغسل ما بقلبك من الحقد والتنافر وانا لنعلم انك لافضل منا وأسبق فى الايمان والجهاد ونحن عارفون بمرتبتكم غير منكرين قال فسكت عمر رضى الله عنه واستحى من هذا الكلام فقال أبو سفيان انى أشهدكم أنى قد حبست نفسى فى سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن عدوهم فيهم انك على كل شئ قدير (قال الواقدى) فاقامت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى رضى الله عنه يريد الشام فاستتموا حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعى رضى الله عنه فنزل عند الامام على رضى الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا على وقد شاهد معه الوقائع وخاض المعامع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم على الخروج من الناس الى الشام (قال الواقدى) واجتمع بالمدينة نحو من تسعة آلاف فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واقول لكم وآمركم بتقوى الله فى السر والعلانية وقد فرحت بما افاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين واخبرك ان تنزل الى دمشق الى ان يأذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك ابطال اليمن وابطال مكة ويكفيك ابن معدى كرب الزبيدى ومالك الاشتر وان تنزل على المدينة العظمى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب واقول قولى هذا الا ان الاجل قد قرب ثم كتب كل نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه الى عبد الرحمن وقال له

انت

أنت كنت الرسول الى الشام وانت تردالجواب فاخذه عبدالرحمن وسارعلى مطيته يطوى المنازل والمناهل الى أن وصل الى دمشق قال حدثنى نافع بن عميرة قال لما بعث خالدبن الوليد الكتاب الى أبى بكر الصديق ارتحل يريد دمشق وكان اهلها قدسمعوا بقتل بطريقهم وابطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك باجنادين فخافوا وتحصنوا بدمشق واعدّوا آلة الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام والصلبان فلما أخذوا على أنفسهم اشرف عليهم الامير خالدبن الوليد والجيش قدزاد عمروبن العاص فى تسعة آلاف ويزيدبن ابى سفيان فى الفين وشرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة فى الفين وأقبل السواد من ورائهم مع معاذبن جبل فى الفين فلما رأى اهل دمشق عسكر المسلمين مثل البحر الزاخر أيقنوا بالهلاك واقبل خالد فى جيش الزحف فنزل على الدير المعروف به وبينه وبين المدينة اقل من ميل فلما نزل هناك دعا بالامراء فأحضرهم فقال لابى عبيدة أنت تعلم ماظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم فى اثرنا فامض بمن معك من اصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فيأخذوك بمكرهم ولتكن متباعدا عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس دولا ولا يضيق صدرك من كثرة المقام ولا تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين فقال ابو عبيدة حبا وكرامة ثم انه خرج حتى انه نزل بباب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب (قال الواقدى) حدثنى مسلمة بن عوف عن سالم بن عبدالله عن حجاج الانصارى قال قلت لجدى رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان فى خيل ابى عبيدة فقلت ياجداه مامنع أباعبيدة أن ينصب له قبة من بعض قبب الروم ممن اخذه من اجنادين ومن بصرى ومن كان عندهم ألوف من ذلك فقال يابنى منعهم من ذلك التواضع ولا يتنافسوا فى زينة الدنيا وملكها حتى ينظر الروم انهم لا يقاتلون طلبا للملك وانما يقاتلون رجاء ثواب الله تعالى وطلب الآخرة ونصرة للدين ولقد كنا ننزل فننصب خيامنا وخيام الروم بالبعد قال فلما نزل ابو عبيدة على باب الجابية امر اصحابه بالقتال ثم ان خالدا استدعى بيزيدبن ابى سفيان وقال له يايزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك وان خرج اليك احد لا يكون لك به طاقة فابعث الى حتى انجدك ان شاء الله تعالى ثم استدعى بشرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انزل على باب توما ثم توجه بقومه واستدعى بعمرو بن العاص وامره ان يسير الى باب الفراديس ثم استدعى بعده بعبس بن هبيرة وقال له اذهب بقومك الى باب الفرج ثم نزل خالد على الباب الشرقى ودعا بضرار بن الازور رضى الله عنه وضم اليه ألفى فارس وقال له تطوف حول المدينة بعسكرك وان دهمك امر ولاحت لك عيون القوم فأرسل الينا قال ثم سار ضرار واتبعه قومه وبقى خالد على الباب الشرقى ثم قدم عبدالرحمن بن حميد من المدينة بكتاب ابى بكر الصديق رضى الله عنه وعدل الى ناحية خالد ابن الوليد على الباب الشرقى وقد تقدم للقتال طائفة من اصحابه مع رافع بن عميرة فلما رفع

اليه الكتاب فرح بعد ان قرأه على المسلمين واستبشر بقدوم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وابى سفيان بن حرب قال وشاع الخبر عند جميع الناس و بعث خالد كتاب ابى بكر الى كل باب فقرئ على الناس وبات الناس متأهبين للحرب يتحاربوب الى الصباح وضرار يطوف حولهم ولا يقف فى مكان واحد مخافة ان يكبس بهم العدو (قال الواقدى) ولقد بلغنى ان اهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم ما لنا الا الصلح ونعطى العرب جميع ما طلبوه منا وقال آخرون ما نحن بأكثر من جموع اجنادين فقال لهم بطريق من الروم اطلبوا بنا صهر الملك توما نتشاور فى هذا الامر لنسمع ما يقول ونطلب منه ان يكشف عنا ما نحن فيه فاما ان يصالحهم واما أن يحامى عنا قال فضى القوم الى توما وعليه رجال موكلون بالسلاح فقالوا لهم ما الذى تريدون فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره فى هذا الامر قال فأذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها السيد انظر ما نزل ببلادنا وقد جاء ما لا طاقة لنا به فاما ان نصالح العرب على ما طلبوا واما ان نرسل الى الملك فينجدنا او يمانع عنا فقد اشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك منهم تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم اطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم اهلا للقتال ولا هم خاطرون لى على بال فلو فتح لهم الباب ما جسروا ان يدخلوا فقالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل العشرة والمائة وصاحبهم داهية لا يطاق فان كان ولا بد فاخرج بنا لقتالهم فقال لهم توما انكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح واما القوم فهم حفاة عراة فقالوا له ايها السيد ان معهم من عددنا واسلحتنا كثيرا مما أخذوه من وقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكلوس وعزازير ومما أخذوه من اجنادين وايضا ان نبيهم قال لهم ان من قتل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك يبقون عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم قال فضحك من قولهم وقال لهم لاجل ذلك طمعت العرب فينا ولو صدقتم فى الحرب والصدام لقتلتموهم لانكم اضعافهم مرارا فقالوا أيها السيد اكفنا مؤنتهم كيف شئت واعلم انك ان لم تمنعهم عنا فتحنا لهم الابواب وصالحناهم فلما سمع توما كلامهم فكر طويلا وخشى ان تفعل القوم ذلك فقال أنا اصرف عنكم هؤلاء العرب واقتل اميرهم واريد منكم تقاتلون معى قالوا نحن معك و بين يديك نقاتل حتى نهلك عن آخرنا فقال لهم باكروا القوم بالقتال فانصرفوا عنه وهم له شاكرون ولامره منتظرون وباتوا بقية ليلتهم على الحصن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخالد بن الوليد عند الدير ومعه النساء والعيال والاموال والغنائم التى غنموها من أعدائهم ورافع بن عميرة على الباب الشرقى فى عسكر الزحف وغيرهم ولم تزل الناس فى الحرص الى ان برق الصباح وصلى كل أمير بمن معه من قومه وصلى ابو عبيدة بمن معه ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لهم لا تخلوا عن القتال واركبوا الخيل حدثنى رفاعة بن قيس قال سألت والدى قيسا وكان ممن حضر فتوح دمشق الشام فقلت له أكنتم تقاتلون فى دمشق

خيالة أو رجالة يوم حصار المسلمين فقال ما كان أحد منا فارسا الا زهاعن النفى فارس مع
ضرار بن الازور وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب
وقف عنده وحرض اهله على القتال وهو يقول صبرا صبرا لاعداء الله قال واقبل توما صهر
الملك هرقل من بابه الذى يدعى باسمه وكان عندهم عابدا راهبا ولم يكن فى بلاد الشرك أعبد
منه ولا أزهد فى دينهم وكان معظما عند الروم فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الاعظم
على رأسه وعلا به فوق البرج واوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله ذوو المعرفة قال ونصبوه
بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدّم توما ووضع يده على أسطر من الانجيل وقال
اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا لاعدائنا واخذل الظالم منا فانك به عليم اللهم اننا
نتقرب اليك بالصليب ومن صلب على دينه وأظهر الآيات الربانية والافعال اللاهوتية
انصرنا على هؤلاء الظالمين قال وأمن الناس على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حدّثنى
شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى فسر لنا هذا الكلام
روماس صاحب بصرى وكان فى جيش شرحبيل بن حسنة يقاتل على باب توما وكلما قال الروم
شيئا بلغتهم فسره لنا قال ونهض شرحبيل وقصد الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين
وقال له يا لعين لقد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب أحياه متى
شاء ورفعه متى شاء ثم ان روماس ناوشه بالقتال فقاتل الملعون توما قتالا شديدا وهشم الناس
بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا وكان ممن جرح ابان بن سعيد بن العاص
اصابته نشابة وكانت مسمومة فحس بلهيب السم فى بدنه فتأخر وحملوه اخوانه الى ان أتوا به
الى العسكر فأرادوا حل العمامة فقال لا تحلوها فان حللتم جرحى تبعتها روحى اما والله لقد
رزقنى الله ما كنت اتمناه قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته فلما حلوها شخص الى السماء وصار
يشير باصبعيه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
فما استتمها حتى توفى الى رحمة الله تعالى وكانت زوجته بنت عمه وكان قد تزوّجها باجنادين
وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب من يدها ولا العطر من رأسها وكانت
من المترجلات الباذلات من اهل بيت الشجاعة والبراعة فلما سمعت بموت بعلها اتته تتعثر
فى اذيالها الى ان وقعت عليه فلما نظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنيت
بما أعطيت ومضيت الى جوار ربك الذى جمع بيننا ثم فرق ولاجهدن حتى الحق بك فانى
لمتشوقة اليك حرام على ان يمسنى بعدك احد وانى قد حبست نفسى فى سبيل الله عسى ان الحق
بك وارجو ان يكون ذلك عاجلا ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن
الوليد فلما غيب فى التراب لم تقف على قبره دون ان أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير
ان تعلم خالدا بذلك وقالت على اى باب قتل بعلى فقيل لها على باب توما وهو الذى قتله
صهر الملك قال فصارت الى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا
لم ير مثله وكانت ارمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة قال شرحبيل بن حسنة

رأيت يوم حصار دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو امام توما وهو يشير اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به اللهم اظهر له نصرته وأعل درجته قال شرحبيل بن حسنة وانا دائما انظر اليه اذ رمته زوجة ابان بنبلة فلم تخط رميتها واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكأني انظر لمعان الجوهر من جوانبه فمن فينا الا من بادر اليه ليأخذه وقد استتر بالدرق وتكابس بعضنا على بعض كل منا يسبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس الصليب الاعظم وانهوائه الى المسلمين فعند ذلك تحزم وكفر وعظم عليه الامر وقال يبلغ الملك ان الصليب الاعظم اخذ مني وملكته العرب لا كان ذلك ابدا ثم انه حزم وسطه وأخذ سيفه وقال من شاء منكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بدّ لي من القوم عسى ان أشفي صدري ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب وكان هو أول مبادر فلما نظرت الروم الى ذلك لم يكن فيهم الا من انحدر في اثره لما يعلمون من شجاعته وخرجوا كالجراد المنتشر هذا والمسلمون يتحاوطون الصليب فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانفردوا الاعدائهم وحملوا في اعراضهم واخذهم النشاب والحجارة من كل مكان من اعلى الباب فصاح شرحبيل بن حسنة معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لتأمنوا النشاب من أعداء الله العالين على الباب قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى ان أمنوا من ضرب النشاب فاتبعهم عدو الله توما وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله ابطال المشركين من قومه وهو يهدر كالجمل فلما نظر شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه وقال معاشر الناس كونوا آيسين من آجالكم طالبين جنة ربكم وارضوا خالقكم بفعالكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم وتقربوا اليهم بارك الله فيكم قال فحمل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم بعضا وعملت بينهم السيوف وتراموا بالنبل وتسامع اهل دمشق ان توما خرج الى العرب من بابه وان صليبه الاعظم سقط اليهم من كف حامله فجعلوا يهرعون الى ان تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا وينظر الصليب فحانت منه التفاتة فنظر فرآه مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر اليه فلم يكن له صبر دون أن حمل وصاح هات الصليب لا أم لك فقد لحقتك بوائقه قال ونظر شرحبيل بن حسنة الى عدو الله وهو مقبل فرمى الصليب من يده وصادمه فلما رأى عدو الله الصليب مرمى على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت زوجة ابان بن عتبة الى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت من هذا قال هو صهر الملك وهو قاتل بعلك ابان بن سعيد فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى ان قاربته ورمته بنبلة وكانت الروم أرادوا يرعبوها فلم تلتفت اليهم دون ان حققت بنبلتها على صاحبهم وقالت بسم الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقتها وكان عدو الله واصلا الى شرحبيل اذ جاءته النبلة فأصابت عينه اليمنى فسكنت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت ان ترميه بأخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين يحامون عنها فلما أمنت من شر الاعداء أخذت ترمي بالنبل ثم انهارمت

علجامن الروم فأصابت صدره فسقط هاويا الى الارض وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة عظيمة الى ان دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك فصرخ بأصحابه يا ويلكم دونكم وكلاب الروم احملوا على الكلاب عسى ان تدركوا عدو الله قال فحمل الناس على الروم الى ان أوصلوهم الى الباب فحماهم قومهم من أعلى الباب بالحجارة والنشاب قال فتراجع الناس الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصلبهم ودخل عدو الله توما الى المدينة واغلقوا الابواب وجاء الحكماء وبعالجون فى قلع النبلة من عينه فلم تطلع وجربوها فلم تنجذب وهو يضج بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا حيلة فى اخراجها نشروها وبقى الفضل فى عينه ولم تزل فى مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى وجلس داخل الباب الى ان سكن ما به وخف عنه الالم فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك فقد نكبنا فى يومنا هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا مما وصل الينا من النبال وقد علمنا ان القوم لا يصطلى لهم بنار وقد سألناك أن تصالح القوم على ما طلبوه منا قال فغضب توما من قولهم وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعينى واغفل عن هذا ويبلغ الملك عنى ذلك فينسبنى للوهن والعجز ولا بدّ من طلبهم على كل حال وآخذ صليبى وآخذ فى عينى الف عين منهم وسأوقع حيلة أصل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه وبعد ذلك أسير الى صاحبهم الذى هو فى الحجاز وأقطع آثاره وأخرب دياره وأهدم مساكنه واجعل بلاده مسكنا للوحوش ثم ان الملعون صار الى اعلى السور وهو معصب العين وصار يحرض الناس لكى يزيل عن قلوبهم الرعب واقبل يقول لهم لا تفزعوا ولا تجزعوا مما ظهر لكم من العرب ولا بدّ للصليب أن يرميهم وانا الضامن لهم قال فثبت القوم من قوله وحاربوا حربا شديدا وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم فقال الرسول ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه لم يكن فى الحساب ونطلب منك رجالا لان الحرب عندنا أكثر من كل باب فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله وقال كيف أخذتم الصليب من الروم فقال الرسول كان يحمل صليب الروم رجل وهو امام توما صهر الملك فرمته زوجة ابان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة ابان بنبلة فتشبكت فى عين توما اليمنى فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذى يمنعهم عن الصلح ونرجو من الله أن يكفينا شره ثم قال للرسول عد الى شرحبيل وقل له كن حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بالقرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك قال فرجع الرسول فأخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر الى أبى عبيدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك قال ولما أصبح الله بالصباح بعث توما الى أكابر دمشق وابطالهم فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف عليكم قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد اتوا يسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك الحريم وسبى الاولاد وتكون نساؤكم جوارى لهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب

الاغضبا عليكم مما أضمرتم من هذا الدين ومصالحة المسلمين واذلالكم بالصليب وأنا قد خرجت ولولا قد أصبت بعيني لما عدت حتى أفرغ منهم ولابد من أخذ ثاری وأقلع ألف عين من العرب ثم لابد ان اصل الى الصليب وأطالبهم به عن قريب فلما سمعوا كلامه قالوا له ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك فان امرتنا بالخروج خرجنا معك وان أمرتنا بالقتال قاتلنا فقال توما اعلموا أن من خاض الحروب لم يخف من شئ وانى قد عزمت أن أهجم هذه الليلة واكبسهم فى أماكنهم فان الليل مهاب وانتم اخبر بالبلد من غيركم فلا يبقى الليلة منكم احد حتى يتأهب للحرب ويخرج من الباب وأرجو ان لا اعود حتى تنقضى الاشغال فاذا فرغت من القوم اخذت اميرهم اسيرا واحمله الى الملك يأمر فيه بأمره فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك فرق القوم على الباب الشرقى فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى باب كل جماعة وقال لهم لا تجزعوا فان امير القوم متباعد عنكم وليس هناك الا الارازل والموالى فاطحنوهم طحن الحصيد قال ودعا بفرقة اخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج توما من بابه واخذ معه ابطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا اخذه معه ورتب على الباب ناقوسا وقال لهم اذا سمعتم الناقوس فهى العلامة التى بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى اعدائكم ولا تجدوا رجالا نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم فى هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها ابدا قال ففرح القوم بذلك وخرجوا الى حيث امرهم وقعدت كل فرقة الى بابها واقاموا ينتظرون صوت الناقوس فيبادرون الى المسلمين قال ودعا توما برجل من النصارى وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا رايتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وقد سار توما بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبأيديهم السيوف وتوما فى اوائلهم وبيده صفيحة هندية والقى على راسه بيضاء كسروية كان هرقل قد اهداها له وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل الى الباب ثم وقف حتى تكامل القوم فلما نظر اليهم قال يا قوم اذا فتحنا لكم الباب فأسرعوا الى عدوكم وجدوا فى سعيكم الى ان تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا ان يكون امير القوم ومن ابصر منكم الصليب فليأخذه فقالوا حبا وكرامة ثم امر رجلا من اصحابه ان يسير الى الذى بيده الناقوس ويأمره ان يضرب به ضربة خفيفة ثم فتح الباب وتبادر الرجال الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة مما دبر القوم لهم الا انهم فى يقظة فلما سمعوا الصوت ايقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من اماكنهم كالاسد الضارية فلم يصل اليهم العدو الا وهم على حذر وتوجهوا عليهم وهم فى غير ترتيب فتقاتل القوم فى جنح الظلام وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل مما سمع من الزعقات فصاح واغوثاه واسلاماه كيد قومى ورب الكعبة اللهم انظرهم بعينك التى لا تنام وانصرهم يا ارحم الراحمين وسار خالد ومن معه وهم اربعمائة فارس من اصحابه

وهو

وهو بغير درع ولبس ثوب كتان من عمل الشام ومكشوف الراس ثم جد فى السير والاربعمائة فارس معه كانهم الليوث العوابس الى ان وصلوا ان الباب الشرقى واذا بالفرقة التى هناك قد هاجت أصحاب رافع بن عميرة الطائى قال واصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عندما استيقظ لهم المسلمون فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته ابشروا يامعاشر المسلمين أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد وحمل فى أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتغل القلب على أبى عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم قال وتصايح الروم والنصارى واليهود قال سنان بن عوف قلت لابن عمى قيس كانت اليهود تقاتلكم قال نعم يقاتلون من اعلى الاسوار ويرمون بالسهام وخشى خالد على شرحبيل بن حسنة مما اتصل اليه من عدو الله توما لانه ملازم الباب قال ولقى شرحبيل ابن حسنة من عدو الله توما أمرا عظيما لم يلق احد مثله وذلك أنه هجم عليه توما فى تلك الليلة وكان أول من وصل الى المسلمين عدو الله توما قال فصبر واله صبر الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وهو ينادى اين اميركم الذميم الذى أصابنى انا ركن الملك الرحيم انا ناصر الصليب قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته وقد جرح رجالا من المسلمين وقال له ها انا صاحبك وغريمك انا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم انا كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه توما عطفة الاسد ورأى من شرحبيل بن حسنة امراهائلا ولم يزالوا كذلك الى ان زال من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت زوجة ابان مع شرحبيل وكانت فى تلك الليلة احسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا فى رجل من المشركين الى ان قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتحايدون عنها الى ان لاح رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة فى نحره قال فصرخ بالروم فهاجموها واخذوها اسيرة ومات عدو الله الذى رمته قال ولقى شرحبيل من الروم مالا يلقاه احد وانه ضرب توما ضربة هائلة فتلقاها الملعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن انه يأخذه اسيرا واذا بفارسين قد اشرفا من ورائهما مع كبة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بزوجة ابان قد خلصت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها فارسان فبرزهما عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ابان بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فقتلا الرجلين ورجع عدو الله توما هاربا الى المدينة قال حدثنى تميم بن عدى وكان ممن شهد الفتوحات قال كنت فى خيمة أبى عبيدة وذلك ان اباعبيدة كان يصلى فيها اذ سمع الصياح فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم لبس سلاحه ورتب قومه ودنا من القوم فنظر اليهم وهم فى المعمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة الى ان جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون فلما سمع المشركون تكبيرهم ظنوا أن المسلمين قد دهموهم من ورائهم فى جمع كثير فولوا راجعين فتلقاهم ابو عبيدة وقومه واخذوا عليهم المجاز وبذل ابو عبيدة السيف فيهم (قال الواقدى) ولقد بلغنى

ان ماسلم من الروم تلك الليلة احد من الذين هم غرماء ابى عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم
فبينما هم فى القتال اذ اشرف عليهم ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء فقال له خالد ماوراءك
ياضرار فقال أبشر أيها الامير ماجئتك حتى قتلت فى ليلتى هذه مائة وخمسين رجلا وقتل
قومى مالا يعدّ ولا يحصى وقد كفيتكم مؤنة من خرج من الباب الصغير الى يزيد بن أبى سفيان
ثم عطفت الى سائر الابواب فقتلت خلقا كثيرا قال فسر بذلك خالد بن الوليد ثم ساروا جميعا حتى
أتوا شرحبيل بن حسنة وشكروا فعله وكانت ليلة مقمرة ولم يلاق مثلها الناس فقتلوا فى
تلك الليلة ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار اهل دمشق الى توما وقالوا له ايها السيد انا قد نصحناك
فلم تسمع لقولنا وقد قتل منا اكثر الناس وهذا امير لا يطاق يعنى خالد بن الوليد وصالح
اصلح لك ولنا وان ماصالحت صالحنا وانت وشأنك فقال ياقوم امهلونى حتى اكتب الى
الملك واعلمه بما نزل بنا فكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من صهرك
توما امابعد فان العرب محدقون بنا كاحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا اهل اجنادين
ورجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتلة عظيمة وقد خرجت اليهم واصيبت عينى وقد عزمت
على الصلح ودفع الجزية للعرب فاما ان تسير بنفسك واما ان ترسل لنا عسكرا تنجدنا بهم واما
ان تأمرنا نتصالح مع القوم فقد تزايد الامر علينا ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به قبل الصباح
فلما اصبح الصباح باكرهم المسلمون بالقتال وبعث خالد الى كل اميران يزحف من مكانه
فركب أبو عبيدة ووقع القتال واشتدّ الامر على اهل دمشق فبعثوا الى خالد ان امهل علينا
فأبى خالد وقال الا القتال ولم يزل كذلك الى ان ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون امر الملك
واجتمع اهل البلد وقالوا بعضهم مالنا صبر على مانحن فيه من الامر وان هؤلاء ان قاتلناهم
نصروا علينا وان تركناهم اضر بنا الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ماطلبوه منكم فقال لهم
شيخ كبير من الروم وقد قرا الكتب السالفة ياقوم والله انى اعلم انه لواتى الملك فى جيشه جميعا
لمامنعوا عنكم هؤلاء لما قرات فى الكتاب بأن صاحبهم محمدا خاتم المرسلين سيظهر دينه على
كل دين فاطيعوا القوم واعطوهم ماطلبوا منكم فهو اوفق لكم فلما سمع القوم مقالات
الشيخ ركنوا اليه لما يعلمون من علمه ومعرفته بالاخبار والملاحم فقالوا كيف الرأى عندك فنحن
نعلم ان هذا الامير الذى على باب شرقى رجل سفاك للدماء فقال لهم ان اردتم تقارب الامر
فامضوا الى الذى على باب الجابية ويتكلم رجل يعرف بالعربية ويقول بصوت رفيع
يامعاشر العرب الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم مع صاحبكم قال ابو هريرة رضى الله عنه
وكان ابو عبيدة قد انفذ رجالا من المسلمين مكثوا بالقرب من الباب مخافة الكبسة
مثل الليلة التى خلت وكانت النوبة تلك الليلة لبنى دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسى
قال فبينما نحن جلوس فى مواضعنا من الباب اذ سمعنا اصوات القوم وهم ينادون قال
ابو هريرة فلما سمعت بادرت الى ابى عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر وقال امض وكلم القوم
وقل لهم لكم الامان قال فأتيت القوم وبشرتهم بالامان فقالوا من انت فقلت انا ابو هريرة

صاحب

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوان عبيدا لنا أعطوكم الامان والزمام ونحن فى الجاهلية لماغدرنا فكيف وقد هدانا الله الى دين الاسلام قال فنزل القوم وفتحوا الباب واذاهم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر أبى عبيدة تبادر اليهم المسلمون وأزالوا عنهم الصلبان الى ان وصلوا خيمة أبى عبيدة فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم عزيز قوم فأكرموه وتكلموا فى امر الصلح وقالوا انا نريد منكم ان تتركوا كنائسنا ولا تنقصوا علينا منها كنيسة وهى الجامع الآن بدمشق فقال لهم أبوعبيدة جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها قال وكان فى دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة أنذار وهى عند دار عبد الرحمن ذره فكتب لهم أبوعبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه ولا أثبت شهودا وذلك لانه لم يكن امير المؤمنين فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد قال فقام ابوعبيدة وركب معه ابوهريرة ومعاذ بن جبل ونعيم بن عمرو وعبد الله بن عمر والدوسى وذوالكلاع الحميرى وحسان بن النعمان وجرير بن نوفل الحميرى وسيف بن سلمة ومعمر ابن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وابولبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة وعامر بن قيس وعباد بن عتبة وبشر بن عامر وعبد الله بن قرط الاسدى وجملتهم خمسة وثلاثون صحابيا من أعيان الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وخمسة وستون من اخلاط الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبوعبيدة أريد منكم رهاين حتى ندخل معكم فاتوه برهاين وقيل ان اباعبيدة رأى فى منامه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تفتح المدينة ان شاء الله تعالى فى هذه الليلة فقلت يا رسول الله أراك على عجل قال لاحضر جنازة ابى بكر الصدّيق قال فاستيقظت من المنام (قال الواقدى) وقد بلغنى ان أبا عبيدة لما دخل دمشق باصحابه صارت الاقسة والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر بالند والعود ودخل ابوعبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك لانه شدّ عليهم بالقتال قال وكان هناك قسيس من أقساء الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة بالسور مما يلى باب شرقى الذى عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها ان الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة ويعلو دينهم على كل دين فلما كانت تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا وخرج على حين غفلة من أهله واولاده وقصد خالدا وحدّثه انه خرج من داره وحفر موضعا والآن اريد امانا لى ولاهلى ولاولادى قال فأخذ خالد عهده على ذلك وانفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حمير وقال لهم اذا حصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم باجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وازيلوا السلاسل حتى تدخلوا ان شاء الله تعالى قال ففعل القوم ما امرهم به خالد رضى الله عنه وساروا ومضى أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج فلما حطوا فى داره تدرعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب واعلنوا التكبير قال فلما سمع المشركون التكبير اندهلوا وعلموا

أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حطوا معهم فى المدينة وان أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن الوليد ومن معه من
المسلمين ووضعوا السيف فى الروم وهم مختلفون بين يديه الى أن وصل الى كنيسة مريم وخالد بن
الوليد يسير ويقتل (قال الواقدى) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش
أبى عبيدة وأصحابه سائرون والرهبان سائرون بين ايديهم وما أحد من اصحاب ابى عبيدة جرد
سيفه فلما نظر خالد اليهم ورأى ان ما احدا منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا قال فنظر
اليه ابو عبيدة وعرف فى وجهه الانكار فقال يا ابا سليمان قد فتح الله على يدى المدينة
صلحا وكفى الله المؤمنين القتال (قال الواقدى) ما خاطب ابو عبيدة خالدا يوم الفتح بدمشق
الا بالامارة فقال أيها الامير قد تم الصلح وما الصلح لا أصلح الله بالهم واين لهم الصلح وقد فتحتها
بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم واخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال
فقال ابو عبيدة ايها الامير اعلم انى ما دخلتها الا بالصلح فقال له خالد بن الوليد انك لم تزل
مغفلا وانا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقى لهم حماية فكيف صالحتهم قال ابو عبيدة
اتق الله أيها الامير والله صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتبت لهم الكتاب وهو
مع القوم فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمرى وانا صاحب رايتك والامير عليك ولا ارفع
السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم فقال ابو عبيدة والله ما ظننت انك تخالفنى اذا عقدت
عقدا اورأيت رأيا فالله الله فى امرى فوالله قد اعطيت دماء القوم عن آخرهم واعطيتهم
الامان من الله جل جلاله وامان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضى من معى من المسلمين
والغدر ليس من اشيمنا قال وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما قال وخالد مع ذلك
لا يرجع عن مراده ونظر ابو عبيدة الى ذلك فرأى اصحاب رسول الله مع خالد وهم جيش
البوادى من العرب وهم مشتبكون على قتال الروم ونهب اموالهم قال فنادى ابو عبيدة
وانكلاه حقرت والله ونقض عهدى وجعل يحرك جواده ويشير الى العرب مرة يمينا ومرة
شمالا وينادى معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تمدوا
ايديكم نحو الطريق الذى جئت منه حتى نرى ما نتفق انا وخالد عليه فلما دعاهم بذلك سكتوا
عن القتل والنهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامراء واصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل
رضى الله عنه ويزيد بن ابى سفيان رضى الله عنه وعمرو بن العاص رضى الله عنه وشرحبيل
ابن حسنة رضى الله عنه وربيعة بن عامر رضى الله عنه وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله
عنهم اجمعين ونظرائهم والتقوا عند الكنائس واجتمع هناك فرسان للمشورة والمناظرة
فقالت طائفة من المسلمين منهم معاذ بن جبل ويزيد بن ابى سفيان الرأى ان تمضى الى
ما امضاه ابو عبيدة بن الجراح وتكفوا عن القتال للقوم فان مدن الشام لم تفتح ابدا وهرقل
فى انطاكية كما تعلمون وان علم اهل المدن انكم صالحتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة
صلحا وان تجعلوا هؤلاء الروم فى صلحكم خير من قتلهم ثم قالوا لخالد امسك عليك ما فتحت

بالسيف ويعينك ابو عبيدة بجانبه واكتبا الى الخليفة وتحاكما اليه فكل ما امر به فعلناه
فقال لهم خالد بن الوليد قد اجبت الى ذلك وقبلت مشورتكم فاما اهل دمشق فقد أمنتهم
الا هذين اللعينين توما وهربيس وكان هربيس هو المأمور على نصف البلد ولاه توما حين رجع
الامر اليه فقال ابو عبيدة ان هذين اول من دخل فى صلحى فلا تخفر ذمتى رحمك الله تعالى
فقال خالد والله ولا ذمامك لقتلتهما جميعا ولكن يخرجان من المدينة فلعنهما الله حيث ساروا
قال ابو عبيدة وعلى هذا اصالحتهما قال ونظر توما وهربيس الى خالد وهو يتنازع مع ابى
عبيدة فخافا الهلاك فاقبلا على ابى عبيدة ومعهما من يترجم عنهما وقال له ما يقول هذا يعنى
خالدا قال الترجمان لابى عبيدة ما تقول انت وصاحبك فيه من المشاورة ان هذا صاحبك
يريد غدرنا فنحن واهل المدينة دخلنا فى عهدكم فنقض العهد ما هو من شيمكم وانى اسألكم
ان تدعونى ان اخرج انا واصحابى واسلك اى طريق اردت فقال انت فى ذمتنا فاسلك اى
طريق شئت فاذا صرت فى ارض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا انت ومن معك فقال توما
وهربيس نحن فى ذمتكم وجواركم ثلاثة ايام اى طريق سلكنا فاذا كان بعد ثلاثة ايام
فلا ذمة لنا عندكم فمن لقينا منكم بعد ثلاثة ايام وظفر بنا فنحن لهم عبيد ان شاء اسرنا
وان شاء قتلنا فقال خالد قد اجبتك الى ذلك لكن لا تحملوا معكم من هذه البلد الا الزاد
الذى تتقوتون به قال ابو عبيدة لخالد هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وقع بيننا
انهم يخرجون برحالهم واموالهم فقال خالد سمحت لهم بذلك الا الحلقة يعنى السلاح فانى
لا اطلق لهم شيئا من ذلك فقال توما لا بد لنا من السلاح نمتنع به عن انفسنا فى طريقنا ان طرقنا
طارق حتى نصل الى بلدنا والا فنحن بين ايديكم فاحكموا فينا بما اردتم فقال ابو عبيدة اطلق
لكل واحد قطعة من السلاح ان اخذ سيفا فلا يأخذ رمحا وان اخذ رمحا فلا يأخذ سيفا وان
اخذ قوسا فلا يأخذ سكينا فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما يريد
كل واحد منا الا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لابى عبيدة انى خائف من هذا الرجل
اعنى خالد بن الوليد فليكتب لى بذلك قال ابو عبيدة ثكلتك امك انا معاشر العرب لا نغدر
ولا نكذب وان الامير ابا سليمان قوله قول وعهده عهد ولا يقول الا الصدق قال فانطلق
توما وهربيس يجمعون قومهما ويأمروهم بالخروج قال وكان الملك له خزانة ديباج
فى دمشق زهاء ثلثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فعزم على اخراجها وامر توما فضربت له
خيمة من القرظاهر دمشق واقبلت الروم تخرج الامتعة والاموال والاحمال حتى اخرجوا
شيأ عظيما فنظر خالد بن الوليد الى كثرة احمالهم فقال ما اعظم رحالهم ثم قرأ قوله تعالى
ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون الآية ثم نظر خالد الى القوم كانهم حمر مستنفرة ولم يلتفت احد الى اخيه
من شدة عجلتهم فلما نظر خالد الى ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعله لنا وملكنا
اياه واجعل هذه الامتعة قوتا للمسلمين آمين انك سميع الدعاء ثم اقبل على أصحابه وقال

لهم انى رأيت انا رأيا فهل انتم تتبعونى عليه فقالوا نتبع ولا نخالف لك امرا فقال خالد قوموا بخيولكم حق القيام وأحسنوا اليها ما استطعتم وانجزوا سلاحكم فانى أسير بكم بعد ثلاثة أيام فى طلب هؤلاء القوم وأرجو من الله أن يغنمنا هذه الغنيمة والاموال التى رأيتموها وان نفسى تحدثنى أن القوم ما تركوا فى دمشق متاعا ولا ثوبا حسنا الا وقد أخذوه معهم فقالوا افعل ما تريد فما نخالف لك أمرا ثم أخذوا فى اصلاح شأنهم وتوما وهربيس قد جمعوا مال الرساتيق وجميع المال فلما جمعوه جاؤا به الى ابى عبيدة فقال لهم وفيتم بما عليكم فسيروا حيث شئتم فلكم الامان منا ثلاثة أيام قال يزيد بن طريف فلما سلموا المال لابى عبيدة ارتحلوا سائرين كانهم سواد مظلم وكان قد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا ان يكونوا فى جوار المسلمين قال واشتغل خالد عن اتباعهم بخلاف وقع بينهم وبين أهل دمشق فى حنطة وشعير وجدوا فى المدينة منه شيأ كثيرا فقال أبو عبيدة هو للقوم دخل فى صلحهم فكادت الفتنة أن تثور بين أصحاب خالد وبين أصحاب أبى عبيدة واتفق رأيهم أن يكتبوا كتابا الى أبى بكر الصديق فى ذلك وليس عندهم خبر انه مات يوم دخولهم بدمشق قال عطية بن عامر كنت واقفا على باب دمشق فى اليوم الذى سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهم ابنة الملك هرقل قال فنظرت الى ضرار بن الازور وهو ينظر الى القوم شذرا ويتحسر على مافاته منهم فقلت له يا ابن الازور مالى أراك كالمتحسر ما عند الله أكثر من ذلك فقال والله ما اعنى مالا وانما أنا متأسف على ابقائهم وانفلاتهم منا ولقد ساء أبو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور ما أراد أمين الامة الا الخير للمسلمين ان يحقن دماءهم وأرواحهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد خير ممن طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى اسكن الرحمة فى قلوب المؤمنين وان الرب يقول فى بعض الكتب المنزلة انا الرب لا ارحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال ضرار لعمرى انك لصادق ولكن اشهدوا على أنا لا ارحم من يجعل له زوجة وولدا ❊ قال حدثنى عمرو بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصرى عن واثلة بن الاسقع قال كنت مع خالد بن الوليد فى جيش دمشق وكان قد جعلنى مع ضرار بن الازور فى الخيل التى تجول من باب شرقى الى باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب قيسان اذ سمعنا صرير الباب وذلك قبل فتوح الشام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فأخذناه قبضا بالكف وقلنا ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر قام على الباب وجعل ينادى بالذى قد أخذناه فقلنا له كلمه حتى يأتى قال فرطن له بالرومية ان الطير فى الشبكة فعلم انه قد أسر فرجع وأغلق الباب قال فأردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضى به الى خالد الامير قال فاتينا به الى خالد فلما نظر اليه قال له من انت قال له انا من الروم وانى تزوجت بجارية من قومى قبل نزولكم عليهم وكنت أحبها فلما طال علينا حصاركم سألت اهلها ان يزفوها على فأبوا عن ذلك وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت احب ان القاها ولنا فى المدينة ملاعب نلعب

فيها

فيها فوعدتها ان تخرج الى الملاعب فخرجت وتحدثنا فسألتنى ان اخرج بها الى خارج المدينة ففتحنا الباب وخرجت أنظر اخباركم فأخذنى أصحابك فنادتنى فقالت ان الطير وقع فى الشبكة احذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان على ذلك فقال خالد ما تقول فى الاسلام فقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له انها لبست ثياب الرهبانية فأقبل اليها وهى لا تعرفه فقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملنى على ذلك لانى أغررت بزوجى حتى اخذته العرب وترهبت حزنا عليه قال انا زوجك وقد دخلت فى دين العرب قال فلما سمعت ذلك قالت وما تريد قال اننى فى الذمة فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالى الى ذلك سبيل وخرجت مع البطريق توما فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكى له حاله فقال له خالد ان اباعبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها وعلم ان خالدا يسير وراء القوم فقال اسير معهم لعلى اقع بها واقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ثم اقبل اليه يونس الدمشقى زوج الجارية وقال ايها الامير قد عزمت على المسير فى طلب هذين اللعينين توما وهربيس وتأخذ ما معهما قال بلى فقال له وما الذى أقعدك عن ذلك قال بعد القوم وبيننا وبينهم أربعة أيام بلياليها وهم يسيرون سير الخوف وما يمكن اللحوق بهم فقال يونس ان كان تخلفك لبعد المسافة بيننا وبينهم فأنا أعرف الديار وأسلك طريقا فنلحقهم ان شاء الله تعالى ولكن البسوا زى لخم وجرام وهم العرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا قال فسار خالد وأخذ عساكر الزحف وهم أربعة آلاف فارس فأمرهم أن يسيروا ويخففون حمل الزاد ففعلوا ذلك وخالد ومن معه قد ساروا ويونس الدليل امامهم وهو يتبع آثار القوم وقد أوصى خالد أبا عبيدة على المدينة والمسلمين قال زيد بن ظريف وكان يونس دليلنا قال فرأى آثار القوم وانهم اذا سقط منهم حمل جمل تركوه وسار خالد ومن معه كلما دخلوا بلدا من بلاد الروم يظنون انهم من العرب المتنصرة من لخم وجرام حتى أشرف بهم الدليل على ساحل البحر ونوى يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدوا عن انطاكية ولم يدخلوها خيفة الملك قال فوقع الدليل عند ذلك حيرة فى أمره فعدل الى قرية هناك وسأل بعضا من الناس فأخبروه ان الخبر قد اتصل الى الملك بأن توما وهربيس قد سلموا دمشق للعرب فنقم عليهم ولم يدعهما يأتيان اليه وذلك انه جمع الجيوش وارسلها الى اليرموك فخاف ان يتحدثوا بشجاعة العرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف قلوبهم فبعث الى توما ومن معه ان يسيروا الى القسطنطينية فلما علم يونس ان القوم عدلوا وأخذوا فى طلب التحير فكر فى ذلك وغاب عن المسلمين فوقف خالد وصلى بالناس واذا بيونس قد أقبل وقال ايها الامير انى والله قد اغررت بكم وبلغت الغاية فى الطلب قال خالد وكيف الامر قال ايها الامير تبعتنى آثارهم فى هذا المكان رجاء ان الحقهم وان الملك منعهم من الدخول الى انطاكية لئلا يرعبوا عسكره وامرهم ان يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل

العظيم وانتم فى جبل هرقل وهو يجمع عسكره ويسير الى حربكم وانى خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا الامر اليك وكلما امرتنى به فعلت قال ضرار ابن الازور فرايت خالدا وقد انقشع لونه كالخضاب وكان ذلك منه جزع وما عهدت به ذلك فقلت يا امير على ماذا عولت فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا من القتل وانما خفت ان يأتوا المسلمين من قبلى وانى رايت قبل فتح دمشق مناما افزعنى وانا منتظر تأويله وارجوان يجعل الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا فقال ضرار خيرا رايت وخيرا يكون ان شاء الله تعالى فما الذى رايت قال رأيت المسلمين فى برية قفرة ونحن سائرون فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحوش كثيرة عظيمة اجسامها مهزولة خلقها وهى لا تلادم برماحنا ونحن نضربها بأسيافنا وهى لا تتفكر فيما نزل بها من الاذى ولا تهلع مما ينزل فلم نزل مثل ذلك حتى اجتهدنا واجتهدت خيولنا وكانى اقبلت على اصحابى وفرقتهم عليها من اربع جوانب البرية وحملت عليهم فانجفلت من ايدينا الى مضايق وتلال واودية خصبة فلم نأخذ منها الا اليسير فبينما نحن نطبخ ونشوى من اطايب لحومها واذا هى قد رجعت تطاب الحرب منا فلما نظرت اليها وقد طرحت المضايق والاجام صحت بالمسلمين اركبوا فى طلبها بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها حتى وقعت بها وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون فما بقى منهم الا اليسير فبينما انا فرح وانا أريد الرجوع بالمسلمين الى وطنهم اذ تقنطرت فرسى فطارت عمامتى من على راسى فهويت لآخذها فانتبهت من منامى وانا فزع مرعوب فهل فيكم احد يفسره فانى اقول الرؤيا ما نحن فيه قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد يراود نفسه على الرجوع فقال له عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه اما تفسير الوحوش فهؤلاء الاعاجم الذين نحن فى طلبهم واما سقوطك عن فرسك فانه امر تنحط عليه من رفعة الى خفضة واما سقوط العمامة عن راسك فالعمائم تيجان العرب وهى معرة تلحقك فقال خالد اسأل الله العظيم ان كان هذا تأويل مارايته ان يجعله من امر الدنيا ولا يجعله من امر الآخرة وبالله استعين وعليه اتوكل فى كل الامور قال ثم سار خالد والدليل امامهم حتى قطعوا الجبل فلما كانت الليلة التى اردنا ان نصبح فيها القوم اتى مطر كافواه القرب وكان من توفيق الله عز وجل انه حبس القوم عن المسير قال روح بن طريف رضى الله عنه ولقد رايتنا ونحن نسير والمطر ينزل علينا كافواه القرب طول ليلتنا فلما أصبح الله بالصباح وطلعت الشمس قال يونس أيها الامير قف حتى انظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم فقال له خالد ابن الوليد اقد سمعت صياحهم يا يونس قال نعم ايها الامير واريد منك ان تأذن لى بالمسير اليهم وآتيك بخبرهم قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط بن جعدة وقال له يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر ان تأخذ خبر كما القوم فقال المفرط السمع والطاعة لله ولك ايها الامير ثم انطلقا الى ان عليا على جبل يقال له الابرش

والروم تسميه جبل باردة قال المفرط فلما علينا عليه واذا نحن وجدنا مرجا واسعا كثير الجنبات كثير النبات وفيه خضرة عظيمة وان القوم قد أصابهم المطر حتى أحل رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اتلافها فأخرجوها وأخرجوا الديباج ونشروها فى طول المرج وقد نام أكثرهم من شدّة السير والتعب والمطر الذى أصابهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ورجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبى يونس فلما رآنى خالد وحدى أسرع الى وظن ان صاحبى أكيد فقال لى ما وراءك يا ابن جعدة اخبرنى واعجل بالخبر فقلت الخير والغنيمة يا امير وان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس وقد نشروا أمتعتهم فقال بشرك الله بالخير ثم ظهر لى من وجهه الخير والفرح والسرور فبينما نحن كذلك واذا بيونس قد أقبل فقال له خالد خيرا فقال ابشر أيها الامير فان القوم أمنوا على أنفسهم ولكن أوص أصحابك كل من وقع بزوجتى فليحفظها فما أريد من الغنيمة سواها فقال له خالد هى لك ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا قسم أصحابه أربع فرق فأمر ضرار بن الازور على ألف فارس وعلى الالف الثانى رافع بن عميرة الطائى وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق وبقى هو فى الفرقة الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى واياكم ان تخرجوا اليهم دفعة واحدة بل يخرج كل أمير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ثم افترق القوم وحمل ضرار بن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائى ثم عبد الرحمن ابن أبى بكر الصدّيق ثم خالد بن الوليد سار فى آخر القوم حتى حصلوا المرج قال عبيد بن سعيد والله لقد كدنا ان نفتتن من حسن منظره فزعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم بأعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها لكم ان شاء الله تعالى ثم عطف خالد بن الوليد رضى الله عنه على الروم وقد نظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد امامهم فعلموا انها خيول المسلمين فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها قال فتبادر الروم وهم يظنون ان ليس وراء خالد أحد واذا بضرار بن الازور قد خرج عليهم فى ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطاءى بعده وطلع عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما فى أيديهم وقد رفعوا اصواتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيل المسلمين على الروم كأنها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس برجاله قاتلوا عن نعمكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان أبدا فانقسمت الروم طائفة معه وطائفة مع اللعين توما فكان من طلب خالدا توما وقد أحدق به خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مقمعا بالذهب الاحمر فعدل خالد اليه وحمل عليه وقال يا عدوّ الله أظننتم انكم تقلتون منا والله تعالى يطوى لنا البلاد وكان توما أعور عورته ابان قال فحمل عليه وطعنه فى عينه الاخرى ففقأها وارداه عن جواده وحمل اصحابه على رجال

توما وقد وقع الصليب فلله در عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما نظر الى توما وقد سقط عن جواده نزل وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادى قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس (قال الواقدى) ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطائى كنت فى الميمنة مع خالد بن الوليد اذ نظرت الى فارس زيه زى الروم وقد نزل عن جواده وهو يقاتل علجة من نساء الروم وهى تظهر عليه مرة فدنوت انظرها فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصارعها صراع الاسد قال رافع فدنوت ان أتقدم اليهما فأعينه فقصد الى عشرة من النساء يرمون قوسى بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة حسناء عليها ثياب الديباج قال فوقع الحجر فى جبهة جوادى قال فانكب على رأسه وكان جوادا شهدت عليه اليمامة فسقط الجواد ميتا قال فأسرعت فى طلبها فهربت من بين يدى كأنها ظبية القناص وهربت النساء من ورائها فلحقتهن وقصدت قتلهن وزعقت عليهن وكنت أريد قتلهن ومالى قصد الا الجارية التى قتلت حصانى فدنوت منها وحملت عليها بالسيف صفحا على رأسها فجعلت تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها وأقبلت اليها واذا عليها ثياب الديباج وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأخذتها اسيرة من النساء واوثقتها كتافا ورجعت على اثرى فركبت جوادا من خيل الروم ثم قلت والله لامضين وانظر ما كان من أمر يونس فوجدته وهو جالس وزوجته بجانبه وقد تلطخت بدمائها وهو يبكى عليها فلما رأيتها قلت لها اسلمى فقالت لا وحق المسيح لا اجتمعت انا وانتم أبدا ثم اخرجت سكينا كانت معها فقتلت بها نفسها فقلت ان الله عز وجل ابدلك ما هى اعظم منها وعليها ثياب الديباج وشبكة من اللؤلؤ وهى كأنها القمر فخذها لك بدلا عن زوجتك فقال اين هى فقلت ها هى معى قال فلما نظر اليها والى ما عليها من الحلى والزينة وتبين حسنها وجمالها راطنها بالرومية وسألها عن امرها فرطنت عليه وهى تبكى فالتفت الى وقال لى اتدرى من هذه فقلت لا فقال هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلى يصلح لها ولا بد لهرقل من طلبها ويفديها بماله قال وافتقد المسلمون خالدا فلم يجد واله اثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد رضى الله عنه غائص فى المعركة وقصد اللعين هربيس بعد قتل توما فبينما هو يحمل يمينا وشمالا اذ نظر عليجا من علوج الروم عظيم الخلقة احمر اللون فظن خالد انه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا ليقتله فلما نظر اليه العلج والى حملته فرهاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح واذا هو واقع على الارض على ام رأسه وانقض عليه خالد كالاسد وهو يقول ويلك يا هربيس أظننت انك تفوتنى وذلك العلج يعرف بالعربية فقال يا عربى ما انا هربيس فأبق على ولا تقتلنى فقال خالد ما لك من يدى خلاص الا اذا كنت تدلنى على هربيس فاذا دللتنى عليه اطلقتك فقال له العلج انى اذا دللتك عليه تطلقنى فقال خالد نعم لك ذلك فقال العلج يا اخا العرب قم من على صدرى حتى ادلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العلج يمينا وشمالا ثم قال لخالد اترى هذا الجبل وهذه الخيل الصاعدة اقصدها فان هربيس فيها قال

فوكل خالد بالعلج واحدا وهو ابن جابر ثم اطلق خالد عنانه حتى لحق بهم وصرخ عليهم وقال
يا ويلكم اين لكم من خلاص فلما سمع هربيس ذلك ظنه من بعض العرب فزعق فيه ورجع
ورجعت البطارقة بالسلاح فقال لهم خالد يا ويلكم ظننتم ان الله لا يمكننا منكم انا الفارس
الصنديد أنا خالد بن الوليد ثم طعن فارسا فرماه وآخر فأرداه فلما سمع هربيس كلام خالد
قال لاصحابه يا ويلكم هذا الذى قلب الشام على أصحابه هذا صاحب بصرى وحوران
ودمشق واجنادين دونكم واياه قال فطمع القوم فيه لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون
فى قتال الروم ونهب الاموال وكل منهم مشتغل بنفسه قال فترجلت البطارقة حول خالد لانهم
فى جبل كثير الوعر واحاطوا بخالد بن الوليد فعندها ترجل عن جواده وأخذ سيفه وجحفته
وصبر لقتالهم قال حدثنى شداد بن أوس وكان ممن حضر وقعة مرج الديباج وقال خالد قد
صحت الرؤيا فلما ترجل أقبل يقاتل بنفسه وأقبل اليه هربيس وهو مشتغل بالقتال وأتاه
من ورائه وضرب خالدا بالسيف فوقع السيف على البيضة فقدها وقد عمامته وانقض السيف
من يد هربيس وخاف خالد ان يلتفت الى ورائه فتهجم عليه الروم وخاف ان يفلت هربيس
من بين يديه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير كأنه مستبشر
بشئ اعانه أو ادركه وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها ان يتمكن من الاعلاج فبينما هو
كذلك اذ سمع من المسلمين زعقات وقد أخذت الروم من ورائهم وهم يصيحون بالتهليل
والتكبير وقائلا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله اتاك النصر من رب العالمين انا عبد الرحمن
ابن أبى بكر الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا الى من معه دون
ان فرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال ولما ان سمع اللعين هربيس اصوات المسلمين
أراد الهرب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة أرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار واستطال
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحاب هربيس ونزلوا فيهم بالسيف حتى ابادوهم
عن آخرهم وكان أكثرهم قتلا من يد ضرار بن الازور فلما انكشف الكرب عن خالد ونظر
الى ما فعل ضرار قال افلح والله وجهك يا ابن الازور فلا زلت مباركا فى كل افعالك نجح الله
اعمالك واصلح ربى حالك ثم سلم على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعلى
المسلمين وقال من اين علمتم مكانى هذا فقال عبد الرحمن يا أمير بينما نحن فى قتال الروم
وقد نصرنا الله عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم اذ سمعنا هاتفا من الهواء يقول اشتغلتم
بالغنائم وخالد قد أحاطت به الروم فلما سمعنا ذلك لم ندر أى مكان انت فيه ونظرنا شخصك
فدلنا عليك علج كان بيد رجل من اصحابك وقال ان صاحبكم انا الذى دللته على هربيس
وانه معه فى هذا الجبل فسرنا اليك فقال خالد لقد دلنا على عدونا ودل علينا المسلمين وقد
وجب له الحق علينا ورجع خالد وأصحابه الى المسلمين فلما رأوه بادروا وسلموا عليه فرد عليهم
السلام ثم ان خالدا رضى الله عنه دعا بذلك العلج الذى دله على هربيس وقال له انك وفيت لنا
ونريد ان نوفى لك بما وعدناك لانك نصحت لنا فهل لك أن تكون من اصحاب دين الصلاة

والصيام وملة محمد عليه السلام فتكون من أهل الجنة فقال ما أريد بديني بدلا فأطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى على ظهر جواده يطلب بلاد الروم وحده ثم ان خالدا رضي الله عنه امر بجمع الغنائم والاسارى فجمع ذلك اليه فلما رأى كثرته حمد الله تعالى وشكره وأثنى عليه ودعا بدليله يونس النجيب ثم قال له ما فعلت بزوجتك فحدثه بحديثه معها وما كان من أمرها فعجب من ذلك فقال رافع بن عميرة أيها الامير اني أسرت ابنة الملك هرقل وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته فقال خالد واين ابنة الملك هرقل فمثلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشاء وتختار ثم قرأ قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ليونس أتريدها بدلا من زوجتك قال نعم ولكني أعلم ان الملك هرقل لا بد له ان يفديها بالاموال أو يخلصها بالقتال فقال خالد خذها اليك الآن فان لم يطلبها فهي لك وان طلبها فالله يعوضك خيرا منها فقال يونس أيها الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على الخروج قبل ان يلحقك نفير القوم فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد في مسيره والغنائم امامه والمسلمون في أثرها فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر قال روح بن عطية فقطعنا الطريق كلها وما عرض لنا من الروم أحد ونحن نخوض في وسط ديار القوم خوضا فلما وصلنا مرج الصغير عند قنطرة أم حكيم اذ نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما عاينَّاها أنكرنا ذلك فأسرع رجال من المسلمين الى خالد يخبرونه بالغبرة قال أيكم يأتيني بخبرها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفاري قال انا أيها الامير ثم نزل عن جواده وكان يجري بجريته يسبق الفرس الجواد بعزمه فورد الغبرة واختبرها ورجع على عقبه وهو ينادي يا أيها الامير أدركتنا الصلبان من ورائنا وهم مصفدون في الحديد لم يبن منهم غير حماليق الحدق فدعا خالد بيونس الدليل عندما قاربته الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون فقال السمع والطاعة ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال له ألم أقل لك أيها الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد انفذ هذه الخيل يريدون ان يأخذوا الغنيمة من ايدي المسلمين فلما تحقق هذا قربها من دمشق بعث رسولا يسألك في الجارية اما بيعا واما هدية فبينما خالد يتحدث اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس المسوح فأقبل حتى دنا من المسلمين فأوقفوه امام خالد وقال له قل ما تشاء فقال الشيخ انا رسول الملك هرقل وانه يقول لك بلغني ما فعلت برجالي وقتلت توماز زوج ابنتي وهتكت حرمتي وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط بمن معك والآن اما أن تبيع ابنتي أو تهديها الي فالكرم شيمتكم وطبعكم ولا يرحم من لا يرحم واني أرجو ان يقع بيننا الصلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله لا رجعت عنه وعن أهل ملته واملك سريره وما تحت قدميه كما في علمك وأما بقاؤك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل ما قصرت وأما ابنتك فهي لك هدية منا ثم ان خالدا أطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ في فدائها شيئا فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء

الروم هذا الذى اشرت عليكم فلم تقبلوه وأردتم قتلى وسيكون الامر أعظم ولكن ليس
هذا منكم بل هو من رب السماء (قال الواقدى) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد
حتى أتى دمشق وكان المسلمون وأبو عبيدة قد أيسوا من خالد ومن معه فهم فى أعظم القلق
والاياس اذ قدم عليهم خالد رضى الله عنه والمسلمون فخرجوا الى لقائه وهنوه بالسلامة وسلم
المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد فى دمشق عمرو بن معدى كرب الزبيدى ومالك بن
الاشتر النخعى ومن كان معهما واقبل خالد الى جانب أبى عبيدة وهو يحدثه بما لاقى فى غزوته
وأبو عبيدة يتعجب من شجاعته وجسارته فلما استقر بخالد مكانه أخرج الخمس من الغنائم
وفرق الباقى على المسلمين ثم ان خالدا أعطى من ماله ليونس وقال خذ هذا المال فتزوّج به
أو اشتر به جارية لك من بنات الروم قال يونس والله لا أتزوّج فى هذه الديار الدنيا زوجة
أبدا وما أريد الا زوجتى فى الآخرة بعينها من الحور العين قال رافع بن عميرة الطائى فشهد معنا
القتال الى يوم اليرموك فما كنت أراه فى حرب الا ويجاهد جهادا عظيما وقد ابلى فى الروم
بلاء حسنا فأتاه سهم فى لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى قال رافع فحزنت عليه واكثرت من
الترحم عليه فرأيته فى النوم وعليه حلل تلمع وفى رجليه نعلان من ذهب وهو يجول فى روضة
خضراء فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى واعطانى بدلا من زوجتى سبعين حوراء لو بدت
واحدة منهن فى الدنيا لكف ضوء وجهها نور الشمس والقمر فجزاكم الله خيرا فقصصت
الرؤيا على خالد فقال ليس والله سوى الشهادة طوبى لمن رزقها (قال الواقدى) ولقد
بلغنى ان خالدا رضى الله عنه لما رجع من غزوته ومسيرته غانما ظن ان الخليفة أبا بكر الصدّيق
رضى الله عنه حى لم يقبض فهم ان يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم وأبو عبيدة
لا يخبره بذلك ولا يعلمه ان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعا خالد بدواة وبياض
وكتب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على
الشام خالد بن الوليد أما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انا لم نزل فى مكايدة العدوّ وعلى حرب دمشق حتى أنزل الله علينا
نصره وقهر عدوّه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب شرقى وكان أبو عبيدة على باب الجابية
فخدعته الروم فصالحوه على الباب الآخر ومنعنى ان أسبى واقتل ولقيناه على كنيسة
يقال لها كنيسة مريم وامامه القسوس والرهبان ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك توما وآخر
يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم واحمال جسيمة فسرت خلفهما فى عساكر
الزحف وانتزعت الغنيمة من أيديهما وقتلت الملعونين وأسرت ابنة الملك هرقل ثم أهديتها
اليه ورجعت سالما وأنا منتظر أمرك والسلام عليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط
فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فورد على الخليفة عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فقرأ عنوان الكتاب واذا هو من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة أبي بكر رضى الله عنه فقال لا يا أمير المؤمنين فقال قد وجهت بذلك كتابا الى أبي عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن ان أبا عبيدة يريد الخلافة لنفسه فسكت وقرأ الكتاب قال أصحاب السير فى حديثهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم فى أول الكتاب ممن روى فتوح الشام ونقلوه عن الثقاة منهم محمد بن اسحاق وسيف بن عمرو وأبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى رضى الله تعالى عنهم كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة قالوا جميعا فى اخبارهم انه لما قبض أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وولى الامر بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله من العمر اثنان وخمسون سنة فبايعه الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته أحد لا صغير ولا كبير وانقطع فى امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوى السلطان فى امارته وضعف كيد الشيطان وظهر أمر الله وهم كارهون ومن أمره أن يجلس ويتلطف بالناس والمسلمين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى أهله ولا تأخذه فى الله لومة لائم وكان فى امارته يدور فى اسواق المدينة وعليه مرقعة وبيده درته وكانت درته أهيب من سيف الملوك وسيوفكم هذه وكان قوته فى كل يوم خبز الشعير وادمه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح تزهدا واحتياطا وترفقا على المسلمين ورأفة ورحمة لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله شاغل عن اداء الفريضة وما أوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها ولقد تولى والله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخلافة فجد فى التشمر وترك عن نفسه التكبر ولقد كان اكثر قوته خبز الشعير والملح وأراد أكل الزيت واليابس من التمر وربما أخذ شيئا من السمن ويقول أكلات الزيت وخبز الشعير والملح والجوع أهون غدا من نار جهنم من حل بها الميت ولم يجد فيها راحة أبدا قرارها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون جند الجنود فى امارته وبعث العساكر وفتح الفتوحات ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار رضى الله تعالى عنه (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ولقد بلغنى ان هرقل لما بلغه ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد ولى الامر من بعد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جمع الملوك والبطارقة وأرباب دولته وأقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له فى كنيسة القسيسين وقال يا بنى الاصفر هذا الذى كنت أحذركم منه فلم تسمعوا منى وقد اشتد الامر عليكم ولا بد لهذا الرجل الاسمر وقد دنا ما بعد الولاية صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم والله لا بد أن يملك ما تحت سريرى هذا فالحذر ثم الحذر قبل وقوع الامر ونزول الضرر وهدم القصور وقتل القسوس وتعطيل الناقوس هذا صاحب الحرب والجالب على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد فى دنياه وهذا الغليظ على من اتبع فى غير ملته هواه وانى أرجو لكم النصران أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتما الظلم واتبعتم المسيح فى اداء المفروضات ولزوم الطاعات وترك الزنا وأنواع

الخطاء

الخطاء وان أبيتم الا الفساد والفسوق والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله عليكم
عدوكم ويبليكم بما لا طاقة لكم به ولقد أعلم أن دين هؤلاء سيظهر على كل دين ولا تزال
أهله بخير ما لم يغيروا ويبدلوا فاما أن ترجعوا اليه واما ان تصالحوا القوم على أداء الجزية
فلما سمع القوم ذلك نفروا وبادروا اليه وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه ولاطفهم
وقال لهم أنا أردت ان أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف العرب فى قلوبكم أم لا ثم
استدعى برجل من المتنصرة يقال له طليعة بن ماران وضمن له مالا وقال له تنطلق من
وقتك هذا الى يثرب وتنظر كيف تقتل عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم أيها الملك
ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمن حولها واذا بعمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج يشرف على أموال اليتامى ويفتقد حدائقهم فصعد
المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بأوراقها واذا بعمر رضى الله تعالى عنه قد أقبل الى
أن قرب من الشجرة التى عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر فلما نام هم المتنصر ان ينزل
اليه ليقتله واذا بسبع قد اقبل من البرية فطاف حوله واقبل يلحس قدميه واذا بهاتف
يقول يا عمر عدلت فأمنت فلما استيقظ عمر رضى الله تعالى عنه ذهب السبع ونزل
المتنصر وترامى على عمر رضى الله تعالى عنه فقبل يديه وقال بأبى انت وامى افدى من
الكائنات من السباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم اعلمه بما كان منه واسلم
على يديه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه كتب كتابا لابى
عبيدة بن الجراح يقول فيه قد وليتك على الشام وجعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد
ابن الوليد والسلام ثم سلم الكتاب الى عبد الله بن قرط واقام قلقا على ما يرد عليه من امور
المسلمين وصرف همته الى الشام (قال الواقدى) حدثنى رافع بن عميرة الطائى قال حدثنى
يونس بن عبد الاعلى قرات عليه بجامع الكوفة قال عبد الله بن سالم الثقفى عن اشياخه
الثقاة قال لما كانت الليلة التى مات فيها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رأى
عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله تعالى عنه رؤيا فقصها على عمر رضى الله تعالى عنه
وتلك الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكانى أسمع تكبيرهم فى اذنى وعند
تكبيرهم وزحفهم رايت حصنها قد ساخ فى الارض حتى لم ار منه شيأ ورايت خالدا وقد دخلها
بالسيف وكان نارا امامه وكانه وقع على النار فانطفت فقال الامام على كرم الله وجهه ورضى
الله تعالى عنهم اجمعين ابشر فقد فتح الشام هذه الليلة اوقال يومك هذا ان شاء الله تعالى
وبعد ايام قدم عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما رآه
قال يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة قال ما معك من الخبر فقلت خير
وبشارة وانى سأذكرها بين يدى الصديق رضى الله تعالى عنه فقال قبض والله حميدا
وسار الى رب كريم وقلدها عمر الضعيف فى جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أو خلط هلك
قال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأخرجت

الكتاب فدفعته اليه فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى
رقى المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل والتكبير
وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بتوليته وعزل خالد ثم
سلمنى الكتاب وامرنى بالرجوع قال فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما
وهربيس فدفعت الكتاب الى أبى عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر أحدا بموت أبى بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه ثم كتم أمره وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية
فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم وبما ملكوا من مرج الديباج واطلاق
بنت الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط فلما ورد به على عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى
عنه أنكر الامر ورجعت حمرته الى البياض وقال يا ابن قرط اما علم الناس بموت أبى بكر
رضى الله عنه وتوليتى اباعبيدة بن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت لا فغضب وجمع الناس
اليه وقام على المنبر ثم قال يامعاشر الناس انى أمرت اباعبيدة الرجل الامين وقد رأيته لذلك
أهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بنى مخزوم اتعزل رجلا قد اشهر الله بيده
سيفا قاطعا ونصر به دينه وان الله لا يعذرك فى ذلك ولا المسلمون ان انت أغمدت سيفا وعزلت
اميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضى الله تعالى عنه الى الرجل
المخزومى فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل عن المنبر
واخذ الكتاب وجعله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه فى عزل خالد فلما كان من الغد
صلى صلاة الفجر وقام فرقى المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول صلى الله عليه
وسلم فصلى عليه وترحم على ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم قال ايها الناس انى
حملت امانة عظيمة وانى راع وكل راع مسئول عن رعيته وقد جئت الى صلاحكم والنظر
فى معايشكم ومايقربكم الى ربكم انتم ومن حضر فى هذا البلد فانى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من صبر على اذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد
لا زرع فيها ولا ضرع ولاما أورق به على الابل الامن مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة
وانى اريدها للخاصة والعامة ذا أدى الامانة والتوقير للمسلمين وليس انى كرهت ولاية
خالد على المسلمين لان خالدا فيه تبذير المال يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى المجاهد
والفارس بين يديه فوق مايستحقه من حقه ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيئا وانى
اريد عزله وولاية ابى عبيدة مكانه والله يعلم انى ماوليته الا امينا فلا يقول قائلكم عزل
الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين فان الله معه ليشدده ويعينه ثم نزل عن المنبر
واخذ جلد أدم منشور وكتب الى ابى عبيدة كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى ابى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فانى
احمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد فقد وليتك امور

المسلمين فلا تستحي فان الله لا يستحي من الحق واني اوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ماسواه والذي استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد استعملتك على جند ماهنالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل اني ارجوا لكم النصر فان النصر انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك والتغرير بالقاء المسلمين الى الهلكة وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك واياك ان تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار وقد تقدم فيها سلفك وانت كأنك منتظر سفرا او رحيلا من دار قد مضت نضارتها وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل منها الى غيرها و يكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت واما الحنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكثرت في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين واما الذهب والفضة ففيها الخمس والسهام واما اختصامك انت وخالد في الصلح او القتال فانت الولي وصاحب الامر وان صلحك جرى على الحقيقة انها للروم فسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين واما هدية ابنة الملك هرقل فهديتها الى ابيها بعد اسرها تفريط وقد كان يأخذ في فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ثم دعا بعامر بن ابي وقاص اخي سعد ودفع الكتاب اليه وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابي هذا الى أبي عبيدة وامره ان يجمع الناس اليه وتقرأه انت على الناس يا عامر واخبره بموت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم دعا عمر رضي الله تعالى عنه بشداد بن أوس فصافحه وقال امض انت وعامر الى الشام فاذا قرأ ابو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك بيعتي (قال الواقدي) فانطلقا مجدان في السير الى ان وصلا الى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وما يأمرهم به فاشرف صاحبا عمر رضي الله تعالى عنه على المسلمين وقد طالت اعناقهم اليهما وفرحوا بقدومهما فاقبلا حتى نزلا في خيمة خالد رضي الله عنه وقال له عامر بن ابي وقاص تركته يعني عمر بخير ومعي كتاب وانه أمرني ان اقرأه على الناس بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن ابي وقاص فقرأ الكتاب فلما انتهى الى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد رضي الله تعالى عنه وقال ان كان ابو بكر قد قبض وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لعمر ومابه امروقرأ عامر الكتاب الى آخره فلما سمع الناس بما فيه من امر المبايعة لشداد بن اوس بايعوه وكانت المبايعة بدمشق لثلاث خلت من شهر شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة (قال الواقدي) رحمه الله تعالى قد بلغني انه كان على العدو بعد عزله اشد فظاعة واصعب جهادا لا سيما في حصن ابي القدس

(ذكر حديث وقعة ابي القدس)

(قال الواقدى) رحمه الله تعالى سألت من حدث بهذا الحديث عن حصن ابى القدس قال
ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه دير فيه صوامع وفى الصومعة
راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة واخبار الامم الماضية المتقدمة وكان
تقصد اليه الروم وتقتبس من علمه وله من العمر ما ينوف عن مائة سنة وكان فى كل سنة يقوم
عند ديره عيد آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع
النواحى والسواحل ومن قبط مصر يجتمعون به ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروته فيعلمهم
ويوصيهم من وصايا الانجيل وكان يقوم فى ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة وكان
يحمل له الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة أيام وما كان المسلمون يعلمون
بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصرانى من المعاهدين قد اصطفاه وأمنه وأهله فلما ولى
أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد ان يتقرب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فعسى
ان يكون فتح الدير والسوق على يديه فأقبل اليه وأبو عبيدة قد أطال الفكر فيما يصنع وأى
بلد من بلاد الروم يقصد فمرة يقول أسير الى بيت المقدس بالجيش فانها اشرف بلدهم وكرسى
مملكة الروم بها قيام دينهم ووقتا يقول أسير الى انطاكية واقصد هرقل وافرغ منه وهو يفكر
فى أمره وقد جمع المسلمين واذا قد أقبل ذلك المعاهد وكان من نصارى الشام فقال أيها
الامير انك قد احسنت الى وأمنتنى ووهبتنى أهلى ومالى وولدى وقد اتيتك ببشارة وغنيمة
تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم فان ظفرهم الله بها استغنوا غناء لا فقر بعده فقال أبو
عبيدة اخبرنا ما هذه الغنيمة واين تكون فاعلمتك الا ناصحا فقال ايها الامير انها بازائك على
دير الساحل وهو حصن يعرف بأبى القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية
ويتبركون بدعائه ويقتبسون من علمه وله فى كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحى
والقرى والامصار والضياع والاديرة ويقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم
من الديباج والذهب والفضة يقيمون عنده ثلاثة أيام أو سبعة وقد قرب وقت قيام السوق
فتأخذون جميع ما فيه وتقتلون الرجال وتسبون النساء والذرارى وهذه غنيمة يفرح بها
المسلمون ويوهن لها عدوكم قال الواقدى فلما سمع أبو عبيدة ما قاله المعاهد فرح رجاء ان يكون
ما قاله المعاهد غنيمة للمسلمين فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير قال عشر فراسخ للمجد
السائر قال أبو عبيدة وكم بقى الى قيام السوق قال ايام قلائل قال أبو عبيدة فهل يكون
لهم حامية يلى أمرهم ويصد عنهم قال المعاهد ليس نعرف ما ذكرت فى بلاد الملك لانه لا يصيب
بعضنا بعضا الهيبة هرقل فى قلوبهم فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال هل بالقرب من مدائن
الشام قال نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهى مينا الشام اليها تقدم المراكب
من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر وقد اقطعه الملك اياها من تجبره وهو يحضر
السوق وما كنت اعهد ان لهذا السوق حامية من الروم الا ان يكون الآن نخوفهم منكم
ولو سار الى الدير والسوق ادنى المسلمين لرجوت لهم الفتح ان شاء الله تعالى فقال أبو عبيدة

ايها

ايها الناس ايكم يهب نفسه لله تعالى وينطلق مع جيش ابعثه فتحا للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم أحد فنادى أبوعبيدة ثانية واغمابريد خالدا بقوله واستحى ان يواجهه في ذلك لاجل عزله فقام من وسط الناس غلام شاب نبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبدالله بن جعفر رضى الله تعالى عنه وكانت أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وكان أبوه جعفر رضى الله تعالى عنه قدمات في غزوة تبوك وخلف هذا ولده عبدالله صغيرا فتزوجها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما كبر وترعرع كان يقول لامه ياأماه مافعل أبى فتقول ياولدى قتله الروم وكان يقول لان عشت لآخذن بثاره فلما مات أبو بكر وتولى عمر رضى الله تعالى عنهما جاء عبدالله الى الشام في بعث بعثه عمر مع عبدالله بن انيس الجهنى وكان فيه مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه وهو أحد اصحاب الاستحياء فلما قال أبوعبيدة رضى الله تعالى عنه أيها الناس من ينطلق الى هذا الدير وثب عبدالله بن جعفر الطيار رضى الله تعالى عنهما فقال أنا أول من يسير مع هذا البعث ياامين الامة ففرح ابوعبيدة وجعل يندب له رجالا من المسلمين وفرسان الموحدين وقال له أنت الامير عليهم ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له راية سوداء وسلمها اليه وكان على الخيل خمسمائة فارس منهم رجال من أهل بدر وكان من جملة من سيره مع عبدالله أبوذر الغفارى وعبدالله بن أبى اوفى وعامر بن ربيعة وعبدالله بن انيس وعبدالله بن ثعلبة وعقبة بن عبدالله السلمى وواثلة بن الاسقع وسهل بن سعد وعبدالله ابن بشر والسائب بن يزيد ومثل هؤلاء السادات رضى الله تعالى عنهم أجمعين (قال الواقدى) ولما ان اجتمعت الخمسمائة فارس تحت راية عبدالله بن جعفر ومامنهم الامن شهد الوقائع وخاض المعامع لايولون الادبار ولايركنون الى الفرار عولوا على المسير وقال أبو عبيدة لعبدالله بن جعفر ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقدم على القوم الافى أول قيام السوق ثم انه ودعهم وساروا (قال الواقدى) وكان في هذه السرية مع عبدالله بن جعفر ابن الاسقع وكان خروجهم من أرض الشام وهى دمشق الى دير أبى القدس في ليلة النصف من شعبان وكان القمر زائد النور قال وانا الى جانب عبدالله بن جعفر فقال لى ياابن الاسقع مااحسن قمر هذه الليلة وأنوره فقلت له ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان وهى ليلة مباركة عظيمة وفى هذه قال الله تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أردت ان أقومها فقلت ان سيرنا في سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء فقال صدقت ثم انناسرنا ليلتنا فبينما نحن سائرون اذا شرفنا على صومعة راهب وعليه برنس أسود فجعل يتأملنا وينظر في وجوهنا ويتفقدنا واحدا بعد واحد ثم جعل يطيل النظر في وجه عبدالله ثم قال هذا الفتى ابن نبيكم فقلنا لا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل يلحق به فقلنا هو ابن عمه فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة فقال عبدالله أيها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته فى التوراة والانجيل والزبور وانه
صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهر فقال عبد الله فلم لا تؤمن به وتصدقه فرفع يده الى
السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فأعجبنا كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا
اذ أتى بنا الى واد كثير الشجر والماء فأمرنا ان نكمن فيه ثم قال لعبد الله بن جعفر انى ذاهب
أجس لكم الخبر فقال له عبد الله أسرع فى مسيرك وعد الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا
وأقام عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح قال فلما أصبحنا صلينا صلاة الصبح
وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فلم يأت وأبطأ خبره علينا فقلق المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا
من المكيدة ووسوس لهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين الا من ظن
بالمعاهد شرا الا أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه قال ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافوا
منه كيدا ولا مكرا ان له شأنا تعلمونه قال فسكت الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم قد أقبل
قال واثلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا انه يأمرنا بالنهوض الى العدو فأقبل حتى
وقف وسط المسلمين وقال يا أصحاب محمد وحق المسيح ابن مريم انى لا أكذبكم فى ما حدثتكم به
وانى رجوت لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء فقال له عبد الله رضى الله تعالى
عنه وكيف أحيل بيننا وبينها قال حال بينكم وبينها بحر عجاج وذلك انى أشرفت على
السوق وقد قام فيه البيع والشراء فاجتمع فيه أهل دين النصرانية وقد دار أكثرهم بالدير دير
أبى القدس واجتمع اليه الاقساء والرهبان والملوك والبطارقة فلما نظرت الى ذلك لم أرجع
حتى اختبرت ما السبب الذى تجمعت له الخلائق زائدة على كل سنة وذلك انى مضيت واختلطت
بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا من ملوك الروم وقد أتوا بالجارية الى
عند الدير ليأخذوا لها من راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المتنصرة فى عددهم
وعديدهم كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون انكم بأرض الشام يا معاشر المسلمين وما أرى
لكم صوابا ان تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير وجم غفير وجمع غزير فقال عبد الله بن
جعفر رضى الله تعالى عنه فى كم يكون القوم وكم حزرتهم فقال أما السوق ففيه أكثر من
عشرين ألفا من عوام الروم والارمن والنصارى والقبط واليهود ومن مصر والشام وأهل
السواد والبطارقة والمتنصرة وأما المستعدون للحرب فخمسة آلاف فارس فما لكم
بالقوم طاقة وان وقع الصائح فى بلادهم انضاف اليهم أمثالهم فان بلادهم متصلة بهم وأما
أنتم فعددكم يسير والعرب منكم بعيد قال الواقدى فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر
وعلى المسلمين وسقط ما فى أيديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين
ما الذى تقولون فى هذا الامر فقالوا نرى أن لا نلقى بأيدينا الى التهلكة كما أمرنا ربنا فى كتابه العزيز
ونرجع الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه والله لا يضيع أجرنا قال فلما سمع عبد الله قولهم
قال أما أنا فأخاف ان فعلت ذلك أن يكتبنى الله من الفارين وما أرجع وأبدى عذرا عند
الله تعالى فمن ساعدنى فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمعوا ذلك من

كلام عبد الله بن جعفر أميرهم وبذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ماتريد فما ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم عمد على درعه فافرغه عليه ووضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده وأخذ الراية بيده وأمر الناس بأخذ الاهبة فلبسوا دروعهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا للدليل سر بنا نحو القوم فسر تعاين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن الاسقع فرأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال سيروا أنتم برأيكم وما على من أمركم وخرج قال أبو ذر الغفاري فرأيت عبد الله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه يدل به على القوم ساعة ثم وقف وقال امسكوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا في مواضعكم مكمنين الى وقت السحر ثم اعبروا على القوم قال واثلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء فلما اصبح النهار صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال ماتريدون في الغارة فقال عامر بن عميرة بن ربيعة ادلكم على أمر تصنعونه قالوا قل قال اتركوا القوم في بيعهم وشرائهم واظهار امتعتهم ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من امرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق ثم اظهروا السيوف من اغمادها واوتروا القسي وشرعوا الاماتهم وعبد الله بن جعفر أمامهم والراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل مائة منكم قطرا من اقطار سوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غارة ولكن ضعوا السيوف في المفارق والعواتق وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم متفرقين في الارض كأنهم النمل لكثرتهم وقد أحدق منهم بدير الراهب خلق كثير والراهب قد اخرج رأسه من الدير وهو يعظ الناس ويوصيهم ويعلمهم معالم ملتهم وهم اليه شخوص بابصارهم وابنة البطريق عنده في الدير والبطارقة وأبناؤهم عليهم الديباج المثقل بالذهب ومن فوقهم دروع وجواشن تلمع وبيض وهم يتغارون صيحة بين ايديهم أو طارقا يطرقهم من خلفهم ونظر عبد الله الى الدير والى ما أحدق به والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من أمرهم وصاح فيهم قبل الحملة وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا بارك الله فيكم فان كانت غنيمة وسرورا فالفتح والسلامة ويكون الاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك فهو وعدنا الجنة ونلتقي عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة قال وطلب عبد الله الجم العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه ويطعن برمحه ويحمل المسلمون من ورائه وسمع الروم أصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا ان جيوش المسلمين قد ادركتهم وكانوا الى ذلك منتظرين وعلى يقظة من امرهم فاما السوقة فانهم تبادروا الى اسلحتهم والمنع عن انفسهم واموالهم واخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفة الاسد الضاري وطلبوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فأحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت

الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد وأحدق الروم بالمسلمين فما كان المسلمون فيهم الا كشامة بيضاء فى جلد بعير اسود فما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكل احد مشتغل بنفسه عن غيره قال ابو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن ابى قدس وكان من السابقين المتقدمين بايمانهم فى الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وشهدت المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر وفى احد وفى حنين وقات انى لا اشاهد مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم استطع ان اقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت مكة فاقمت بها فعوتبت فى منامى من التخلف عن الجهاد فخرجت الى الشام وشهدت اجنادين والشام وسرية خالد خلف توما وهربيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على دير ابى القدس فانستنى وقعتها ماشهدت قبلها من الوقائع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انى نظرت الى الروم حين حملنا عليهم فى كثرتهم وعددهم وقلنا مالم غيرهم وليس لهم كمين فخرج لهم كمين عظيم قال فراينا اجسادهم هائلة وعليهم الدروع وما يتبين منهم الا سواد الحدق لهم طقطقة وزمجرة عند ما يحملون حتى نظرت الى المسلمين قد غابوا فى اوساطهم ولا اسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرونها وتارة اقول هلكوا ثم انظر الى الراية بيد عبد الله ابن جعفر رضى الله تعالى عنه مرفوعة فافرح بذلك وعبد الله يقاتل بالراية ويكر على المشركين ولا ينثنى ويجاهد على صغر سنه ولم تزل الحرب بيننا كلما طال مكثها اشتد ضرامها وعلا قيامها والتهبت نارها وصار عبد الله فى وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقون به فجعل كلما حمل يمينا ملت يمينا وان حمل شمالا جاءت شمالا ولم نزل فى الحرب والقتال حتى كلت منا السواعد وخدلت منا المناكب قال وعظم الامر علينا وقل منا الصبر وتثلم سيف عبد الله فى يده وكادت تقع فرسه من تحته فالتجأ باصحابه فى موضع فاجتمع اصحابه اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها ومامنهم الامكلوم من المشركين فضاق لذلك ذرعه ومانزل به فى نفسه مثل مانزل بالمسلمين فالجأ الى الله تعالى أمره وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يديه الى السماء وقال فى دعائه يامن خلق خلقه وأبلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسالك بجاه النبى محمد صلى الله عليه وسلم لاما جعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه تحت رايته فلله در أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بين يديه قال عمرو بن ساعدة فلقد رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضربا شديدا فى الروم وينتمى الى قومه ويذكر عند حملاته اسمه ويقول أنا أبو ذر والمسلمون يفعلون كفعله الى ان بلغت القلوب الحناجر وظنوا ان ذلك الموضع قبورهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الله بن أنيس الجهنى قال كنت أحب جعفرا وأحب من أولاده عبد الله فلما قبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه كان قائما مقام أبيه نظرت الى أمه اسماء بنت عميس حزينة

فكرهت

فكرهت ان أنظر اليها فى ذلك الحزن وأيضا ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يحب عبدالله
حبا شديدا فاستأذن عبدالله بن جعفر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى المسير الى الشام
وقال لى يا ابن أنيس الجهنى اشتهى ان الحق بالشام ومعنا عشرون فارسا أكون مجاهدا
أفتصحبنى فقلت نعم فودع عمه عليا رضى الله تعالى عنهما وودع عمر رضى الله تعالى عنه
وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارسا حتى أتينا تبوك فقال يا ابن أنيس أتدرى موضع قبر أبى
فقلت نعم فقال أشتهى ان أرى الموضع قال فنزلنا حتى اتينا الموضع فأريته موضع مصرع
أبيه وموضع الوقعة وقبر أبيه جعفر رحمه الله تعالى وعليه حجارة فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه
وبكى وترحم فأقمنا عنده الى صبيحة اليوم الثانى فلما رحلنا رأيت عبدالله يبكى ووجهه مثل
الزعفران فسألته عن ذلك فقال رأيت أبى البارحة فى النوم وعليه حلتان خضراوتان وتاج
وله جناحان وبيده سيف مسلول أخضر فسلمه الى وقال يا بنى قاتل به اعداءك فما وصلت الى
ماترى الا بالجهاد وكأنى أقاتل بالسيف حتى تثلم قال عبدالله بن أنيس وسرنا حتى أتينا
عسكر أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بدمشق فبعثه أمير تلك السرية الى دير أبى القدس قال
عبدالله بن أنيس فلما رأيت الوقعة بينه وبين الروم فقلت يوشك ان يذهب عبدالله فسرت
كالبرق ورجعت الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما رآنى قال أبشارة يا ابن أنيس أم لا فقلت
انفذ المسلمين الى نصرة عبدالله بن جعفر ومن معه ثم حدثته بالقصة فقال أبو عبيدة رضى الله
تعالى عنه انا لله وانا اليه راجعون أصاب عبدالله بن جعفر ومن معه تحت رايتك
يا أبا عبيدة وهى أوّل امارتك (قال الواقدى) ثم التفت الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه فقال له يا أبا سليمان سألتك بالله الحق عبدالله بن جعفر فأنت المعدّ لها فقال خالد
أنا لها ان شاء الله تعالى وما كنت أنتظر الا ان تأمرنى فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه
استحييت منك يا أبا سليمان فقال والله لو أمر على طفل صغير لاطعن له فكيف أخالفك
وأنت أقدم منى ايمانا وأسبق اسلاما سبقت باسلامك مع السابقين وسارعت بايمانك
مع المسارعين وسماك رسول الله بالامين فكيف الحقك أو أنال درجتك والآن أشهدك
أنى قد جعلت نفسى حبسا فى سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت امارة بعدها أبدا
(قال الواقدى) فاستحسن المسلمون قوله فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يا أبا سليمان الحق
اخوانك رحمك الله قال فوثب خالد رضى الله عنه كانه الاسد وسار الى رحله فأفرغ عليه
درع مسيلمة الكذاب الذى سلبه منه يوم اليمامة وألقى بيضة على رأسه وأردفها بالقلنسوة
وتقلد بحسامه وانتصب فى سرجه كانه صب فيه ونادى بجيش الزحف هلموا الى حزب
السيوف فأجابوه مسرعين كانهم العقبان وبادروا الى طاعة الرحمن وأخذ خالد الراية بيده
وهزها على ركابه ودار به عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم بعضا وساروا
وسار خالد وعبدالله بن أنيس يدلهم الى الطريق قال رافع بن عميرة الطائى كنت
يومئذ من أصحاب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولم يزل مجدا فى السير والله عز وجل

يطوى لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس أشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر قد غرق المسلمون فى كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس فى أى جانب أطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه واعد أصحابه أن يلتقوا عند دير الراهب أو موعدهم الجنة (قال الواقدى) فنظر خالد نحو الدير الراية الاسلامية وهى بيد عبد الله بن جعفر وما من المسلمين الا من أصيب بجرح وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا فى الحياة السرمدية والروم تناوشهم بالحرب وتكثر بالطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم والمشركين واصبروا القتال المارقين واعلموا انه قد تجلى عليكم ارحم الراحمين ثم قرا الآية قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد رضى الله تعالى عنه الى صبرهم وتجلدهم على القتال فى اعدائهم لم يطق الصبر دون ان حمل عليهم وهز رايته وقال لاصحابه دونكم القوم القباح فاروا من دمائهم السلاح وابشروا بالنجاح يا اهل حى على الفلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما أصحاب عبد الله بن جعفر فى أشد ما يكون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحدين كانهم الطيور ولها الرجال كانهم العقبان الكاسرة والليوث الضاربة وهم غائصون فى الحديد وقد ارتفع لهم الضجيج وبخيلهم العجيج فلما نظر عبد الله وأصحابه الى ذلك ظنوا انها نجدة للاعداء فأيقنوا بالهلاك والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التى رأوها واذا هى قاصدة اليهم ففزعوا وجزعوا وظنوا ان كمينا من الروم قد خرج لقتالهم فعظم عليهم الامر وقل منهم الصبر واخذهم الانبهار وقد أتى الى المشركين الدمار واتاهم حرب مثل النار والسيوف تلمع والرؤس من الرجال تقطع والارض قد امتلأت قتلى وهم فى ايدى المشركين كالاسرى والقوم فى اشد القتال والسيف يعمل فى الرجال اذ نادى بهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الآمن ونصر الخائف يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت المرهفات البواتر واذا بفارس على المقدمة وهو كانه الاسد الزائر والليث الهادر وبيده تشرق بالانوار كاشراق القمر فنادى الفارس بأعلى صوته ابشروا يا معاشر حملة القرآن بالنصر المشيد انا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الراية وسمعوا صوت خالد رضى الله تعالى عنه كانهم كانوا فى لجة واخرجهم فأجابوه بالتهليل والتكبير وكانت اصواتهم كالرعود القواصف والرياح العواصف ثم حمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بجيش الزحف الذى لا يفارقه ووضع السيف فى الروم قال عامر بن سراقة فما شهدت حملته الا حملة الاسد فى الغنم ففرقهم يمينا وشمالا قال فثبت المسلمون وكل علج من الروم شديد هو يمانع عن نفسه وخالد يطلب ان يصل الى عبد الله بن جعفر ولما نظر المسلمون الى الخيل المقبلة عليهم فلم يعلموا ما هى حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم فقال يا ايها الناس دونكم الاعداء فقد جاءكم النصر من رب السماء ثم حمل وحملت المسلمون معه قال واثلة بن الاسقع لقد كنا أيسنا من انفسنا وايقنا بالهلاك حتى اتتنا المعونة والنصر من الله عز وجل فحملنا بحملة اخواننا قال فما اختلط الظلام حتى

نظرت الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم الى المراعى والمسلمون يقتلون و يأسرون فلله در أبى ذر الغفارى وضرار بن الازور والمسيب بن نجبة الفزارى قد أقرنوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما فنظر اليه والدم على اكمام درعه كاكباد الابل فقال شكر الله تعالى لك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انك قد أخذت بثار أبيك وشفيت غليلك فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما من الرجل المخاطب لى وكان الظلام قد اعتكر وضرار ملثم لا يبان منه الا الحدق فلم يعرفه عبد الله فقال انا ضرار بن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بطلعتك وباخ مناعدل لنا وقام لنصرتنا قال عبد الله بن انيس فبينما هم على ذلك اذ قبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الزحف فقال شكر لك الله واحسن جزاك ثم قال عبد الله يا ضرار اعلم ان حامية الروم والبطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس وما معها من الاموال وقد أحاط بها كل فارس من الروم فهل لك يا ابن الازور ان تحمل معى فقال وأين هم فقال أما تنظر اليهم فمد عينه واذا بحامية الروم وبطريق طرابلس وقد احدقوا بالدير يمنعون عن الجارية والنيران مشتعلة والصلبان تلمع كضوء النار كانهم سد من حديد فقال ارشدك الله للخيرات فنعم المرشد انت احمل حتى احمل معك بحملاتك قال فحمل عبد الله بن جعفر من جهته وحمل ضرار بن الازور من جهته واتبعتهما الرجال وزعقوا فى الروم وحماة المشركين وهم يمانعون عن انفسهم وكان اشدهم منعة بطريقهم فبرز امام القوم وهو يهدر كالبعير ويزار زار الاسد يصيح بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وباطشه فى الضرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه فى سرجه وشدة ضربه وحسن احترازه فأخذ ضرار منه حذره واحترز منه البطريق وطلبه اشد الطلب وكل واحد منهما طامع فى صاحبه فانفرد ضرار بن الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه وليس مع ضرار احد من المسلمين فانبسط ضرار بين ايديهم ليمكر بهم وطلبه البطريق واصحابه وقصدوه بحملاتهم فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا يصلح لجال الخيل فاعترضه واحد فى ظلمة الليل فكبا به الجواد فسقط الى الارض هاويا ثم ثار من سقطته يروم اخذ الفرس فلم يجد الى ذلك سبيلا فوقف مكانه وسيفه وحجفته بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم يأخذه فى الله لومة لائم فخفق عليه بطريق الروم واقبل يضربه بعامود فلما لازمه ورمى العامود عليه زاغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه ضربة فجع فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشبك بيديه فضربه الثانية فوقعت ضربة ضرار فى عين جواده فانتكس الجواد الى الارض ووقع العلج على ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد فى سرجه فعاجله ضرار قبل وصول غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فنبا سيفه ولم يعمل شيأ فناهضه العلج وقد ايقن بالهلاك وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحته وملك صدره واستوى على نحره وكان مع

ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صدر عدوّ الله الى سرته فسقط
عدوّ الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم وثب ضرار وملك جواد عدوّ الله
واستوى فى سرجه وكان على الجواد كثير من الذهب والفضة والفصوص التى تساوى ثمنا
كثيرا فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا وكان ضرار
لما انبسط امام القوم ملك عبد الله بن جعفر الدير ومن فيه هو ومن معه من المسلمين
وأحدقوا به ولم يأخذوا منه شيأ حتى رجع خالد رضى الله تعالى عنه من اتباع الروم وذلك ان
خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام والروم يعرفون مخائضه فوقف
خالد ورجع الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا
العلج وانتشرت الناس فى جمع الغنائم وما كان فى السوق من المتاع والفراش والقماش
والثياب والطعام وغيره قال واثلة بن الاسقع فجعلنا نجمعه ونأكل من الخيرات
وأخرجوا ما كان فى الدير من آنية الذهب والفضة والستور والمراتب وأخرجوا ابنة البطريق
ومعها أربعون جارية لها حلى وحلل المال على البراذين والبغال والحمير وانقلب أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والاموال الجسيمة (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
فنسبت تلك السرية لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وعبد الله بن أنيس مدركها وخالد بن
الوليد منجدها ولقى خالد فيها مشقة وجراحا مؤلمة فلما ساروا أقبل خالد الى الدير فصاح
بصاحبه يا راهب فلم يكلمه فهتف به مرة أخرى وهدده فاطلع عليه وقال ما تشاء وحق المسيح
ليطالبنك صاحب هذه الخضراء بدماء من قتلت فقال خالد كيف يطالبنا وقد أمرنا ان
نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب ووالله لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهانا أن نتعرض لكم لا تركتك فى صومعتك وكنت قتلتك أشر قتلة فسكت الراهب عنه
ولم يجبه وانقلب خالد والمسلمون بالغنائم الى دمشق وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فيها فشكر
لهم وسلم على خالد وعلى عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ورجع الى مكانه فخمس
الغنيمة وقسمها على الناس فدفع لضرار بن الازور فرس البطريق وسرجه وما عليه من
حلى الذهب والفضة والجواهر والفصوص فأتى به ضرار الى أخته الست خولة رضى الله تعالى
عنها قال فرأيتها تنزع فصوص الجواهر فتفرقها على نساء المسلمين وان الفص منها يساوى
الثمن الكثير قال وعرض السبى على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وفى الجملة ابنة البطريق
فقال عبد الله بن جعفر أريدها قال أبو عبيدة حتى استأذن امير المؤمنين فى ذلك فكتب
اليه يعلمه بها وبمسئلة عبد الله بن جعفر فكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هى
له فأخذها عبد الله واقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ وكانت من قبل تعرف طبخ الفرس والروم
واقامت عنده الى ايام يزيد فاخبر بها فاستهداها منه فأهداها له وكانت عنده وقال
عامر بن ربيعة اصابنى من غنيمة سوق الدير اثواب ديباج حرير فيها صور الروم وكان
فى ثوب منها صورة حسنة وهى صورة مريم وعيسى عليهما السلام فحملت الثياب الى اليمن

فبيعت

فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمى وأنا مع أبى عبيدة يا ابن أخى ابعث لى من هذه الثياب وأكثر منها فانها تنفق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رجع جيش المسلمين غانما كتب أبو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يخبره بما فتح الله تعالى على يديه وما غنم المسلمون من دير ابى القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثنى عليه ويخبره بما قال فيه وما تكلم به وسأله فى كتابه أن يكتب الى خالد يستشيره فى المسير الى هرقل أو الى بيت المقدس وكتب اليه ان بعض المسلمين يشربون الخمر قال عاصم بن ذؤيب العامرى وكان ممن شهد قتال الروم بالشام وفتح دمشق العرب الوافدون من اليمن فأخذوا فى الشرب واستطابوا ذلك فأنكر ذلك الامير ابو عبيدة فقال رجل من العرب أظنه سراقة بن عامر يا معاشر المسلمين خلوا شرب الخمور فانها تزيل العقول وتكسب الاثم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحمولة اليه وحدثنى اسامة بن زيد الليثى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الغفارى قال كنت مع أبى عبيدة بالشام فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخبره بفتح الشام وفى الكتاب ان المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحدّ فقدمت المدينة فوجدت عمر رضى الله تعالى عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وعنده نفر من الصحابة وهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف يتحدّثون فدفعت الكتاب اليه فلما قرأه جعل يفكر فى ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد فى شربها ثم سأل عمر عليا رضى الله تعالى عنهما فى ذلك وقال ماترى فى هذا فقال على رضى الله تعالى عنه ان السكران اذا سكر هذا وآذى فقد افترى فعليه ثمانون جلدة ولعمرى ما يصلح لهم الا الشدّة والقهر ولقد كان حقهم أن يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه ويؤمنوا به ويشكروه فمن عاد فأقم عليه الحد (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ورد كتاب عمر رضى الله تعالى عنه على ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقرأه نادى فى المسلمين من كان فى نفسه حدّ فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل ذلك كثير من الناس ممن كان شرب الخمر وأعطى الحد من نفسه ثم قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انى عزمت على المسير الى انطاكية ونقصد كلب الروم لعل الله تعالى يفتح فتحا على أيدينا فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن تبع لك نقاتل اعداءك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فانى سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها توجهنا منها ان شاء الله تعالى الى انطاكية فأسرع المسلمون فى اصلاح شأنهم وأخذوا أهبتهم فلما فرغ أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من جميع شغله أمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يأخذ راية العقاب التى عقدها له أبو بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه وأمره أن يسير امام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عميرة الطائى والمسيب ابن نجية الفزارى والناس يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمى وترك عنده خمسمائة رجل وسار أبو عبيدة بالمسلمين ومعه ناس من اليمن ومضر

(ذكر فتح حمص)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة فلما وصل الى هناك بعث خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى حمص قال يا أبا سليمان انهض على بركة الله تعالى وعونه ونازل القوم وشن الغارة على أرض العواصم وقنسرين وأنا اسير الى بعلبك فلعل الله تعالى أن يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد رضى الله تعالى عنه بمن معه الى حمص وتوجه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى بعلبك واذا قد ورد بطريق جوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال ان فتحتم بعلبك فأنا بين أيديكم ولا نخالف لكم قولا فصالحهم أبو عبيدة رضى الله عنه على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح سار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يطلب بعلبك فما بعد من اللبوة الا وقد اشرف عليه راكب نجيب فاذا هو بأسامة بن زيد الطائى فقال يا اسامة من أين اقبلت فأناخ نجيبه وسلم على ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه وعلى المسلمين وقال اتيت من المدينة وسلم اليه كتابا من عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ففضه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الى امين الامة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد فلا مرد لقضائه وقدره ومن كتب فى اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك ان جبلة ابن الايهم الغسانى كان قدم علينا ببنى عمه وسراة قومه فأنزلتهم واحسنت اليهم واسلموا على يدى وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم اعلم ما كمن فى الغيب وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها لطلب الحج فطاف جبلة بالبيت اسبوعا فوطئ رجل من فزارة ازاره فسقط ازاره عن كتفه فالتفت الى الفزارى وقال يا ويلك ا كشفتنى فى حرم الله تعالى فقال والله ما تعمدتك فلطم جبلة بن الايهم لطمة للفزارى هشم بها انفه وكسر ثناياه الاربع فأقبل الفزارى الى مستعديا على جبلة فأمرت باحضاره وقلت له ما حملك على ان لطمت أخاك فى الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت انفه فقال جبلة انه وطئ ازارى برجله فحله ووالله لولا حرمة هذا البيت لقتلته فقلت له قد اقررت على نفسك فاما ان يعفو عنك واما آخذ له منك القصاص فقال ايقتص منى وانا ملك وهو من السوقة قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال تتركنى الى غدا وتقتص منى فقلت للفزارى تتركه الى غد قال نعم فلما كان من الليل ركب فى بنى عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وأرجو ان الله تعالى يظفرك به فانزل على حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك أهلها فصالحهم وان ابوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قرأ ابو عبيدة الكتاب فى سره قرأه قراءة ثانية أخرى ثم الوى يطلب حمص وكان خالد رضى الله تعالى عنه يسبقه اليها بثلث الجيش فنزل عليها يوم الجمعة من شوال سنة أربعة عشر من الهجرة النبوية وكان عليها

واليا بطريق من قبل هرقل اسمه اقيطاو كان قدمات قبل نزول خالد والمسلمين عليها رضى الله تعالى عنهم أجمعين فاجتمع المشركون الى كنيستهم العظمى وقال كبيرهم اعلموا ان صاحب الملك قدمات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا جوسية وبعلبك وان أنتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك أن يسير اليكم واليا وجيشا فان العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسير اليكم ولا يصل لكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار فقالوا أيها السيد فما الذى ترى قال تصالحون القوم على ما أرادوا وتقولون نحن لكم وبين أيديكم ان فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك يمدنا بجيش عرمرم ويولى من أراد علينا ويستوثق لنا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا دبرنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه جاليقا كان عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاليق ووصل الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وتكلم فى الصلح معه بما تحدث به البطريق من أمر سير المسلمين الى حلب وقنسرين والعواصم وانطاكية فأجابهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى ذلك وصالح القوم وهم اهل حمص على عشرة آلاف دينار ومائتى ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة كاملة أولها ذو القعدة وآخرها شوال سنة أربعة عشر من الهجرة قال وانبرم الصلح وخرجت السوقة من حمص الى عسكر المسلمين فباعوا واشتروا ورأى اهل حمص سماحة العرب فى بيعهم وشرائهم وربحوا منهم ربحا وافيا

ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان ابا عبيدة دعا بخالد وضم اليه أربعة آلاف فارس من لخم وجذام وطى ونبهان وكهلان وسندس وخولان وقال يا ابا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة واقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلاد العواصم وارجع على اثرك ونفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة او ناصر من قومهم ام لا فأجابه خالد الى ذلك وأخذ الراية وتقدم امام الكتيبة وجعل ينشد ويقول

اخذتها والملك العظيم * وانني بجعلها زعيم
لانى من بنى مخزوم * وصاحب لاحمد الكريم
اسير كالاسد الغشوم * يارب فارزقنى قتال الروم

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى شيزر ونزل على النهر المقلوب ودعا بمصعب بن محارب اليشكرى وضم اليه خمسمائة فارس وامره ان يشن الغارة على العواصم وقنسرين وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى كفرطاب والمراه والى دير سمعان وجعلت خيل المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرساتيق ويأخذون الغنائم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليد بالاسارى فسار بهم الى ابى عبيدة رضى الله

تعالى عنه فلما نظر الى خالد وما معه من الغنائم والاموال فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم وقد ارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ماهؤلاء يا أبا سليمان فقال خالد يا أمير المومنين هذا مصعب بن محارب اليشكرى وقد عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه ومن أهل اليمن وانه غار بهم على العواصم وقنسرين وقد أتى بالغنائم والسبى والاموال فالتفت الامير أبو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليهم رجال ونساء وصبيان ولهم دوى عظيم وبكاء شديد فقصدهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا برجال مقرونون فى الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب أموالهم وخراب ديارهم قال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه لترجمانه قل لهم ما بالهم يبكون ولم لا يدخلون فى دين الاسلام و يطلبون الامان والزمام وكنتم أمنتم على أنفسكم وأموالكم فقال لهم الترجمان ذلك فقالوا ايها الامير نحن كنا بالبعد منكم وكانت اخباركم تأتينا وما ظننا انكم تبلغون الينا فا شعرنا حتى اشرف علينا أصحابكم فنهبوا اموالنا واولادنا وساقونا فى الحبال كما ترى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكانت الاعلاج زهاء عن اربعمائة علج فقال لهم الاميران مننا عليكم واطلقناكم من اسركم ورددنا عليكم اموالكم واهاليكم فهل تكونون فى طاعتنا وتؤدون الجزية الينا والخراج فقالوا اوف لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما شرطته علينا فعند ذلك اقبل أبو عبيدة رضى الله عنه الى المسلمين وقال لهم قد رايت من الراى ان اومن هولاء من القتل وارد عليهم اموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ويعمروا الارض والبلاد ونأخذ خراجهم وجزيتهم فما انتم قائلون فما كنت بالذى أقطع أمرا الا بمشورتكم فقالوا الراى رايك فى ذلك ايها الامير ان رايت صلاحا للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ففرض على كل واحد اربعة دنانير وبذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعند ذلك رد عليهم اموالهم واولادهم وأقرهم على بلادهم وكتب اسماءهم وامرهم بالرجوع الى اوطانهم فلما استقروا فى خيامهم اخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا لقد ظننا انهم يقتلوننا ويستعبدون اولادنا والآن قد رحمونا واقرونا فى بلادنا على أداء الجزية والخراج (قال الواقدى) فسمعت الروم ذلك فأقبلوا الى أبى عبيدة رضى الله عنه فى طلب الامان وأداء الجزية والخراج

❀(ذكر فتح قنسرين)❀

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبلغ الخبر الى أهل قنسرين أن الامير أبا عبيدة يعطى الامان لمن قصده فأحبوا أن يأخذوا الامان من أبى عبيدة رضى الله عنه وأجمعوا رأيهم على ذلك وأن ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارقة الملك من أهل الشدة والبأس وكان أهل قنسرين يخافون منه وكان اسمه لوقا وصاحب حلب عسكر مثل عسكره وسطوته مثل سطوته وكان الملك هرقل قد دعا بهما اليه فقالا له أيها الملك ما كنا نسيب ملكنا من غير أن نقاتل قتالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيشا عرمرما

وكانا منتظرين ذلك من وعد الملك لهما وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا انهما لايجتمعان فى موضع واحد قال فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم عليه أهل قنسرين من الصلح مع أبى عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم أن يمكر بهم فجمع أهل قنسرين اليه وقال لهم يابنى الاصفر ما ترون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكأنكم بهم وقد أقبلوا الينا ويفتحون بلادنا كما فتحوا أكثر بلاد الشام فقالوا أيها السيد قد بلغنا انهم أصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قاتلوه واستعبدوا أهله وأولاده ومن دخل تحت طاعتهم أقروه فى بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأى عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على أنفسنا وأموالنا فقال لهم البطريق لقد أشرتم بالصواب والامر الذى لا يعاب لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم وها أنا أعقد لكم الصلح معهم سنة كاملة الى أن توافينا جيوش الملك هرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم فقالوا افعل ما فيه الصلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واتفق أهل قنسرين والبطريق على صلح المسلمين وفى قلوبهم الغدر قال وان لوقا البطريق دعا برجل من أصحابه اسمه اصطخر وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان قوى الجنان يعرف بالعربية والرومية وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية فقال لوقا يا أبانا سر الى العرب وقل لهم يصالحونا سنة كاملة حتى نبعد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب الكتاب الى أمير المؤمنين أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال بعد كلمة كفره أما بعد يا معاشر العرب ان بلدنا بلد منيع كثير العدد والرجال فما أتونا من قبله ولو أقمتم علينا مائة سنة ما قدرتم علينا وان الملك هرقل قد استنجد عليكم من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم نصالحكم سنة كاملة حتى نرى لمن تكون البلاد ونحن نريد منكم أن تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد أرض قنسرين والعواصم حتى اذا همت العرب بالغارة دارت العلامة تريكم حد أرضنا ونحن نصالحكم بسر من الملك هرقل لئلا يعلم فيقتلنا والسلام ثم خلع على اصطخر خلعة سنية وأعطاه بغلة من مراكبه وعشر غلمان وسار حتى وصل الى حمص فرأى الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه يصلى بالمسلمين صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون فعجب من ذلك فلما فرغوا من صلاتهم ونظروا الى القسيس وثبوا اليه وقالوا له من أنت ومن أين أقبلت فقال أنا رسول ومعى كتاب فحملوه بين يدى أبى عبيدة فهم القسيس بالسجود له فمنعه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من ذلك وقال له نحن عبيد الله عز وجل فمنا شقى ومنا سعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض فلما سمع اصطخر ذلك بهت وبقى لا يرد جوابا وهو متعجب مما تكلم به الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فناداه خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقال له ما شأنك أيها الرجل ورسول من أنت فقال اصطخر أنت أمير القوم فقال خالد لا بل هذا أميرنا وأشار الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم ثم أخرج الكتاب ودفعه الى أبى عبيدة

رضى الله تعالى عنه فأخذه وقرأه على المسلمين فلما سمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ما فى الكتاب من صفة مدينتهم وكثرة عددهم ورجالهم وزادهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك خالد رأسه وقال لابى عبيدة وحق من ايدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الطاهران هذا الكتاب من عند رجل لا يريد الصلح بل يريد حربنا ثم قال لاصطخر تريدون أن تخدعونا حتى اذا جاءت جنود صاحبكم ورأيتم القوم وقد جاءتكم نقضتم صلحنا وكنتم أول من يقاتلنا وان رأيتم الغلبة لنا هربتم الى طاغيتكم هرقل فان أردتم ذلك فنواعدكم الحرب مواعدة من غير ان يكون صلحنا سنة كاملة فان لحق بكم جيش هذه السنة من الملك هرقل فلابد من قتاله فمن أقام فى المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض له قال اصطخر قد أجبناكم الى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أيها الامير اكتب لهم كتابا بمواعدة الحرب سنة كاملة أولها مستهل شهر ذى القعدة سنة أربعة عشر من الهجرة النبوية قال فكتب له ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فلما فرغ من الكتاب قال له اصطخر أيها الامير حد بلادنا معروف وبازائنا صاحب حلب وبلاده بحد بلادنا ونريد أن تجعل لنا علامة فيما بيننا وبينكم حتى اذا طلب أصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك (قال الواقدى) فرضى ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك وقال انا أبعث من يحدد لكم ذلك قال اصطخر أيها الامير ما نريد معنا احدا من اصحابك نحن نصنع عامودا وننصبه ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا رآه اصحابك لا يجاوزونه فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه افعل ذلك ثم دفع اليه الكتاب ونادى فى عساكر المسلمين واصحاب الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوزه بل يشن الغارة على ارض حلب وحدها ولا يتجاوز العامود فليبلغ الشاهد الغائب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورجع اصطخر الى بطريق قنسرين واعلمه بما جرى له مع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ودفع له الكتاب ففرح بذلك وقصد الى عامود عظيم وصنع عليه صورة الملك هرقل كانه جالس على كرسى مملكته (قال الواقدى) وكانت خيل المسلمين تضرب غارتها الى اقصى بلاد حلب والعمق وانطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم ولا يقربون العمود قال عمر بن عبد الله الغبرى عن سالم بن قيس عن ابيه سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه قال كان صلح المسلمين لاهل قنسرين والعواصم عن اربعة آلاف دينار ملكية ومائة اوقية من الفضة والف ثوب من متاع حلب والف وثق من طعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عامر قال كنا فى بعض الغارات اذ نظرنا الى العامود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله بخيولنا ونعلمها الكر والفر وكان بيد ابى جندلة قناة تامة فقرب به الجواد من الصورة وهو غير متعمد ذلك ففقأ عين الصورة وكان عندها قوم من الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العامود فرجعوا الى البطريق واعلموه بذلك فغضب غضبا شديدا ودفع صليبا من الذهب الى بعض اصحابه وضم اليه الف فارس من اعلاج الروم وعليهم

الديباج الرومى وعليهم المناطق المجوفة وامر اصطخران يسيرمعهم وقال له ارجع الى امير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ومن غدر خذل فأخذ اصطخر الصليب وسار مع الف فارس من الروم حتى اشرف على ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع اسرعوا اليه ونكسوه فاستقبل أبو عبيدة القوم وقال من انتم قال اصطخر انا رسول صاحب قنسرين اليك وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذى بيننا وبينكم فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعلمت بذلك وسوف اسأل عنه ثم نادى يامعاشر الناس من فقأ عين التمثال فيخبرنا بذلك فقالوا ايها الامير ابو جندلة وسهل بن عمر صنعا ذلك من غير ان يتعمداه فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه لاصطخران صاحبنا فعل ذلك من غيران يتعمد فما الذى يرضيك منا فقالت الاعلاج لانرضى حتى نفقأ عين ملككم يريدون بذلك ان يتطرقوا الى رقاب المسلمين فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه ها انا فاصنعوا بى مثل ماصنع بصورتكم قالوا لانرضى بذلك الا بعين ملككم الاكبر الذى يلى امر العرب كلها فقال ان عين ملكنا تمنع من ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وغضب المسلمون حيث ذكر الاعلاج عين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهموا بقتل الاعلاج فنهاهم ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه عن ذلك فقالت المسلمون ايها الامير نحن دون امامنا فنفديه بأنفسنا ونفقأ عيوننا دون عينه فقال اصطخر عندما نظر الى المسلمين وقد هموا بقتله وقتل من معه من الاعلاج لانفقأ عين عمر ولاعيونكم ولكن نصور صورة اميركم على عمود ونصنع به مثل ماصنعتم بصورة ملكنا فقالت المسلمون ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وانتم تريدون العمد فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه مهلا ياقوم فاذا قد رضى القوم بصورتى فأنا قد اجبتكم الى ذلك ولا يتحدث القوم عنا اننا عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لاعهد لهم ولا عقل ثم اجابهم الى ذلك (قال الواقدى) فصوروا صورة ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه على عمود وجعلوا له عينين من زجاج وأقبل فارس منهم حنقا ففقأ عين الصورة ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين واخبره بذلك فقال لقومه بهذا نالهم مايريدون قال واقام ابو عبيدة على حمص يغار يمينا وشمالا ينتظر اخروج السنة ثم ينتظر مايفعل بذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وابطأ خبر ابى عبيدة على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ولم يرد عليه شئ من الكتب والفتح فأنكر عمر ذلك وظن به الظنون وحسب انه قد داخله خبر وقد ركن الى القعود عن الجهاد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى امين الامة أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى الله عز وجل سرا وعلانية وأحذركم عن معصية الله عز وجل واحذركم وانهاكم ان تكونوا ممن قال الله فى حقهم قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية

وصلى الله على خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين فلما وصل الكتاب الى أبي عبيدة رضى الله تعالى عنه قرأه على المسلمين فعلموا ان أمير المؤمنين عمر يحرضهم على القتال وندم أبو عبيدة رضى الله عنه على صلح قنسرين ولم يبق احد من المسلمين الا بكى من كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقالوا أيها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع اهل شيرز وقنسرين واطلب بنا حلب وانطاكية فلعل الله ان يفتحها على ايدينا وقد انقضى اجل الصلح وما بقى الا القليل وما البقاء الا للملك الجليل فعزم ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه على المسير الى حلب وعقد راية اخرى لسهل بن عمرو وعقد راية لمصعب بن محارب اليشكرى وأمر عياض بن غانم ان يسير على مقدمتهم واتبعه خالد بن الوليد وسار ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى ان نزل على الرشين وصالح اهلها وسار الى حماه فخرج أهلها اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه الرهبان على اكفهم والقسوس امام القوم يطلبون منه الصلح والزمام فلما رآهم ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقف لهم وقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها الامير نريد ان نكون فى صلحكم وزمامكم فأنتم احب الينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فصالحهم ابو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح والزمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيرز فاستقبلوه فصالحهم وقال لهم اسمعتم للطاغية هرقل خبرا فقالوا ما سمعنا له خبرا غير انه اتصل بنا الخبر ان بطريق قنسرين قد كتب الى الملك هرقل يستنجده عليكم وقد بعث بجبلة بن الايهم الغسانى من بنى غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية فى عشرة آلاف فارس وقد نزلوا على جسر الحديد وكن منهم على حذر ايها الامير فقال ابو عبيدة رضى الله عنه حسبنا الله ونعم الوكيل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واقام الامير ابو عبيدة على شيرز وبقى مرة يقول أسير الى حلب ومرة يقول اسير الى انطاكية فجمع أمراء المسلمين اليه وقال ايها الناس قد بلغنى ان بطريق قنسرين قد نقض العهد وأرسل للملك هرقل والخبر كذا وكذا فما أنتم قائلون فقالوا أيها الامير دع اهل قنسرين والعواصم وسر بنا الى حلب وانطاكية فقال خذوا اهبتكم رحمكم الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بقى من الصلح والعهد الذى بينهم وبين اهل قنسرين شهرا واقل من ذلك فأقام ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه ينتظر انفصال العهد قال وكانت عبيد العرب يأتون بجراثيم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك من الاشجار التى تطعم الثمار فعظم ذلك على الامير ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه فدعا العبيد اليه وقال ما هذا الفساد فقالوا ايها الامير ان الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار قريبة فقال الامير ابو عبيدة عزيمة منى على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعم او ثمر لاجازينه ولانكلن به فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب من اقصى الديار قال سعيد بن عامر وكان معى عبد نجيب وكان اسمه مهجع وقد شهد معى الوقائع والحروب وكان جرئ القلب فى القتال وكان اذا خرج فى غارة او فى طلب حطب يتغول ويبعد فخرج هو وجماعة من العبيد ممن شهد الوقائع فى طلب الحطب فأبطأ خبره على سيده سعيد بن عامر فركب جواده

وخرج

وخرج فى طلبه وجعل يقفو اثره واذا قد لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر جسده وما كاد يمشى خطوة واحدة الا ويهوى على وجهه قال سعيد بن عامر فنزلت اليه وقلت له ما وراءك من الاخبار فقال هلكة ودمار يا مولاى فقلت عليك يا ابن الاسود حدثنى بخبرك قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه فنفحت على وجهه ماء فسكن ما به فقال يا مولاى انج بنفسك والا ادركتك القوم يصنعون بك مثل ما صنعوا بى فقلت وما القوم الذين صنعوا بك ما أرى فقال خرجت يا مولاى أنا وجماعة من الموالى لنحتطب حطبا وتباعدوا وتباعدا على البر واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب وفى أعناقهم صلبان الذهب والفضة وهم معتقلون بالذهب والفضة والرماح فلما نظروا الينا أسرعوا نحونا وداروا بنا وعزموا على قتلنا فقلت لاصحابى دونكم واياهم فقالوا ويحك ومن نقاتل وكيف لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة والخيل وما لنا الا أن نلقى بأيدينا الى الاسر فهو اهون من القتال فقلت لا والله ما سلمت نفسى اليهم دون ان أقاتل قتالا شديدا فلما راوا منى الجد فعلوا مثل فعلى فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة واسر واعشرة واما انا فشحنت بالجراح حتى سقطت على وجهى فرجعوا عنى وبقيت كما ترى قال سعيد بن عامر الانصارى فغمنى والله ما نزل بالعبيد فأردفته ورائى ورجعت على اثرى واذا بالخيل قد طلعت من ورائى كانها الريح الهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا بها خيل غسان فأحدقت فى الرماح الطوال وهم يقولون نحن بنو غسان من حزب الصليب والرهبان قال سعيد بن عامر فناديتهم انا من اصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم فأسرع بعضهم الى وهم ان يعلونى بالسيف فناديته يا ويلك تقتل رجلا من قومك فقال من اى الناس فقلت انا من الخزرج الكرام فرد السيف عنى وقال انت طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح فقلت ومن اين يعرفنى جبلة حتى يطلبنى فقال انه يطلب رجلا من اهل اليمن من انصار محمد بن عبد الله ثم قال سر بنا طائعا والا سرت كرها قال سعيد بن عامر فسرت والجيش معى حتى اشرفنا على الجيش العرمرم وعنده اعلام وصلبان قد رفعت فلم ازل مع القوم حتى اتوا بى الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالس على كرسى من ذهب احمر وعليه ثياب الديباج الرومى وعلى راسه شبكة من اللؤلؤ وفى عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع راسه الى وقال من اى العرب انت قلت انا من اليمن قال اكرمت من ايها فقلت انا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عبد الله بن الازور بن عود بن مالك بن كهلان بن سبا فقال جبلة من اى الملأ انت نسبا فقلت انا من ولد الخزرج بن حارثة من انصار محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فقال جبلة وانا من قومك من بنى غسان فقلت انا من القبيلة التى نسبت اليها فقال انا جبلة بن الايهم الذى رجعت عن الاسلام كى ما رضى صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلى لهذا الدين ناصرا حتى يأخذ منى القود لعبد حقير وأنا ملك اليمن وسيد غسان فقلت يا جبلة ان حق الله أوجب من حقك وديننا لا يقوم الا بالحق والنصفة

وان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لايخاف ولاتأخذه فى الله لومة لائم فقال لى مااسمك فقلت سعيد بن عامر الانصارى فقال أوطئ ياسعيد قال فجلست فقال ألك عهدك بحسان بن ثابت الانصارى فقلت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى أنت حسان ولسانك حسام فقال لى كم لك منذ فارقته فقلت عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها وأمر مولدته أن تنشد بها أشعرا فيك فأنشدت

لله در عصابة انعامهم ❁ قد كان قدما فى الزمان الاول
يغشون حتى ماتهر كلابهم ❁ لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أنسابهم ❁ شم الانوف من الطراز الاول
الملاحقين فقيرهم بغنيهم ❁ المشفقين على اليتيم الارمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ❁ قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به قال جبلة بن الايهم وحفظ لى هذه المكرمة قلت نعم فأمر لى بثوب من الكتان الرومى وفيه شئ من الورق وقال أنا أمرت لك بالكتان كى تلبسه ولاتحرمه ثم قال لى بحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى أسرت فيه فقلت ان الصدق أوفى مااستعمله الرجل أنا من أصحاب الامير ابى عبيدة بن الجراح وقد قصدنا نريد حلب وانطاكية فقال جبلة اعلم ان الملك قد بعثنى انا وهذا البطريق صاحب عمورية حتى ننصر صاحب قنسرين فانه قد كادكم بصلحه لكم وانا منتظران يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك ابى عبيدة وحذره من اسيافنا وقل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل وسوف ينزع من ايديكم ما قد ملكتوه من الشام قال سعيد بن عامر فركبت واردفت غلامى ورائى وسرت حتى اتيت عسكر المسلمين فاسرع الناس الى وقالوا اين كنت يا ابن عامر فأتيت خيمة الامير ابى عبيدة رضى الله عنه وحدثته بقصتى مع جبلة ابن الايهم فقال لى لقد خلصك الله بذكرك لحسان بن ثابت الانصارى ثم جمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة ثم قال ايها الناس ماترون من قصة هذا البطريق وقد وفينا له وكادنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ان البغى مصرعة وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده اعظم مكيدة وانا اسير الى لقائه بعشر رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو عبيدة انت لها يا ابا سليمان ولكل كريهة فخذ من احببت من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه اين عياض بن غانم الاشعرى اين عمر بن سعيد اين مصعب اين محارب اليشكرى اين ابو جندلة بن سعيد المخزومى اين سهل بن عمر والعامرى اين رافع بن عميرة الطائى اين المسيب ابن نجبة الفزارى اين سعيد بن عامر الانصارى اين عمرو بن معدى كرب الزبيدى اين عاصم بن عمرو القيسى اين عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما فأجابوه بالتلبية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ضرار بن الازور رضى الله عنه رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة

فقال لهم خالد بن الوليد هلموا فوجدوه قد تدرع بدرع مسيلمة الكذاب الذى استلبه منه
يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركب جواده وقال لعبده همام سر معى حتى ترى منى عجبا
فسار معه وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه والعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبو عبيدة رضى الله عنه يدعو لهم بالنصر فأقبل خالد على سعيد بن عامر الانصارى
وقال يا سعيد اما اخبرك جبلة بن الايهم من أين يأتى البطريق صاحب قنسرين اليه فقال
نعم يا أبا سليمان اخبرنى فقال له خذ بنا فى الطريق الى جبلة بن الايهم حتى نكمن له فيه
فاذا أتى البطريق صاحب قنسرين كدناه كما كادنا ودمرناه ومن معه فسار سعيد
امام القوم يدل بهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا
الى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب طريق البطريق
وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم يأت أحد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم
فى الكمين فبينما هم فى الكمين اذ اشرف عليهم جيش جبلة بن الايهم والعرب المتنصرة
وصاحب عمورية وهم طالبون أرض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا أبا سليمان
أما ترى الى هذا الجيش الذى قد أشرف علينا فى عدد الشوك والشجر فقال خالد بن
الوليد رضى الله تعالى عنه فما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا
بهم أنتم وكونوا فى جملتهم كأنكم من جيشهم الى أن نلتقى بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل
الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختلطوا بهم وصاروا فى جملتهم وهم لا يفترقون قال
رافع بن عميرة الطائى فلما أشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين واذا
ببطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم
يقرؤن الانجيل وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض وخرج البطريق
أمام الصحابة ليأتى الى جبلة بن الايهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضى الله عنه
مواجهاله وحوله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب البطريق منهم قال
سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب فقال خالد يا ويلك ما نحن من عباد الصليب بل نحن
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد رضى الله عنه
وجهه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله يا عدو الله أنا خالد بن
الوليد أنا المخزومى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده على البطريق
وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا السيوف
على أصحابه وارتفعت الضجة والجلبة واعلن العدو بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد
وسمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فانزعجا لذلك
ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت فبرزوا نحو اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما نظر خالد الى ما دهمه ونزل بأصحابه
الذين معه والبطريق صاحب قنسرين وهو لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خائف

ان ينفلت من يديه او تجرى عليه حادثة قبل ان يقتله هم خالد أن يقتله ورفع السيف ليعلوه به
فتبسم البطريق من فعاله وعجب خالد من ضحكه وقال ياويلك لم ضحكك فقال البطريق
لانك مقتول أنت ومن معك وتريد قتلى وان أنت أبقيت على فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله
ثم صاح خالد بأصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولى واجتمعوا عنى واصبروا
على ما نزل بكم ولا يكثر عليكم من أحدق بكم فان أشدّ ما تخافون منه القتل والموت منية خالد
فى سبيل الله وانى والله أهديت نفسى للقتل مرارا لعلى أرزق الشهادة واعلموا رحمكم الله ان حجتنا
واضحة ومفوضة الى الله عزوجل وكانكم وقد وصلتم الى ربكم وسكنتم دارا لا يموت ساكنها
ثم قرأ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاجتمع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد رضي الله عنه وداروا من حوله وصار عبد الرحمن بن أبي
بكر الصديق رضى الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام من ورائه واصحابه
محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين الى عبده همام وقال له أوثقه الى جانبك
ولا تبرح من مكانك وأبشر بالنصر من الله عزوجل (قال الواقدى) وأقبلت اليهم العرب
المتنصرة يقدمهم جبلة بن الايهم فى عنقه صليب من الذهب الاحمر وفيه طوق من الجوهر
وعليه ثياب الديباج المشغل ومن فوقه درع مذهب الزرد وعلى راسه بيضة من الذهب وعلى
أعلاها صليب من الجوهر وفى يده رمح طويل وسنانه يضئ كالقنديل وصاحب عمورية
كالبرج المشيد ومن حوله الاعلاج المدججة وقد أحدق بهم الجيش من
كل جانب فلما نظر صاحب عمورية الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وقد ملك صاحب
قنسرين وهو فى يده أسير خاف ان يعجل عليه خالد فأقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح
ما هؤلاء العرب الا شياطين ألا ترى الى هذا العربى ومن معه وهم عشرة رجال وقد احدق بهم
هذا الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم اسير ولا يخلص
من ايديهم وانى خائف عليه ان يقتلوه وهو عزيز عند الملك هرقل فاخرج الى هذا العربي
وقل له يخلى صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بأنفسهم فاذا أطلقوا صاحبنا حملنا عليهم
وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائى فبينما نحن وقوف حول خالد بن الوليد
رضى الله تعالى عنه وجيش الروم والعرب المتنصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر فى
كثرتهم لانا واثقون بالله عزوجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادى برفيع صوته ويقول
من انتم من اصحاب محمد المعروفين من انتم من العرب التابعين اخبرونا من قبل ان ينزل
بكم الدمار فكان المتكلم له خالد وبادره بالخطاب وقال له بل نحن من اصحاب محمد المختار
المعروفين بأهل القبلة والاسلام والاكرام والانعام واما سؤالك عن انسابنا فنحن الآن من
قبائل شتى وقد جعل الله كلمتنا واحدة ونحن مجتمعون عليها وهى قول لا اله الا الله محمد رسول
الله زاده الله تعالى شرفا فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا اذلم يفكر
فيه ولا فيمن معه فقال جبلة يافتى انت امير هؤلاء العرب فقال خالد لست أميرهم بل

انحوهم

أخوهم فى الاسلام وهم اخوتى المؤمنون فقال جبلة من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد أنا المعروف بكبش بنى مخزوم أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى عن يمينى هو عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما وهذا الذى عن شمالى من أهل اليمن من كرام طى وهو رافع بن عميرة الطائى صهرى وفؤادى وذلك أنى أخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف فلا تزدرى بقلتنا ولا تفرح بكثرتكم فما أنتم فى القتال الا كطيور وقع عليها صائدها وهى مكمنة فى أوكارها فألقى القانص الشبكة عليها فما انفلت منها الا النجيب (قال الراوى) فزاد غضب جبلة من كلام خالد رضى الله تعالى عنه وقال له ستعلم أن كلامك عليك مشوم اذا دارت بك الاسنة وبقيت أنت ومن معك طعاما للوحوش فى هذه الفلاة تمزقكم بكرة وعشيا فقال خالد له ذلك لا يكثر علينا وهو سهل لدينا فأنت من من العرب التى قد نسبت لعبادة الصليب فقال أنا سيد بنى غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة الايهم فقال خالد أنت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى وسلك سبيل الغى وضل وغوى فقال جبلة ليس كذلك أنا الذى اخترت العز على الذل والهوان فقال خالد فانك على ذل نفسك حريص وانما الكرامة غدا فى دار البقاء والبعد عن دار الشقاء فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لا تفرط علينا فى المقال فانما بقاءى عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الاسير الذى فى يدك لانى أخاف ان حملت عليكم قتلته قبل قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده فى النسب فأطلقه من يدك حتى أجود عليكم بأنفسكم فقال خالد أما أسيرى فلا اطلقه من يدى حتى أقتله ولا أبالى بما صنع بى بعده وأما قولك تحمل على وعلى من معى بهذه الجموع فما أنصفت فى المقال فاذا أردت النصفة فى القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد أحدقت بنا أعنة خيولكم واسنة رماحكم وطيال سيوفكم فابرزوا فارسا لفارس وهذا أميركم فان قتلتمونا فقد خلصتم أسيركم وان ظفرنا الله بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك أسيركم اذا هلكت أنفسكم قبله (قال الواقدى) فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فغضب صاحب عمورية غضبا شديدا وامتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد الى البطريق وقد جرد سيفه علم أنه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالحملة مسكه جبلة ومنعه عن الحملة وأوقفه تحت صليبه وأقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال يا أخا بنى مخزوم ان الحرب كما ذكرت يحتمل النصفة وهؤلاء بنو الاصفر أعلاج الروم غتم ما يعرفون النصفة فى البراز وقد حدثتهم بحديثك معى وقد رضوا منك بالمبارزة فمن اراد منكم المبارزة فليبرز قال رافع بن عميرة الطائى فعزم خالد بن الوليد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن ابى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما وقال يا ابا سليمان وحق القبر الذى ضم اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق شيبة ابى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه لا يبرز لهؤلاء القوم غيرى وابذل

المجهود فيهم فلعلى الحق بأبى بكر الصدّيق فتركه خالد وقال اخرج شكر الله مقالك وعرفك فعالك قال فخرج عبد الرحمن بن ابى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة اجنادين وكان الجواد من خيل بنى لخم وجذام من العرب المتنصرة وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارقا فى الحديد والزرد النضيد وبيده قناة تامة الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال وقال دونكم والقتال فأنا ابن الصديق ثم جعل يقول

انا ابن عبد الله ذى المقالى ❀ والشرف الفاضل ذى الكمال
ابى محمد الصادق المقال ❀ ادين هذا الدين بالفعال

ثم طلب البراز قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمس فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عبد الرحمن على الفارس الا جولة واحدة فيصرعه قتيلا فلما قتل الخمس فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب فلما قرب من عبد الرحمن قال له يا غلام قد تعديت علينا فى فعالك وبغيت علينا فى قتالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغى من شيمنا قال جبلة لانك قد ملأت الارض من قتلانا وما خرجت اليك اقاتلك لانك لست لى كفؤا فى القتال وانما خرجت اليك لان رجالا من اصحابك قد خرج بعينك وليس هذا من شيم الاشراف والانصاف قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم وقال يا ابن الايهم تريد ان تخدعنى وانا تربية الامام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وقد شهدت معه الوقائع والقتال فقال جبلة لست مخادعا وما قلت الاحقا فقال عبد الرحمن فاخرج بازاء من خرج معى فارسا من قومك ان كنت صادقا فى مقالتك واحمل على فانى كفؤ كريم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وانه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل قال هل لك يا غلام ان تلقى بيدك الينا واغمسك فى ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن أمك وتكون من حزب الصليب والانجيل وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل وازوجك ابنتى واقاسمك فى نعمتى واتفضل عليك باكرامى وانعامى وانا الذى مدحنى شاعر نبيكم حيث يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر ❀ لم تغدهم آباؤهم باللوم
يعطى الجزيل ولا يراه بأنه ❀ الا كبعض عطية المذموم
لم ينشنى بالشام اذ هو بارح ❀ يوما ولا متنصرا بالروم
ان جئته يوما تقر بمنزل ❀ وسقى براحته من الخرطوم

فاسرع الى ما عرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون فى النعم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله الا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن اللئام أتدعونى من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر والجهالة وانا ممن وقر الايمان فى قلبه وعرف رشده من غيه وصدق

نبى الله بغض من كفر بالله فدونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ماعزمت عليه حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك وارغم بها أنفك وتستريح العرب من أن تنسب اليك لانك كافر بالرحمن وعابد للصلبان قال فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فزاغ عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وامتضى سيفه وتعاركا فى الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه براه فرمى جبلة باقى الرمح من يده وامتضى سيفه من غمده وكان من سيوف كندة من بقايا عاد كانه صاعقة بارقة ماضرب به شيأ الا براه وحمل عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه حملة عظيمة قال رافع بن عميرة الطاءى فعجبنا والله من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة ومنازلته على صغر سنه وقلة أعوانه ثم التقيا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة فى حجفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فانثنى سيف عبد الرحمن عنها لانها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحا واضحا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته فلما احس عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه بالضربة قد وصلت اليه ثبت نفسه وأورى قرينه كأن الضربة لم تصل وحرك جواده وأطلق عنان فرسه حتى لحق بخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وأصحابه فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله بضربته فقال نعم وأظهر له ضربته وما لحقه فأخذوه عن فرسه وسدوا جراحه فقال خالد يا ابن الصديق ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق بيعة أبيك لافجعنهم فى أسيرهم كما فجعونى بك ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه بسيفه أطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد أفجعهم ذلك وغضب جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح فى الروم والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبده همام قف أنت عند عبد الرحمن فامنع عنه من أراده بسوء ثم قال لاصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج احد منكم عن صاحبه وكونوا حولى فما أسرع الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضى الله عنهم كما أمرهم وما قصدهم الا من أيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد بن الوليد كلما كثرت الخيل حولنا وازدحمت علينا يلتقيها بنفسه ويفرقها بسيفه ولم نزل كذلك حتى أخذنا العطش والظمأ قال رافع بن عميرة الطاءى فلما رايت ذلك قلت لخالد بن الوليد يا أبا سليمان لقد نزل بنا القضاء فقال والله لقد صدقت يا ابا عميرة لانى نسيت القلنسوة المباركة ولم أصحبها معى (قال الواقدى) وقد عظم عليهم الامر وعزهم الصبر وأخذهم الانبهار وروا من المشركين الدمار والارض قد ملئت من قتلى المشركين وهم بين

الروم كانهم اسرى واذا قد نادى بهم منادو هتف بهم هاتف وهو يقول خذل الآمن ونصر
الخائف ابشر وايا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان هذا
وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر ودارت عليهم الحوافر (قال الواقدى)
حدثنا بسرة عن اسحاق بن عبد الله قال كنت مع الامير ابى عبيدة رضى الله عنه فبينما
نحن فى شيراز وابو عبيدة فى مضربه واذا به قد خرج فى بعض الليل من مضربه وهو ينادى
النفير النفير يا معاشر المسلمين لقد احيط بفرسان الموحدين قال فأسرعنا اليه من كل جانب
ومكان وقلنا له ما نزل بك ايها الامير فقال الساعة كنت نائما اذ طرقنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجرنى وقال لى معنفا يا ابن الجراح اتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق
بخالد بن الوليد رضى الله عنه فقد احاطت به القوم اللئام وانك تلحق به ان شاء الله تعالى
رب العالمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون قول ابى عبيدة رضى
الله عنه تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن
معه قال فبينما الامير ابو عبيدة رضى الله عنه على المقدمة فى اوائل الخيل اذ نظر الى فارس
يسرع به جواده وهو امام الخيل ويكر فى سيره كرا فأمر ابو عبيدة رضى الله عنه رجالا
من المسلمين ان الحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فلما كلت الخيل على ادراكه
نظر ابو عبيدة اليه وظن انه من الملائكة قد ارسله الله امامهم غير انه نادى به الامير
ابو عبيدة على رسلك ايها الفارس المجد والبطل المكد ارفق بنفسك يرحمك الله فوقف
الفارس حين سمع النداء فلما قرب أبو عبيدة من الفارس واذا هى ام تميم زوجة خالد بن
الوليد رضى الله عنها فقال لها ابو عبيدة ما حملك على المسير امامنا فقالت ايها الامير
انى سمعتك وانت تصيح وتضج بالنداء وتقول ان خالدا احاطت به الاعداء فقلت ان خالدا
ما يخذل ابدا ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ حانت منى التفاتة الى القلنسوة
المباركة وقد نسيها فأخذتها واسرعت اليه كما ترى فقال ابو عبيدة لله درك يا ام تميم
سيرى على بركة الله وعونه قالت ام تميم كنت فى جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء
العرب والخيل تطير بنا طيرانا حتى اشرفنا على الغبرة والقتال ونظرنا الاسنة والصوارم
تلوح فى القتال كأنها الكواكب وما للمسلمين حس يسمع قالت فأنكرنا ذلك وقلنا ان
القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير ابو عبيدة رضى الله عنه وحمل وحملت المسلمون
قال رافع بن عميرة فبينما نحن قد أيسنا من انفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن الا ساعة
حتى احاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الاصوات
وارتفعت الزعقات قال مصعب بن محارب اليشكرى فرايت عبدة الصلبان وهم هاربون
ورايت خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو ثابت فى سرجه متشوف الى الاصوات من اين هى
واذا بفارس قد خرج من الغبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه ويهربون منه حتى
ازاح من حولنا الكتائب والرجال فأسرع خالد بن الوليد اليه وقال من انت ايها

الفارس الهمام والبطل الضرغام فقالت أنازوجتك أم تميم يا أبا سليمان وقد أتيتك بالقلنسوة المباركة التي تنصر بها على أعدائك فخذها اليك فوالله مانسيتها الالهذا الامر المقدر ثم سلمتها اليه فلمع من ذؤابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نور كالبرق الخاطف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوضع خالد القلنسوة على رأسه وحمل على الروم الاقلب أوائلهم على أواخرهم وحملت المسلمون حملة عظيمة فما كان غير بعيد حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن فى القوم الاقتيل وجريح وأسير وكان جبلة أول من انهزم والعرب المتنصرة اثره فلما رجع المسلمون من اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير أبى عبيدة رضى الله عنه واتباعه وسلموا على الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وعلى المسلمين وشكروا الله على سلامتهم ونظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وأصحابه وهم كأنهم قطعة أرجوان فصافحه وهناه بالسلامة وقال لله درك يا أبا سليمان قد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يا معاشر الناس قد رأيت أن نسير من وقتنا هذا ونغير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال وننهب الاموال فقال المسلمون نعم مارأيت يا أمين الامة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فانتخب أبو عبيدة رضى الله عنه فرسانا فجعلهم فى المقدّمة مع عياض بن غانم الاشعرى وساروا حتى أشرفوا على قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شنوا الغارات فشنوا الغارات عليهم وسبوا الذرارى وقتلوا الرجال فلما نظر أهل قنسرين الى ذلك غلقوا أبواب مدينتهم وأذعنوا بالصلح واداء الجزية فاجابهم أبو عبيدة رضى الله عنه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل رأس منهم أربعة دنانير وبذلك أمره عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما فتح أبو عبيدة رضى الله عنه قنسرين والعواصم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على برأيكم رحمكم الله فان الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية فهل أسير الى حلب وقلعها وانطاكية وملوكها وعساكرها ونرجع الى ورائنا فقالوا أيها الامير كيف نرجع الى حلب وانطاكية وهذه أيام انقضاء الصلح الذى بيننا وبين أهل شيرز وأرمين وحمص وجوسية ولاشك أنهم قد أخذوا الحصار وقووا بلادهم بالاطعمة والرجال ونخاف أن يتغلبوا علينا فى ما أخذناه من البلاد ويغاروا علينا لاسيما بعلبك وحصنها فانهم أولوا شدّة وعديد ونرى من الرأى أنا نرجع اليهم ونقاتلهم ولعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب ورجع على طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا قد تحصنت بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لابى عبيدة قصد الاحمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد وقد بعث اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته وكان من أهل الشدّة والبأس ومعه جيش عرمرم وكان اسم البطريق هربيس فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك نزل على حمص خالد بن الوليد رضى الله عنه وساروا الى بعلبك فلما قرب منها واذا بقافلة

عظيمة فيها جمع من الناس ومعهم البغال والدواب وعليها من انواع التجارات وقد اقبلت من الساحل يريدون بعلبك فلما نظر ابو عبيدة رضى الله عنه الى سوادها قال لمن حوله من الفرسان ما هذا الا جمع كثير أمامنا فقالوا لا علم لنا بذلك فقال على بخبرها فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع بعضهم يخبر بها ان القافلة من قوافل الروم محملة متاعا قال شداد بن عدى وكانت أحمال القافلة أغلبها سكر وكانت لاهل بعلبك فلما سمع ابو عبيدة ذلك قال ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه الله اليكم فانها غنيمة من عند الله (قال الواقدى) فاحتوينا على القافلة وكان فيها أربعمائة حمل من السكر والفستق والتين وغير ذلك وأخذنا أهلها أسارى فقال أبو عبيدة رضى الله عنه كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء فابتعناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب وصنعنا من السكر العصيدة والفالوذج بالسمن والزيت ودعس المسلمون دعسا وبتنا حيث حوينا القافلة فلما أصبح الله بالصباح أمرنا أبو عبيدة رضى الله عنه بالمسير الى بعلبك والنزول عليها وكان قد هرب قوم من القافلة واخبروا اهل بعلبك بالقافلة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكان شديد البأس شجاع القلب فلما اتاه الخبر بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله واهل الحرب وامرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل يسير وهو يعلم ان الامير ابا عبيدة رضى الله عنه سائر اليهم بجيوش المسلمين فلما انتصف النهار وتراءى الجمعان وكان هربيس معه سبعة الاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده فلما نظر طوالع جيش ابى عبيدة رضى الله عنه ونظر المسلمون الى ذلك نادوا النفير النفير فعندها تبادرت الفرسان وتقدمت الشجعان وشرعوا رماحهم وجردوا سيوفهم وصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب فقال له بعض بطارقته ما الذى تريد ان تصنع مع العرب فقال اقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فينزلوا على مدينتنا فقال له الراى عندى ان لا تقاتل العرب وارجع سالما انت ورجالك فان اهل دمشق الشام ما قدروا عليهم ولا ردهم عساكر اجنادين ولا جيوش فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية مما جرى لهم بالامس مع صاحب قنسرين وصاحب عمورية والعرب المتنصرة وكيف ردهم هؤلاء العرب على اعقابهم منهزمين والصواب انك تفوز بنفسك وبمن معك وارجع فقال هربيس لست افعل ذلك ولا انهزم امام العرب وقد بلغنى ان عسكرهم الكبير على حمص مع الامير ابى عبيدة الذى كان فيها يعنى خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح الينا فقال ذلك البطريق الناصح اما انا فلست اتبع رايك ولا اقاتل العرب ثم الوى عنان فرسه راجعا الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم واما هربيس فانه صف رجاله وزحف يريد القتال فلما نظر ابو عبيدة رضى الله عنه ذلك وانهم قد عولوا على الحرب صف رجاله وعساكره وقال ايها الناس اعلموا رحمكم الله تعالى ان الله قد وعدكم وايدكم بالنصر حتى هزم اكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التى انتم قاصدون اليها اوسط ما فتحتموه من البلاد واهلها

قد

قدا كثروا من الزاد والعدد والقوة فاياكم والعجب وانتصروا واغزوا اعداء الدين وانصروا الله ينصركم واعلموا أن الله معكم ثم حمل الامير أبو عبيدة وحملت المسلمون قال عامر بن ربيعة وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ما كان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة مع أصحابه وفيه سبع جراحات فتلقاه الذى أشار عليه لا تقاتل العرب وقال له واين غنائم العرب التى غنمتموها فقال هربيس قبحك المسيح اتهزأ بى وقد قتلت العرب رجالى وقد جرحت هذه الجراحات فقال له البطريق ألم اقل لك انك مهلك نفسك ورجالك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان الامير أبا عبيدة سار حتى نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد اغلقوا الابواب وقد حاشوا أموالهم ومواشيهم فى جوفها واطلع المسلمون على الاموال كانها الجراد المنتشر قال فلما نظر الامير أبو عبيدة رضى الله عنه الى البلد وتحصينه وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك انه بلد لا يزايله البرد فى الشتاء والصيف فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه لخواص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرأى فى ذلك فاجتمع رأيهم على شورة واحدة وهو ان يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه أصلح الله الامير انى أعلم الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن ان المدينة لا تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله النصر وان يفتحها الله على أيدينا فقال الامير يا ابن جبل من اين علمت ان القوم يتضايقون فى مدينتهم فقال أيها الامير انى كنت أول من أسرع بجواده قبل واشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت ان نلحق سوابق الخيل فرأيت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المنحدر والمدينة مشحونة بأهل السواد والقرى والمواشى ودوابهم فيها وقد ضاقت بهم وهذه أصوات القوم فى المدينة كأنهم النحل من كثرتهم فقال أبو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الرأى سديد المشورة (قال الواقدى) وبات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضا الى الصباح ثم كتب أبو عبيدة رضى الله عنه الى أهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم أبى عبيدة ابن الجراح الى أهل بعلبك من المخالفين والمعاندين أما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله الحمد أظهر الدين وأعز أولياءه المؤمنين على جنود الكافرين وفتح عليهم البلاد واذل أهل الفساد وان كتابنا هذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمة الى كبيركم وصغيركم لانا قوم لا نرى فى ديننا البغى وما كنا بالذين نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم وان دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان اردتم الزمام زممناكم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فأسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى ثم كتب انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وأمره أن يسير به الى اهل بعلبك ويأتيه بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب

واتى به الى تحت السور وخاطبهم بلغتهم وقال انى رسول اليكم من هؤلاء العرب فدلوا
حبلا فربط فى وسطه واخذه القوم اليهم واتوا به الى بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع
هربيس أهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال اشيروا
على برأيكم فقال له بطريق من بطارقته وهو صاحب مشورة الرأى عندى ان لا نقاتل
العرب لانا ليس لنا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كنا فى امن وخصب ودعة كما قد صار اهل
اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وان نحن قاتلناهم واخذونا فى الحرب قتلوا رجالنا
واستعبدونا وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب فقال هربيس لا رحمك المسيح فما رأيت
اجبن منك ولا أقل جلدا يا ويلك كيف تأمرنا ان نسلم مدينتنا الى اوباش العرب لا سيما
وقد عرفت حربهم وقتالهم واختبرت نزالهم وانى فى هذه النوبة لو حملت فى ميسرتهم كنت
هزمتهم فقال له البطريق نعم كانت الميسرة والقلب يخافون منك ثم تخاصما وتشاتما
وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة يطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى هربيس
الكتاب الى المعاهد بعد ان مزقه وأمر غلمانه ان يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل
المعاهد الى عسكر المسلمين واتى أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه وحدثه بما كان من القوم
وقال أيها الامير ان أكثر القوم عولوا على القتال فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه
للمسلمين شدوا عليهم واعلموا ان هذه المدينة فى وسط اعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت
وبالا عليكم من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره قال فلبس اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم السلاح والعدد ورجعوا الى الاسوار وعطعط اهل بعلبك عليهم
وتراموا بالسهام والاحجار وان هربيس قد نصب كرسيه وسريره على برج من ابراج القلعة
من ناحية النخلة وقد عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على رأسه صليبا من الجوهر
وحوله البطارقة والديرجانية بالدروع المذهبة والعدد الكاملة وفى اعناقهم صلبان الذهب
والجوهر وبأيديهم القسى والسهام قال عامر بن وهب اليشكرى شهدت حرب بعلبك وقد
زحفت المسلمون الى سورها قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر وكان اناس من العرب بلا
سلاح فأصابهم سهام القوم قال ورأيت الروم يتساقطون علينا من السور كسقوط الطير
على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الغوث الغوث وكنا قد عرفنا من الحرب
ان من قال الغوث يعنى الامان فقلت له ويلك لك الامان فما الذى القاك الينا من سوركم
فجعل يكلمنى بالرومية وانا لا ادرى ما يقول قال عامر بن وهب اليشكرى فجئته الى
خيمة ابى عبيدة وقلت له ايها الامير اطلب من يعرف بلغة هذا العلج فانى رأيتهم يرمى بعضهم
بعضا فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه لمن حضر من التراجمة اخبرنا بخبر هذا العلج
وما قضيته ولم يرمى بعضهم بعضا فقال له الترجمان يا ويلك قد اعطيناك الامان
فأصدقنا فى الكلام وقل لنا لم يرمى بعضكم بعضا قال ان بعضنا لا يرمى بعضا ولكنا من
اهل السوارى والقرى فلما سمعنا بسيركم الينا ورجوعكم عن اهل قنسرين انحشرنا الى هذه

المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن فيها لما نعلم من كثرة ما بها من الجيش فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة ومضى بعضنا الى السور فاذا ليس لنا موضع نأوى اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار مسكننا فلما زحفتم الى القتال برز اليكم اهل الحرب والقتال من هذه المدينة فجعلوا يدوسونا بأرجلهم واذا اشتد الحرب عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع الامير ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه ذلك فرح فرحا شديدا وقال ارجو من الله ان يجعلهم غنيمة لنا قال واخذت الحرب مأخذها وطحنت رجالها وعلا الضجيج وحمى الروم اسوارهم فلم يقدر احد من المسلمين ان يصل اليها من كثرة السهام والحجارة قال غياث بن عدى الطائى حاربنا اهل بعلبك فى اول يوم فأصيب من المسلمين اثنى عشر رجلا واصيب من الروم على السور خلق كثير من اهل الحرب وغيرهم وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم همة الى الطعام ولا الشراب ولا يريد احدنا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد قال فبينما نحن ليلتنا نوقد النار ونتناوب فى الحرس الى الصباح فلما صلينا صلاة الفجر نادى مناد من قبل ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول عزيمة منى على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى ينفذ الى رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو وقال فابتدرنا لاصلاح امورنا فلما نظر اهل بعلبك الى تأخيرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا ان ذلك فشل منا وعجز فصاح هربيس فى الروم وقال اخرجوا لهم بارك المسيح فيكم قال غياث بن عدى فلم يشعر المسلمون الا والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت الينا كالجراد المنتشر قال وكان بعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا ينضج له القرص واذا بمناد ينادى يا خيل الله اركبى وللجهاد تأهبى فدونكم والقوم قبل ان يدهموكم قال حمدان بن اسيد الحضرمى وكان لى قرص خبزته وقدمت شيأ من الزيت لاجعله ادامى للقرص واذا بالمنادى ينادى النفير قال فوالله ما راعنى ذلك حتى اخذت قطعة وغمستها فى الزيت وهويت بها الى فى فسمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادى عريانا من دهشتى لسرعة الاجابة وضربت بيدى الى عمود من اعمدة الخيام وحملت على القوم فوالله ما شعرت بما صنعت ولا عقلت على نفسى حتى صرت فى الروم فجعلت احطمهم حطما واهبرهم بالسيف هبرا قال فنظرت الى خيل الروم متفرقة والامير ابو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وان ابا عبيدة رضى الله تعالى عنه ينادى برفيع من صوته اليوم يوم له ما بعده قال ونظر ابو عبيدة الى شدة ضرب الروم وصبرهم على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية واحاط بالروم من كل جانب ومكان وكان فى جملة خيله عمرو بن معدى كرب الزبيدى وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وربيعة بن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه وذو الكلاع الحميرى فلله درهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا وابلوا بلاء حسنا فلما نظرت الروم الى فعلهم تراجعوا الى اعقابهم

اطالبين الاسوار وغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى عسكرهم واضرموا نيرانهم ودفنوا من
ستشهد منهم وأقبلت رؤساء المسلمين الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقالوا أيها
الامير ما الذى قد عزمت عليه وما عندك من الرأى يرحمك الله فقال أبو عبيدة رضى الله عنه
اعلموا ان من الرأى ان نتأخر عن المدينة مقدار شوط فرسخ ليكون ذلك مجالا لخيلكم ومنعة
الحريمكم والنصر من عند الله تعالى ثم دعا ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه بسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وأمرهم ان يهبطوا
الى الوادى وان يقاتلوا القوم على الابواب وان يشغلوهم عن المسلمين ثم دعا ضرار بن الازور
وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس ومائتى راجل وسرحه الى باب الشام وقال يا ابن الازور
اظهر شجاعتك على بنى الاصفر فقاتل من هناك من الروم فقال حبا وكرامة قال ومضت
كل فرقة الى جهة من الجهات فلما اصبح الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا فى خلق
كثير الى ان تكاملوا حول بطريقهم هربيس فقال لهم البطريق اعلموا يا معاشر النصرانية ان
اهل هذا الدين من قبلكم قد فشلوا عن قتال هؤلاء العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم فقالوا
أيها السيد طب نفسا وقر عينا فانا كنا نخاف من العرب قبل أن نختبرهم ونعلم قتالهم وقد
علمنا انهم اذا الاقواح بنا لم يكونوا أصبر منا على الحرب لان احدهم يلقى الحرب وعليه ثوب
خلق خام أو فروة خلقة ونحن علينا الدروع والذرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح (قال الواقدى) فلما
نظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى كثرتهم نادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين لا تفشلوا فتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قال وان الروم داخلهم الخوف لما كانوا قد نالوه من غرة
المسلمين بالامس فحملوا حملة عظيمة قال سهل بن صباح العبسى شهدت قتال اهل بعلبك
وقد خرج الينا أهلها فى اليوم الثانى وهم اطمع ما كانوا فى اليوم الاول وقد حملوا علينا حملة
عظيمة شديدة منكرة وكنت فى ذلك اليوم اصابنى جرح فى عضدى الايمن وما أطيق
ان احرك يدى ولا احمل سيفا فترجلت عن جوادى وجريت بين اصحابى وقلت فى نفسى اذا
قصدنى احد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لى غنى ان ادفع عن نفسى فطلعت الى ذروة الجبل
فعلوته واشرفت على العسكرين وجعلت انظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم فى العرب
والمسلمون ينادون بالنصر وابو عبيدة يدعوهم بالنصر والتحمت القبائل وافتخرت العشائر
قال سهل بن صباح وانا على الجبل من وراء حجر انظر الى ضرب السيوف على البيض والحجف
والشرار يطير من شعاعها وقد التقى الفريقان واختلط الجمعان فقلت فى نفسى ويحى وما عسى
ان ينفع المسلمين مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على الابواب والامير ابو عبيدة فى مثل
هذا الحرب وانهم والله عز وجل ان ينكشفوا من عظم شدتهم وحربهم وهول ما يلقونه قال
فأسرعت الى جراشيم الشجر فجعلت أكسرها واعبى الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد
كان معى فأوقدت النار واضرمت النار فيه وعبيت عليه حطبا اخضر ويابسا حتى علا منه
دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا ان يجتمع بعضنا الى بعض بأرض الشام فى الليل وقود

النار واثارة الدخان قال فما هو الا أن علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد
ابن زيد وأصحابه وضرار بن الازور واصحابه فنادى بعضهم بعضا الحقوا الامير اباعبيدة
رحمكم الله فان هذا الدخان ما هو الا من شئ عظيم والصواب ان نكون بخيلنا فى موضع واحد
فأسرعوا بخيلهم وساروا حتى اشرفوا على المسلمين وهم فى شدة الحرب وأعظم الكرب وقد
بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بمناد هتف بهم يا حملة القران
جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان واذا قد أشرف عليهم سعد بن زيد
وضرار بن الازور فى أوائل خيلهم وقد شرعا سنانهما وحملا فى الروم وقد أيقن الروم انهم
الغالبون اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين فالتفتوا ينظرون ما الخبر واذا
بالمسلمين من ورائهم وقد حالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والخراب وظنوا انهم قد أتى
للمسلمين نجدة ومدد وقد غربهم البطريق فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم وقال
ياويلكم لا ترجعوا الى المدينة فقد أحيل بينكم وبينها وهذه مكيدة من مكايد العرب فلما
سمعت الروم ذلك احاطوا ببطريقهم كالحلقة المستديرة يحمى بعضهم بعضا فعدل بهم البطريق
نحو الجبل ذات الشمال وكان سعيد بن زيد وضرار بن الازور قد اقبلا بجيشهما عن يمين الحصن
وشماله فحملوا عليهم واتبعوا آثارهم حتى طلعوا الى الجبل والتجأت الروم الى ضيعة فى الجبل
حصينة خالية من اهلها فاستندالروم اليها وتحصنوا فيها وتبعهم سعيد بن زيد فى الخمسمائة
فارس الذين كانوا معه وذلك أن الامير اباعبيدة رضى الله عنه لما نظر الى هزيمة الروم نادى
فى المسلمين معاشر الناس لا يتبعهم احد ولا يفترق جمعكم لانى اخشى ان تكون هزيمة القوم
مكيدة لكم حتى اذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ولو
سمع النداء ما تبع القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما تحصنت الروم فى الضيعة قال
سعيد بن زيد هذه طائفة قد اراد الله بهلاكها فدوروا بهم وحاصروا فى كل مكان ولا تدعوا
أحدا يطلع رأسه الى ان تلحق بكم المسلمون ويأتى اليكم امر من الامير ابى عبيدة ثم اقبل الى
رجل من عظماء المسلمين وقال له اخلفنى فى قومى حتى انظر رأى الامير ابى عبيدة ومن
معه ثم أخذ معه زهاء عشرين فارسا من اصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين
فلما نظر اليه الامير ابو عبيدة ومن معه قال يا سعيد ابن رجالك وما صنعت بهم قال ابشر ايها
الامير فان المسلمين فى خير وسلامة وقد حاصروا اعداء الله فى ضيعة فى هذا الجبل ثم
اخبره بالقصة من اولها الى آخرها فقال ابو عبيدة الحمد لله الذى هزمهم عن اوطانهم
وجعلهم اشتاتا ثم اقبل ابو عبيدة على سعيد بن زيد وعلى ضرار بن الازور وقال لهما ما هذه
المخالفة رحمكم الله ألم آمركم بالاقامة على ابواب المدينة والمشاغلة للقوم فما الذى ردكم الى
وقد أرعبتم قلبى وقلب من كان معى وظننت ان اهل المدينة كادوكم وهو الذى منعنا ان نتبع
المنهزمين فقال سعيد بن زيد أيها الامير والله ما عصيت لك امرا ولا خالفتك فى قول وانى قد
وقفت حيث امرتنى اذ رأينا دخانا قد علا قتامه ولاح لنا بيانه فقلنا والله ما هذه الا داهية من

دواهى الروم اونفير قد استدعانا به المسلمون فأسرعنا نحوك فعندها نادى الامير أبو عبيدة
فى المسلمين معاشر الناس ايكم أوقد نارا أودخن دخانا فى هذا الجبل فليجب الامير أبا عبيدة
قال سهل بن صباح فلما سمعت النداء أجبت المنادى وأتيت الامير اباعبيدة فقال ما الذى
أجراك على ذلك فقصصت عليه قصتى فقال ابو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك
بعدها ان تحدث حدثا من غير اذن أميرك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما هو والامير
كذلك يحدث سهل بن صباح واذا برجل من المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادى النفير
النفير يا امة البشير النذير ادركوا اخوانكم المسلمين فقد أحاط بهم الروم وهم فى أشد ما يكون
من القتال وانه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى بأصحابه ورجاله وقال يا عباد المسيح اليكم
هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة التى قد أحاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم
ان قتلتم القوم كسرتم بذلك حدة العرب وانصرفوا عنكم قال مصعب بن عدى وكنت
فى بعلبك من أصحاب سعيد بن زيد وقد جعلنا محاصرين البطريق والروم فى الضيعة
ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الا والبطريق والروم قد تبادروا الينا من كل
مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا قال والله لقد كبوا علينا الخيل وأحاطوا بنا بعد
ما كنا أحطنا بهم وكان شعارنا فى ذلك اليوم الصبر الصبر قال فبينما نحن كذلك فى أشد
الحرب وأعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبل ومناديا ينادى ويقول أما
من رجل يهب نفسه فى الله ويستنفر لنا المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا
قال مصعب بن عدى فلما سمعت الصوت همزت جوادى بكعبى وكان جوادا عتيقا
يسبق الريح الهبوب أو الماء اذا انسكب من ضيق الانبوب كانه الطود العظيم والله لقد
خرج من تحتى كانه البرق ولم تلحق منه الروم الا الغبار بعد ما قتلت منهم رجلين ولقد نظرت
الى فرسى وهو يثب الصخرة ويسلك الوعرة حتى أشرفت على عساكر المسلمين فناديت
النفير النفير يا أمة البشير النذير فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة فأجابه خمسمائة رام
من اصحاب القسى العربية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له أسرع يرحمك الله والحق
بأصحابك قبل أن يأتى العدو اليهم ثم نادى بضرار بن الازور وأصحابه وقال له ادرك أخاك
سعيد بن زيد قال فسارت المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل واشرفوا
على الروم وهم محدقون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو زيد بن ورقة
ابن عامر الزبيدى وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع اصحاب سعيد بن زيد وقد احاطت
بنا الروم وقد صبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين جريح وقتيل ونحن
فى اشد ما يكون من القتال والجراح وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير
ولحقنا النفير فلما أشرفت علينا راية المسلمين تراجعت الروم على اعقابهم مدبرين الى
الضيعة راجعين ولحقنا من تأخر منهم وكثر فيهم القتل والجراح لكثرتهم وتحصن
القوم فى الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وما تركنا منهم احدا يخرج راسه من كثرة النبل

وورد الخبر الى الامير أبي عبيدة رضى الله تعالى عنه بمن استشهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين وان القوم قد لزمهم الحصار وأن لا زاد عندهم ولا ماء فقال ابو عبيدة الحمد لله ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة فان الله عز وجل كاد عدوكم وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره قال فعندها رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التى كانوا فيها أول مرة وضربوا خيامهم وأنفذوا طوالعهم وأرسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم وأضرموا النيران فى عسكرهم وذهب منهم الخوف وأتاهم الامان وان أهل بعلبك افترقوا على السور وجعلوا يضربون على وجوههم ويصيحون بلغتهم فقال الامير أبو عبيدة لبعض التراجمة ما يقول هؤلاء فقال له الترجمان أيها الامير انهم يقولون ياويلهم وياعظم ما اصابهم وياخراب ديارهم ويافناء رجالهم حتى ظفرت العرب ببلادهم (قال الواقدى) فلما دنا المساء ارسل الامير ابو عبيدة الى سعيد ابن زيد يقول له يا ابن زيد الحذر الحذر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم احد ولا تفسح لهم قدما واحدا فيخرج منهم واحد فيتبع اولهم آخرهم فتكون كمن حصل فى يده شئ فأضاعه فلما وصل الرسول الى سعيد بن زيد بهذه الرسالة امر المسلمين ان يحيطوا بالضيعة من كل جانب وان لا يخرجوا الى الحطب الا مائة بالسلاح ففعلوا ذلك واضرموا نيرانهم وباتوا طول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيعة يطوفون فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك أقبل على اصحابه ورجاله وقال لهم ياويلكم لقد اسأنا من التدبير واخطأنا الراى وما لنا مدد ولا نجدة ولا نصير ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على ان يحبسونا فى هذه الضيعة والآن قد حبسنا انفسنا فى حبس ليس فيه طعام ولا شراب وان دام علينا هذا يوما ثانيا أو ثالثا ضعف قوينا ومات ضعيفنا وهلكت حيلتنا وسلمنا انفسنا كارهين فنقتل عن آخرنا فقالت البطارقة فما الذى ترى ايها السيد فقال قد رايت من الراى ان أخدع العرب واحتال عليهم وأسألهم الصلح لنا ولاهل مدينتنا كما قد طلبوا وأضمن ان افتح لهم المدينة ونكون فى زمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورنا ولعلنا نرسل الى صاحب عين الجوز والى صاحب جوسية فلعلهما يقدمان الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج المدينة ونحن من على الاسوار ويكفينا المسيح هذه النوبة فقالت البطارقة اعلم ايها السيد ان صاحب جوسية لا يجيبك الى نجدة ابدا لانه مشتغل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل حصارنا هذا فلقد بلغنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا أنهم صالحوهم وليس لهم من القوة والقدرة ان يقاتلوا العرب واما صاحب عين الجوز فانهم فى تجارتهم متفرقون فى اقصى الشام وما اظن الا انهم فى صلح العرب فانظر لنفسك ورعيتك ما فيه الصلاح فلما سمع البطريق هربيس قولهم اجابهم الى ذلك فلما اصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب اما فيكم رجل يعرف كلامى انا هربيس البطريق فلما سمعه بعض التراجمة اقبل على سعيد بن

زيد وقال له يا مولاى ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم وهو يستدعى كلامك فقال له سعيد بن زيد ادن منه وانظر ماذا يريد وما يقول قال فدنا الترجمان منه فقال له ما الذى تريد قال أريد أن يؤمننى أميركم هذا فى زمامه وزمام أصحابه ويدنونى حتى أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال سعيد بن زيد لا كرامة له حتى أدنو منه وأمشى اليه حتى يخاطبنى فان كانت له حاجة فليأت الى خاضعا ذليلا صاغرا حتى أسمع كلامه واعلم مراده قال فاعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد فقال هربيس فكيف أنزل اليه وأنا محارب له فأنا أخاف ان يقتلنى فقال له الترجمان أنا آخذ لك منه الزمام فان العرب لا تخون اذا أمنت فقال البطريق نعم قد تناهت الينا أخبارهم ولكنى أريد ان أستوثق لنفسى ولاصحابى وأهل بلدى لانهم قوم قد لحقهم الحقد علينا وقد أصبنا منهم دماء كثيرا وانى اريد ان ارسل له شخصا يأخذ لى منه امانا فقال الترجمان أنا أعرفه ذلك ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له ان البطريق هربيس يريد أن يوجه اليك رجلا من أصحابه يأخذ له منك أمانا فقال سعيد بن زيد دعه يوجه من يريد واعلمه أن رسوله منا فى أمان حتى يرجع اليه قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء أصحابه وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق وان بلاد الشام قد أذن المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وانا فى شدة شديدة وان لم تأخذ من القوم الامان والا هلكنا وهلكت خيلنا وبعد ذلك يتحكمون فى أولادنا وحريمنا ويقتسمون أموالنا وذرارينا وليس لنا نجدة لان كل بلد مشتغل بنفسه عن نصرتنا فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم حتى أنزل أنا اليهم فلعل نجرى بينهم صلحا ولعلى أمكر بهم حتى نرجع الى المدينة ولعلى أرغب صاحبهم فى شئ من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بينهم وبين الملك هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنزل الرجل ووقف امام الامير سعيد بن زيد وهم الرجل أن يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون مسكوه ففزع الرجل وقال لم تمنعونى أن أعظم صاحبكم فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال انما أنا واياه عبدان لله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا لله الملك المعبود القديم فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم فقال سعيد بن زيد فما الذى جاء بك قال جئت لآخذ منك أمانا لبطريقنا ان لا تنقض لنا عهدا فقال سعيد بن زيد ليس من أخلاق الامراء ومن يقود الجيوش ان يغدر بعد الامان ولسنا بحمد الله ممن ينقض عهدا وقد أعطيت لصاحبك أمانا ولمن معه ممن ألقى السلاح وخرج يطلب الامان مستسلما فقال الرجل نريد منك الامان ومن أميرك وممن معك فقال سعيد لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى البطريق وأعلمه بجواب سعيد وقال له اخرج واياكم والغدر فانه يهلك صاحبه وان هؤلاء العرب لا يخونون أماناتهم وعهدهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى أن البطريق هربيس خلع ما كان عليه من الثياب والديباج وألقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج

حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدى سعيد بن زيد فخر سعيد لله
ساجدا وقال الحمد لله الذى أزال عنا الجبابرة وما كنا فى بطارقتهم وملوكهم ثم أقبل عليه
وقال له ادن منى فأدناه الى أن جلس الى جانبه وقال له هذا لباسك دائما أو غيرته فقال
لا وحق المسيح والقربان ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست هذا الا فى وقتى
هذا فانى ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم قال لسعيد هل لك أن تصالحنى على أصحابى
هؤلاء وعلى أهل المدينة ومن فيها فقال سعيد أما اصحابك هؤلاء فانى أوفيهم على شرط
ان من دخل فى ديننا فله ما لنا ومن اختار الاقامة على دينه وألقى السلاح كان آمنا
من القتل وعليه العهد انه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا أبدا واما المدينة فالامير
أبو عبيدة عليها وقد فتحها ان شاء الله تعالى ثم قال ان أحببت ان تسير معى الى أبى عبيدة
حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك فسر وأنت فى زمامى فان اتفق بينكما الامر والا رددتك
الى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين
فقال البطريق انا افعل ذلك فعندها دعا سعيد بن زيد ابن ابى وقاص بن عوف العدوى
وقال يا ابن ابى وقاص كن بشيرا للامير ابى عبيدة بما سمعت ورأيت واسرع بالجواب قال
فأسرع ابن أبى وقاص بن عوف وركب جواده وكان حصانا شديد العدو وجعل يسير سيرا
حثيثا حتى أشرف على الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه و وقف بين يديه وسلم عليه
وقال أصلح الله تعالى شأن الامير أبشرك بأن البطريق هربيس قد أخذ الامان من سعيد
ابن زيد وهو يريد ان يقبل به اليك يسألك الصلح والامان له ولاهل مدينته فلما سمع الامير ذلك
سجد لله شكرا ورفع رأسه وقال أيها الناس تقدموا الآن الى قتال أهل المدينة وأظهروا
أسلحتكم عليها وكبروا تكبيرة واحدة لكى ترعبوا بها القوم قال ففعل المسلمون ذلك
فارتجت المدينة وفزع أهل بعلبك وتداعوا للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب وكان
اوّل من سبق الى المدينة واعطاهم خبر البطريق المرقال بن عتبة وقال حصنوا انفسكم
واولادكم واموالكم بالصلح فان ابيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ان يفتح لنا بلادكم وامصاركم وغيرها وان الله تعالى منجز امره فلما سمع
اهل بعلبك ذلك فزعوا فزعا شديدا واغبرت وجوههم ورعبت قلوبهم وكانت من الحرب ايديهم
وقالوا اهلكنا البطريق واهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل ان يوجد بنا هذا
الحصار لكان خيرا لنا قال وشدد المسلمون عليهم القتال (قال الواقدى) فلما علم ابو عبيدة
ان نيران الحرب قد اضرمت على المدينة ارسل الى سعيد بن زيد يقول له اسرع بالبطريق
الينا وله الامان الذى أمنت انت فنحن لا ننقض لك عهدا فلما ورد رسول ابى عبيدة على سعيد بن
زيد استخلف على الضيعة رجلا من اصحابه وسار سعيد مع البطريق حتى وردا على الامير ابى
عبيدة رضى الله عنه فلما وقف البطريق بين يديه ونظر الى زيه وزى من معه وشهد قتالهم
وعظم ما تلقى المدينة من حربهم وقتالهم حرك البطريق راسه وعض على انامله فقال أبو عبيدة

رضى الله عنه لترجمانه مالهذا يحرك راسه ويعض أنامله كانه يتأسف على شئ فاته قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل على الترجمان وقال له وحق المسيح وماسيح وحق البيعة والمذبح لقد ظننت انكم أكثر عددا من الحصى وأكثر مددا ولقد كان يخيل لنا عند حربكم وشدة ماتلقى منكم انكم على عدد الحصى والرمل من كثرتكم ولقد كنا نرى خيلا شهبا وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر وعليهم ثياب خضر فلما صرت بينكم لم أر من ذلك شيئا وما أراكم الا فى قلة عدد وما ادرى مافعل جمعكم ابعثتموه الى عين الجوز والى جوسية أو مكان آخر فأخبر الامير الترجمان بذلك فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن معاشر المسلمين يكثرنا الله تعالى فى اعين المشركين ويمدنا بالملائكة كما فعل بنا يوم بدر وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم علينا واذل ملوككم فلما سمع البطريق كلام أبى عبيدة رضى الله عنه على لسان الترجمان قال لقد وطئتم الشام الذى عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجرامقة وماظننا ان يكون ذلك أبدا وأمام مدينتنا فهى حصينة لاتعبأ بالحصار لانها مدينة ليس بالشام مثلها بناها سليمان بن داود عليهما السلام لنفسه وعملها دار مقامه وخزانة ملكه ولولا ماسبق من تفريطنا وخروجنا عنها اليكم وانحرافنا عنها ماصالحناكم أبدا ولا اهالنا حربكم ولو اقمتم علينا مائة سنة والآن فقد كان ذلك فهل لكم ان تصالحونا حتى نصالحكم فتعدل فينا فهو أقرب رشدا لنا ولكم فوحق المسيح والانجيل الصحيح لان فتحنا لكم هذه المدينة لا يصعب عليكم فى الشام حصن ولا مدينة قال فلما اخبر الترجمان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بما قاله قال أبو عبيدة للترجمان قل له ان شاء الله تعالى ملكنا أرضكم وديار كم واذل لنا ملوككم فلابد ان تؤدوا الجزية وقد ظننت لنفسك امانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصغار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا ان نملك مدينتكم ان شاء الله تعالى ونقتل الرجال ونأسر الابطال فمن أراد حربنا وقتالنا فلا يدخل فى صلحنا أبدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان لقد تيقنت ان المسيح قد غضب على أهل هذه المدينة اذ بعث بكم اليها وملككم عليها وقد اجتهدت فى حربكم ومكرت بكم ومانفع مكرى واجتهادى لانكم قوم مسلطون وانما طلبت منكم السلم والقيت يدى فى ايديكم بعد جهد منى وشقة منى على نفسى ولا بقاء منى على ملكى ولكن أردت اصلاح البلاد لان الله تعالى لايحب الفساد والآن فهل لكم ان تصالحوا على المدينة ومافيها وعلى اصحابى هؤلاء فقال له الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فما الذى تبذل لنا فى صلحك فقال له البطريق أيها الامير انظر فما الذى تريد فقال الامير أبو عبيدة لو ان الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة ملئها ذهبا وفضة ما كان احب الى من سفك دم رجل واحد لكن الله تعالى اعطى الشهداء فى الآخرة اكثر من ذلك فقال البطريق أنا اصالحكم على الف أوقية من الفضة البيضاء والف ثوب من الديباج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتبسم الامير أبو عبيدة من كلامه واقبل على المسلمين وقال اما

تسمعون ما يقول هذا البطريق قالوا نعم قال فما رأيكم فيما شرط على نفسه فقالوا يزيد
عليه وشرطه برضينا فأقبل الامير على البطريق وقال له أنا اصالحكم على الفى أوقية من
الذهب الاحمر والفى أوقية من الفضة البيضا والفى ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف
من مدينتكم وسلاح اصحابك الذين هم فى الضيعة محاصرون ولنا عليكم خراج ارضكم
فى العام الآتى واداء الجزية فى كل عام وانتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحا ولا تكاتبون
ملكا ولا تحدثون حدثا ولا كنيسة وترون النصح على المسلمين فلما سمع البطريق ذلك من
شرط الامير ابى عبيدة رضى الله عنه قال لك ذلك كله علينا الا انى أريد ان اشرط عليك وعلى
اصحابك شرطا فقال له الامير ابو عبيدة وما شرطك فقال لا يدخل الينا من اصحابك
احد وتنزل صاحبك الذى تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه ويكون له الخراج
والجزية وتدعى انا من داخل المدينة من قبل الاصلاح بين الناس والنظر فى احوالهم ونحن
نخرج الى من تخلفه علينا من اصحابك سوقا يكون فيه من جميع ما فى مدينتنا ولا يدخلون
الينا مخافة ان يغلطوا بكلامهم على كبرائنا ويفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سببا للغدر
ونقض العهد قال ابو عبيدة فاذا صالحناكم نحفظ عهدكم لانكم تصيرون فى ذمتنا
ويكون الرجل الذى نخلفه عليكم مثل الواسطة والسفير بينكم قال البطريق هربيس
يكون خارج المدينة ويفعل ما يشاء ان يفعله من المحاماة فقال ابو عبيدة لكم ذلك وما لنا
فى الدخول الى مدينتكم من حاجة فقال البطريق تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق
الى المدينة وابو عبيدة معه فلما وصل الباب حسر البطريق عن رأسه وطمطم عليهم بلغة الروم
فعرفوه عند ذلك فقالوا له واين اصحابك ورجالك فقص عليهم قصته واخبرهم بخبره وخبر
اصحابه واعلمهم بالصلح فبكى القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الاموال فقال لهم
البطريق يا قوم وحق المسيح ما صالحتهم ولى وجه غير الصلح فقالوا له اذهب انت وصالح
عن نفسك وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا ولا ندع أحدا منهم يملكنا ولا يدخل بلادنا
ومدينتنا وهى احصن مدينة فى الشام وكان الامير ابو عبيدة رضى الله عنه قد أعلم المسلمين
بمصالحة البطريق وامرهم ان يكفوا عن القتال والحرب فلما سمع الترجمان كلام اهل بعلبك
لبطريقهم اخبر الامير ابا عبيدة رضى الله عنه بذلك فأقبل البطريق فقال له ابو عبيدة
هات ما عندك والا يرد الحرب كما كان فقال له البطريق دعنى والقوم فوحق الانجيل الصحيح
وعيسى المسيح لولم يقبلوا منى لادخلنك بالكثرة اليهم فيضع السيف فيهم ونقتل رجالهم ونسبى
نساءهم وننهب اموالهم لانى خبير بعورات بلادهم وبطرقاتها قال ابو عبيدة رضى الله عنه
ما شاء الله كان قال وكان الروم على سورهم يسمعون كلام البطريق لابى عبيدة رضى الله
عنه فدخل الرعب فى قلوبهم فعند ذلك أقبل البطريق على الروم وقال لهم ما تقولون فى صلح
العرب فانى اسير فى ايديهم ورجالهم وبنو عمكم فى قبضتهم فان لم تصالحوا العرب والا يقتلونا
جميعا ويرجعون اليكم من بعدنا فقالوا ايها السيد انا لا نطيق هذا المال فقال

ياويلكم على وحدى ربع ماطلبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا انا لانفتح الباب الالك وحدك ولايدخل معك أحد من العرب حتى نصلح مدينتنا ونرفع رحالنا ونخفى حريمنا فقال البطريق ويحكم فانى قد صالحت القوم على أن لايدخل مدينتكم أحد منهم وان الرجل الذى يخلفوه عليكم يكون هو وأصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا يتسوقون منه قال ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم وبعث الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد أن يخلى عن الرجال الذين فى الضيعة محاصرين فخلى سعيد بن زيد سبيلهم وجاء بهم عند الامير أبى عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهاين على المال الذى عندهم لانه خاف ان تركهم يرجعون الى المدينة ويغدرون بالمسلمين فتركهم عنده فى عسكره هذا والبطريق فى المدينة يجبى المال بعد اثنى عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى حضرة ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال له تسلم الاموال على ماوا فقتك عليه وخل عن الرجال وانظر من تخلفه علينا من أصحابك فأحضره لنا حتى نشترط عليه بحضرتك أن لايجوز علينا ولا يطالبنا بما لانطيق ولايدخل مدينتنا قال فدعا أبو عبيدة برجل من سادات قريش اسمه رافع بن عبد الله السهمى وقال له يارافع بن عبد الله استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس من بنى عمك وعشيرتك وأربعمائة فارس من اخلاط المسلمين وانى آمرك بما امرك الله به فاتق الله حق تقاته ولاتكن الامن الولاة العادلين واياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين واعلم ان الله تعالى سائلك عنهم ومطالبك بما تضع بغير الحق واعلم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام أن ياموسى لاتظلم عبادى أخرب بيتك من نفسك فأقم الارصاد فى أطراف البلاد فانك بين أعدائك وبعد هذا ماعرفتك الاستيقاظ وأحذرك من السواحل وشن الغارة عليهم ولتكن غارتك فى المائة والمائتين ولاتمكن أحدا من المدينة يختلط بأصحابك فى غارة حتى يطمع عدوكم فيه وأحسن معاملة من ساعدك واصلح بينهم وأمرهم بالعدل وكن بينهم كاحدهم وامر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم عن الفساد والظلم للرعية والله تعالى خليفتى عليك والسلام عليك

❁(ذكر حديث نزول المسلمين على حمص)❁

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورضى عنه ونفعنا به آمين قال ثم هم أبو عبيدة رضى الله عنه بالرحيل الى حمص واذا قد ورد عليه صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ماصالحه أهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب السلمى ووصاه بمثل ماوصى به رافع بن عبد الله ورحل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يطلب حمص فلما وصل الى بين الراس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هدية كثيرة فقبلها منه وجدّد معه صلحا وسار الامير أبو عبيدة رضى الله عنه حتى نزل على حمص (قال الواقدى) حدّثنا حباب

ابن تميم الثقفى قال كنت فيمن أقام مع رافع بن عبد الله السهمى فى جملة أصحابه وذلك اننا
نصبنا بيوت الشعر على العمد وأقمنا خارج المدينة لا يدخل اليها أحد منا ونحن مع ذلك
نشن الغارة على سواحل الروم ونكبس العرب التى لم تكن فى صلحنا وكنا اذا خرجنا فى سرية
نبيع الغنائم فى بعلبك ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كذب
ولا خيانة ولا نريد ظلم أحد وطابت قلوبهم وربحوا فى تلك المدة اليسيرة مالا عظيما فلما نظر
البطريق هربيس الى ماربح أهل بعلبك منا فى تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم
اليه فى كنيسة المدينة وهى الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد وعدهم فيه الاجتماع فلما
اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة لقد علمتم انى قد اجتهدت
فى أموركم وحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وأنتم تعلمون ماذهب
منى من المال وأنا اليوم واحد منكم وقد سلمت مالى وسلاحى وقتل أكثر غلمانى ورجالى
وبنو عمى وأنتم قوم قد أصبتم مع هؤلاء العرب خيرا كثيرا فى هذه التجارات وقد أديت وحدى
ربع المال فقالوا صدقت أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فما الذى تريد الان
فقال ياقوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم وأريد أن تردوا
على بعض ما بذلت من المال للعرب فقالوا ايها البطريق وأنى لك بذلك فقال
البطريق ياقوم لست أكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حوته منازلكم شيأ وانما
أريد أن تجعلوا لى فى هذه البيوع والاشربة العشر مما تأخذون وتعطون قال فاضطرب
القوم اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقالوا يا قوم هذا رجل
منا وصاحب ملكنا وقد اجتهد فى أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وما عسى يصيب علينا
فى مالنا قال فأجابوه الى ذلك وجعلوا له عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ
منهم أعشارهم ويجمعه ويحمله اليه فأقام على ذلك أربعين يوما فلما نظر هربيس
الى كثرة ما قد اجتمع له من مال العشر قال أنا أعلم ان هذه المدينة فى كسب عظيم
وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ثم جمعهم بالكنيسة مرة ثانية وقال لهم
ياقوم قد علمتم ما قد بذلت من المال على صلحكم وهذا الذى تعطونى اياه من العشر ليس
يجزينى فان أردتم أن تردوا على مالى وتجعلونى كاحدكم فاجعلوا لى الربع فى أموالكم
حتى يرجع الى مالى سريعا والا فانى أخلف من هذا العشر مالى وسلاحى وغلمانى
(قال الواقدى) فأبى القوم وضجوا عليه واشهروا عددهم ووقعوا فى البطريق بغلمانه
فقطعوهم اربا اربا وارتفع ضجيجهم فجزع المسلمون لذلك وهم لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى
اميرهم رافع بن عبد الله السهمى وقالوا أيها الامير ما تسمع أصوات هؤلاء القوم فى مدينتهم
فقال ياقوم قد سمعت كما سمعتم فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل انا الدخول اليهم وبهذا
جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن أحق بمن أوفى بعهد الله تعالى فان هم خرجوا الينا واعلمونا
بأمرهم صالحنا بينهم ونظرنا فى أمورهم (قال الواقدى) فما استتم الامير رافع بن عبد الله

كلامه حتى خرج أهل بعلبك يهرعون اليه فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبك أيها الامير ثم أعلموه بقصتهم ومافعل البطريق بهم أول مرة ومافعل بهم ثانى مرة قال رافع بن عبد الله انا ماغمكنه بذلك فقالوا يا أيها الامير انا قد قتلناه هو وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رافع فما الذى تريدون فقالوا نريد ان تدخلوا الى المدينة فانا قد أطلقنا لكم الدخول اليها فقال رافع بن عبد الله انا لا اقدر أن أدخل المدينة الا باذن الامير أبى عبيدة لانه ما اذن لى بذلك ثم كتب رافع بن عبد الله الى الامير أبى عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذى قالوه فكتب له بالدخول الى المدينة كما قد أذنوا لك فدخل رافع وأصحابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا موسى بن عامر قال حدثنا يونس بن عبد الله قال حدّثنا سالم بن عدى عن جدّه عبد الرحمن بن مسلم الربيعى وكان ممن حضر فتوح الشام اوله وآخره قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبد الله وتوجه الى حمص واللحوق بخالد بن الوليد فلما قرب من حمص وموضع يقال له الزراعة وجه على مقدّمة جيشه ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض وضم اليه خمسة آلاف فارس من المسلمين فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص خرج خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى لقائه وسلم عليه وعلى من معه من المسلمين ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور فى خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ببقية الجيش فلما أشرف أبو عبيدة على حمص قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون باجمعهم وسلموا عليه وعلى من معه ونزل ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه على النهر المقلوب فلما استقر به القرار كتب الى اهل حمص وبطريقها الجديد وهو هرابيس كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابى عبيدة عامل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على الشام وقائد جيوشه اما بعد فان الله تعالى قد فتح علينا بلادكم ولا يغرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم فما مدينتكم عندنا اذا اتاكم الحرب الا كالبرمة وقد نصبناها فى وسط عسكرنا والقينا اللحم فيها وجميع العساكر يتوقع الاكل منها وقد داروا بها ينتظرون نضاجها واكل ما فيها ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل فان أطعتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا امناء يعلمونكم امر دينكم وما فرض الله تعالى عليكم وان ابيتم الاسلام اقررناكم على اداء الجزية وان ابيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب والقتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ثم طوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وكان ذلك الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال له انطلق الى حمص وائتنا بالجواب فأخذ المعاهدى الكتاب وسار حتى وصل الى السور فهم اهل حمص ان يرموه بالسهام والحجارة فقال لهم بالرومية يا قوم امسكوا عليكم فأنا رجل معاهدى وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء العرب (قال الواقدى)

قد لوا

فدلوا له حبلا فربط وسطه وشالوه اليهم فأتوا به الى بطريقهم فلما وقف بين يديه صقع له وناوله الكتاب فقال له البطريق أرجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب قال لا ولكن فى ذمتهم وعهدهم أنا وأولادى وأهلى ومالى ومارأينا من القوم الا خيرا والصواب عندى لا تقاتلوهم فان القوم أولوا بأس شديد لا يخافون ولا يرهبون الموت قد تمسكوا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة وقد أقسم القوم بدينهم لا يبرحون عن مدينتكم حتى تسلموها اليهم أو يفتحها الله على أيديهم وحق دينى انكم أحب الى من العرب وأريد النصر لكم دون القوم ولكنى خائف عليكم من بأسهم وسطوتهم فسلموا تسلموا ولا تخالفوا تندموا (قال الواقدى) فلما سمع البطريق هربيس كلامه غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح والانجيل الصحيح لولا انك رسول لامرت بقطع لسانك على جراءتك علينا فلما قرأ الكتاب وعلم ما فيه امر كاتبه أن يكتب الى الامير أبى عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة الكفر ثم قال يا معاشر العرب انه وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من أهل الشام ولم يزل الملك هرقل يستنصر بنا على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلا بد من الحرب والقتال فان سورنا شديد وابوابنا حديد وحربنا عنيد والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهدى وامر غلمانه ان يدلوه بالحبال من السور وسار حتى وصل الى الامير ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه وسلمه الكتاب ففضه وقراه فلما سمع المسلمون ما فيه عولوا على الحرب والقتال وقسم الامير ابو عبيدة عسكر المسلمين اربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجية الفزارى فنزل بهم على باب الجبل مما يلى باب الصغير وبعث فرقة اخرى مع المرقاد بن هاشم بن عقبة بن ابى وقاص فنزل بهم على باب الرستق وبعث فرقة اخرى مع يزيد بن ابى سفيان فنزل بهم على باب الشام ونزل الامير ابو عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما على باب الصغير وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم فيلتقطونها بالجحف ونبال العرب تصل اليهم والى من بأعلى السور فأثرت لاجل ذلك ضرا فانفضوا عند المساء فلما كان من الغد جمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه كل عبد كان فى عسكر المسلمين وامرهم ان يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالجحف ويزحفون الى سور حمص ويضربون السور بأسيافهم ويتلقون السهام بجحفهم فقال الامير ابو عبيدة وما عسى ان يغنى عنا هذا يا ابا سليمان فقال خالد رضى الله عنه على رسلك ايها الامير ولا تخالفنى فيما صنعت فانى عزمت ان اقاتلهم بالعبيد ونعلمهم ان ما لهم عندنا من القدر شئ فانا نقاتلهم بأنفسنا الا ان يخرجوا الينا فقال ابو عبيدة رضى الله عنه افعل ما شئت فالله تعالى يوفقك فعند ذلك امرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالزحف على الاسوار وكانوا اربعة آلاف عبد وامر خالد الفا من العرب ان تترجل معهم ففعلوا ذلك وزحفوا على السور وقد استتروا بالجحف والعرب من ورائهم فرموا بالنبل وضربوا بسيوفهم فمنها ما تثلم ومنها ما انكسر (قال الواقدى) واشرف

عليهم هربيس صاحب حمص وقد دارت بطارقته واصحاب الحرب فجعلوا يتأملون الى افعالهم فقال هربيس يامعاشر البطارقة وحق المسيح ماظننت ان العرب بهذه الصفة واذاهم كلهم سودان فقال له بعض من لحقه باجنادين وسائر المواطن لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب فى الحرب وقد قدم هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالنا ليعلمنا ان ليس لنا عندهم من القدر بأن يلقونا بأنفسهم أو نخرج اليهم فقال هربيس وحق المسيح ان هؤلاء أشد من العرب بأسا وأقوى مراسا واعلموا انه مالزق قوم بسور مدينتنا ولادنوا منها الا وقد هان عليهم أمرها واقترب على أيديهم فتحها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى ان العبيد قاتلوا يومهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم ذلك حتى أقبل الليل ورجعت الموالى الى عسكر المسلمين وبعث هربيس من ليلته رسولا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فأقبل الرسول والظلام معتكر فأحس جيوش المسلمين به فهموا به فقال أنا رسول من البطريق هربيس صاحب حمص وأريد الجواب عن هذا الكتاب فسلم اليهم كتاب هربيس فأخذه ابوعبيدة رضى الله تعالى عنه وقرأه فاذا فيه يامعاشر العرب اناظننا ان عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور واذا أنتم بخلاف ذلك لانكم فى أول حربكم لنا تفرقتم على الابواب فقلنا هذا أشد مايكون من الحصار وأعظم مايقدرون عليه من الاضرار فلما كان من الغد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون أسيافهم ويكسرون سلاحهم فياليت شعرى لولم تصبر سيوفهم على فساد سورنا وقد بان لنا عجز رأيكم وتدبيركم فى القتال وملاقات الرجال والآن فأنا اشير عليكم بأمر فيه الصلاح لنا ولكم وهو ان تسيروا الى الملك هرقل وتفتحوا مابين ايديكم كما فتحتم ماوراءكم واياكم واللجاج والبغى فانهما قاتلان لمن اتبعهما وراجعان على من بدابهما أونحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق قال فلما قرأ الامير ابوعبيدة كتاب هربيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر عنده رجل كبير من اكابر خثعم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء بن عمر الخثعمى وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الراى قد قاد الرجال وولى امر الجيش وحزم العساكر فلما سمع كتاب هربيس وثب قائما على قدميه وقال للامير ابى عبيدة رضى الله عنه اقسمت عليك ايها الامير برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعت مقالى فان فيه صلاحا للمسلمين فالله وفقنى لمقالة وايد المسلمين بها قال ابوعبيدة رضى الله تعالى عنه قل يا اباعمر فأنت عندنا ناصح للمسلمين قال فدنا من الامير ابى عبيدة وشاوره وقال له اصلح الله الامير اعلم ان خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء الشام وهذا البطريق اشد منعة واعظم جولة ممن كان قبله وقد علم بفتوح بعلبك وانك لابد ان تنزل على حصارها وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار وقد شحنها بالرجال وماترك فى رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوه عندهم

مايكفيهم اعواماوان نحن حاصرناهـم يطول الامر كماطال امرناعـلى دمشق والراى عنـدى
أن تخدعهم بخديعة وتحتـال عليهم بحيلة فان تمت لناعليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب
ان شاء الله تعـالى قال أبوعبيدة رضى الله تعـالى عنـه وما الحيلة عنـدك ياابن عمر فقـال
الرأى عنـدى نكـتـب الى هؤلاء القوم أن يميرونا بالزادوالعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم
لى أن يفتح الله تعـالى عليك غـيرمدينتهم ونرجـع اليهـم وقد قل زادهم وانتشروا فى سوادهم
وتفرقوا فى امصارهـم وتجـاراتهم ونشن عليهـم غارة فتملك ماظهر منهـم ويهون عليـك
امر من بقى فى حمص مع قلة الزادوالعلوفة فقـال ابوعبيـدة اصبت الراى ياابن عمروانى سوف
افعـل ماذكرته ونرجومن الله التوفيق والعون ثم دعا ابوعبيـدة رضى الله عنه بدواة
و بيـاض وكتب جواب الـكتاب يقول فيـه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى رايت فى قولك
صلاحالناولـكم ولسنانريد البغى عـلى احدمن عبـاد الله عزوجل وقد علمت أن عسكرنا كثير
وخيلناوابلنـا كثيرفان اردتم ان نرتحل عنـكم فابعثوالنـا ميرة خمسة ايام وانتم تعلمون
ان الـطريق الذى امامنـا بعيد ومانلقى بعدكم الا كل حصن منيـع وابواب حديد فاذا امرتمونا
رحلنـاعنـكم الى بعض مدائن الشـام فاذافتح الله علينـا ببعض مدائن الشـام رجعناعنـكم
كمازعمتم فان فعلتم ذلك كان صلاحالـكم وطوى الـكتاب وسلمه وسار الرسول الى حمص فلماقرا
هربيس الـكتاب فرح بذلك وجمـع الرؤسـاء والرهابين وقال لهم اعلموا ان العرب قد بعثوا
يطلبون منكم الزادوالميرة حتى يرحلواعنكم فان العرب مثلهم كمثل السبـع اذاوجد فريسته
لم يرجـع الى غيرهاوهم قد لحقهـم الجوع فى مدينتـكم واذا اشبعنـاهم انصرفواعنـافقـالوا
ايهـا الامير نخاف من العرب ان يأخذوا الزادوالعـلوفة ولا يرحلون عنـا فقـال انا نأخذ
لـكم عليهـم العهود والمواثيق انـكم اذا امرتموهم يرحلواعنـكم فقـالوا افعل مابدالك
واستوثق لناولـكم قال فبعث هربيس واحضرالقسوس والرهبـان وامرهم ان يخرجوا الى
الاميرابى عبيدة رضى الله عنه و يأخذواعليهم العهودوالمواثيق اذا امرناهـم يرحلواعنـاقال
فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستق فساروا حتى وصلوا الى الاميرابى عبيدة واخذواعليهم ميثاقا
وعهدا ان يرحلواعنهم اذهم امروهم ولا يرجـع عليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن
الشام شرقا وغربا سهلا كان اوجبلا فقال الاميرابوعبيدة رضى الله عنه قد رضيت بذلك وتم
الصلح على ذلك واخرج لهـم اهل حمص ممـا كان قد ادخروه من الزادوالعلوفة شيـأعظيما له
ولعسكره ممـا يكفيهم مدّة خمسة ايام فأقبل ابوعبيدة عليهم وقال يااهل حمص قبلناما حملتموه الينا
من الزاد والعلوفة فاذا رأيتم الآن أن تبيعوامن الزادوالعلوفة فقالوانحن نفعل ذلك فعندها
نادى الامير أبوعبيدة بشراء الزادوالعلوفـة وليكثروامن ذلك فان قدامكم طريق واسع قليـل
الزادوالعلوفة فقـالوا أيها الاميربماذا نشترى الزادوعلى أى شئ نحمله فقـال أبوعبيدة من
كان معه شئ من الذى غنمتموه من الروم فليشـتربه الزادوالعلوفـة قال حسـان بن عدى
الغطفانى خفف الله عن أبى عبيـدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس

جما كان قد أثقلنا وأثقل دوابنا فأخذ نابه الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم فى البيع والشراء ويشترى منهم أهل حمص ما يساوى عشرين دينارا بدينارين ورغب أهل حمص فى شراء الرخيص ولم يزل أهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص يفرحون برحيل العرب عنهم قال وكان للروم فى عسكر العرب جواسيس وعيون يأخذون لهم الاخبار فلما نظرت الجواسيس الى حمص وقد فتحوا مدينتهم وهم يميرون العرب ظنوا أنهم دخلوا فى طاعتهم فسارت الجواسيس الى انطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتازوا ببلد من البلاد أو حصن من الحصون يقولون ان أهل حمص قد دخلوا فى طاعة العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل للمسلمين وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيزر فأشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك

(ذكر فتح الرستن)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال وسار الامير ابو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماؤها غزير وهى مشحونة بالرجال والعدد العديد فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا فى ذمته فأبوا عن ذلك وقالوا لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رحال وأمتعة قد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا قال فأتى أهل الرستن الى بطريقهم وكان اسمه نقيطاس وشاوروه فى ذلك فقال يا قوم ما زالت الملوك والعساكر يودع بعضها بعضا وما يضرنا ذلك ثم بعث الى الامير أبى عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل فقال الامير أبو عبيدة ونحن نفعل ان شاء الله تعالى ثم قال الواقدى رحمه الله تعالى) عن ثابت بن قيس بن علقمة قال كنت ممن حضر عند أبى عبيدة رضى الله عنه فعند ذلك دعا بأهل الرأى والمشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان هذا حصن شديد منيع ليس لنا الى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة وأريد أجعل منكم عشرين رجلا فى عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها فاذا صاروا فى المدينة تنوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين فقال خالد بن الوليد فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أنثى فى ذكر من غير شئ يمسكها فاذا حصل أصحابنا فى حصن هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فان النصر مقرون بالتكبير فأجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم ففض أسافلها وجعلها ذكر فى أنثى فأول من دخل فى الصناديق ضرار بن الازور والمسيب بن نجبة وذو الكلاع الحميرى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى والمرقال وهاشم بن نجبة وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ومالك بن الاشتر وعوف بن سالم وصابر بن كاكل ومازن بن عامر والاصيد بن سلمة وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبى جهل وعتبة بن الباس ودارم بن فياض العبسى وسلمة

ابن

ابن حبيب والفارع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبد الله بن جعفر الطيار وجعله أميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم فلما حطت الصناديق فى الرستن ألقاها نقيطاس فى قصر امارته وارتحل الامير ابو عبيدة رضى الله عنه وسار حتى نزل فى قرية يقال لها السودية فلما اظلم الليل بعث خالد ابن الوليد رضى الله عنه بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من اصحابه وما فعلت الصحابة رضى الله عنهم فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة واذا بالصياح وقد علا والتهليل التكبير من داخل مدينة الرستن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من امر الصحابة وانه لما تركهم نقيطاس فى دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته واهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر لاجل رحيل المسلمين عنهم فارتفعت اصواتهم بقراءة الانجيل وسمع اصواتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على انفسهم واشهروا سلاحهم وقبضوا على امراة نقيطاس وحريمه وقالوا نريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم فلما حصلت المفاتيح فى ايديهم رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكبس القوم على ابواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة ولا سلاح وبعث عبد الله بن جعفر الطيار ربيعة بن عامر والاصيد بن سلمة وعكرمة بن ابى جهل وعتبة بن العاص والفارع بن حرملة وسلم اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم المسلمين من حول المدينة مكمنون فتبادر الخمسة الى الباب القبلى وهو باب حمص وفتحوه وفتحوا اصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة واذا هم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد رضى الله عنه فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع اهل الرستن اصوات اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموا انهم فى قبضتهم وان مدينتهم قد اخذت من ايديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انا لا نقاتلكم ونحن الآن اسرى لكم فاعدلوا فينا فأنتم احب الينا من قومنا قال فأعرض خالد بن الوليد رضى الله عنه الاسلام عليهم فأسلم منهم كثير وبقى الاكثر يؤدون الجزية واما اميرهم نقيطاس فانه قال لا اريد بدينى بدلا فقال له خالد ابن الوليد رضى الله عنه الآن فاخرج بأهلك عنا وحدث قومك بعدلنا فأخرجوه من الرستن فتوجه بأهله وامواله الى حمص واعلم اهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على اهل حمص وعلموا ان العرب تصبحهم او تمسيهم بالغارة وبعث جعفر بن عبد الله الطيار الى ابى عبيدة يخبره بالفتح والنصر فسجد لله تعالى شكرا وبعث اليهم الف رجل من اليمن ووصاهم بحفظ الرستن وامر عليهم هلال ابن مرة اليشكرى فلما استقروا بالرستن رحل خالد بن الوليد رضى الله عنه وعبد الله بن جعفر واهلهم وعساكرهم وتوجهوا الى حماه وكان اهل حماه فى صلح المسلمين كما ذكرنا وكذلك اهل شيرز الا ان بطريق اهل شيرز مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس ففسخ الصلح واذاق اهل شيرز ضرا وشرا وكان يصادرهم ويأخذ اموالهم ويحتجب عنهم لاهيا فى اكله وشربه فلما بلغ الخبر الى الامير ابى عبيدة بعث خيلا جريدة الى شيرز فغارت الخيل على بلدهم ووقعت الضجة بشيرز وسمع البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته

وأظهر لهم بعض حجابه وجلس فى بيعتهم المعظمة عندهم وجمع الرؤساء منهم وقال لهم يا أهل شيرز أنتم تعلمون ان الملك هرقل قد استخلفنى عليكم أحفظ مدينتكم وأنهى عن حريمكم وأموالكم ثم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وأمرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم خالد بن الوليد فى أصحابه ومعهم جيش الزحف فنزلوا بازائهم وأشرف بعده يزيد بن أبى سفيان بأصحابه فنزل عليهم واشرف بعده الامير أبو عبيدة فى عساكره جميعهم فلما نظر أهل شيرز تلاحق العساكر عليهم أهالهم ذلك وعظم عليهم وحارت أبصارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى فلما نزل أبو عبيدة رضى الله عنه كتب الى أهل شيرز كتابا يقول بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد يا أهل شيرز فان حصنكم ليس بأمنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع فاذا قرأتم كتابى هذا فادخلوا فى طاعتى ولا تخالفونى فيكون وبالا عليكم وقد بلغكم عدلنا وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل فى طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وبعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم أعطوه الى بطريقهم نكس فقرئ عليه فلما فهم ما فيه قال ما تقولون يا أهل شيرز فيما ذكرت العرب فقالوا صدقت العرب أيها البطريق الكبير فان حصننا ليس بأمنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق وبصرى وأنت تعلم شدة أهل حمص وحدة شجاعتهم وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدنها والاردن وحصنها فكيف تمنع عنهم شيرز وهى حصن لطيف فان عصيت هؤلاء العرب فانك معول على هلاكنا وخراب مدينتنا (قال الواقدى) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام وأقبل البطريق نكس يسب أهل شيرز وأمر غلمانه بضربهم فلما نظر أهل شيرز ذلك غضبوا وأظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرف المسلمون ذلك وقالوا اللهم اطرح بأسهم ولم يزل أهل شيرز فى القتال حتى نصروا على البطريق وعلى غلمانه وقتلوهم عن آخرهم ثم خرجوا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه رجالا الى لقائه بغير سلاح فلما وقفوا بين يدى الامير أبى عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير انا قتلنا بطريقنا فى محبتكم قال يا أهل شيرز بيض الله وجوهكم وأدر رزقكم فقد كفيتمونا الحرب والقتال ثم قال للمسلمين ألا ترون الى حسن طاعة العرب هؤلاء وفعالهم ببطريقهم فى محبتكم والدخول فى طاعتكم وقد رأيت من الرأى أن أحسن الى القوم وأنعم عليهم فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى يصل ما تصنع الى غيرهم ويفتح الله علينا البلاد ان شاء الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فأقبل على أهل شيرز وقال أبشروا فانى لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم الدخول فى ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ففرح الروم بذلك وقالوا أيها الامير سمعنا وأطعنا وهذا قصر بطريقنا فأنت أحق بما فيه وهو هدية منا اليك فدونك واياه وما فيه من الرحال والآنية والاموال فأخرج أبو عبيدة رضى الله عنه منها الخمس وقسم الباقى على المسلمين بالسوية ونادى أبو عبيدة رضى الله عنه يا معاشر المسلمين قد

فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ووفيتم لهم ما عاهدوكم عليه فارجعوا بنا عليهم رحمكم الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فركب المسلمون ظهور خيولهم وهموا بالمسير واذا قد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهى منقلبة من طريق انطاكية وقد أخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها فاذا معها قسيس كبير من قسوس الروم ومعه مائة برزون موسوقة بالاحمال ومن حولها مائة علج من علوج الروم يحفظونها قال الواقدى رحمه الله تعالى ولم يكن للقسيس خبر بنزول المسلمين على شيرز فصاح بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج أسرى وأخذوا البرازين وأقبل خالد على القسيس وقال له يا ويلك من أين أقبلت بهذه الاحمال قال فطمطم القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس المشوم فبدا اليه رجل من أهل شيرز وقال أيها الامير انه يذكر انه من القسوس المعظمة عند الملك هرقل وقد بعثه وبعث معه الى هربيس هذه الاحمال فيها ديباج أحمر منسوج بقضبان الذهب وعشرة احمال مملوءة دنانير وباقى الاحمال مملوءة من الثياب والدنانير فأخذوها وأخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا مثلها وساق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فوجده على النهر المقلوب مما يلى شيرز وتحته عباءة قطوانية وعلى رأسه مثلها تظله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه بالقسيس فأوقفه بين يديه فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ما هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه انهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهربيس صاحب حمص من كلب الروم هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعرض عليه الغنيمة ففرح الامير أبو عبيدة بها فرحا شديدا وقال يا أبا سليمان لقد كان فتح شيرز علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان معه لا يفارقه وقال اسأل هؤلاء عن كلب الروم الطاغية هرقل هل هو فى جمع كثير ام لا فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس قل للامير ان الملك هرقل قد بلغه انكم فتحتم دمشق وبعلبك وجوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معى هذه الهدية الى هربيس البطريق وكتب اليه يأمره بقتالكم ويوعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استنجد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابته الروسية والصقالبة والافرنج والارمن والدوقس والمغلبط والكرخ واليونان والعلف والغزانة واهل رومية وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان الامير ابا عبيدة رضى الله عنه بكل ما اعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير ابى عبيدة وعرض على القسيس الاسلام فقال القسيس للترجمان قل للامير ابى عبيدة انى البارحة رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وعرض على الاعلاج الاسلام فأبوا عن ذلك فضربت رقابهم ورحل أبو عبيدة رضى الله عنه وسار متوجها الى حمص وقد سير الخيل جريدة فى مقدمته فما تشعر أهل حمص الا والخيل قد غارت عليهم فرجع القوم

الى المدينة وقد غلقوا الابواب وقالوا غدرت العرب وحق المسيح قال ونزل المسلمون حول
حمص وداروا بها من كل جانب ومكان وقد نفد الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا
الى تجاراتهم وفى طلب الميرة وقد تفرقوا فى البلاد فلما نزل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على
حمص دعا بالعبيد والموالى وأمرهم أن يتفرقوا على الطرقات والمحارس وكل من وجدتموه
قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة ائتونى به ففعل العبيد ذلك وصعب ذلك على هربيس صاحب
حمص وكتب الى الامير أبى عبيدة كتابا يقول فيه أما بعد يا معاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر
ولا بنقض العهد ألستم صالحتمونا على الميرة فأمرينا كم فطلبتم منا البيع فابتعنا كم فلم
نقضتم ما عاهدنا كم عليه فكتب الامير ابو عبيدة رضى الله عنه يقول أريد أن ترسل
الى القسوس والرهبان الذين أرسلتهم الى حتى أوقفهم على ما عاهدتهم عليه حتى يعلموك
اننا لم نغدر ولا مثلنا من يفعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ هربيس الكتاب أحضر
القسوس والرهبان وبعث بهم الى الامير ابى عبيدة فخرجوا اليه وفتح لهم باب حمص
وساروا الى ان وصلوا للامير ابى عبيدة فسلموا عليه وجلسوا بين يديه فقال لهم ابو عبيدة
رضى الله عنه الم تعلموا انى عاهدتكم وحلفت لكم انى منصرف عنكم حتى افتح مدينة من
مدائن الشام سهلا كان او جبلا ثم يكون الراى لى ان شئت رجعت اليكم او سرت الى
غيركم فقالوا بلى وحق المسيح فقال لهم ان الله تعالى قد فتح علينا شيرز والرستن فى اهون
وقت وقد اغنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله فى هذه المدة اليسيرة والآن
فلا عهد لكم عندنا ولا صلح الا ان تصالحونا على فتح المدينة وتكونوا فى ذمتنا وامانتنا
فقال القسوس والرهبان لقد صدقت ايها الامير ليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم وقد
بلغنا فتحكم شيرز والرستن والخطأ كان منا اذ لم نستوثق لانفسنا والآن الامر بيد بطريقنا
ونحن نرجع اليه ونعلمه بذلك ثم رجعوا الى مدينتهم ودعا الامير ابو عبيدة رضى الله عنه
بالرجال والابطال واهل الحرب وقال خذوا اهبتكم فان القوم بلا زاد ولا مدد يأتى اليهم
من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله قال فلبس المسلمون السلاح والعدد
ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع اهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا ما عندك من
الراى فى امر هؤلاء العرب فقال الامر عندى ان نقاتلهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا فان الزاد
قد نفد من مدينتنا وقد اخذه القوم منا وما سمعنا بمثل هذه الحيلة فقال هربيس
ما لكم تعجزون عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم يصبكم شدة
ولا جوع وانما اصابوا منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم واقل الرجال على
السور يكفيكم اياهم وعندى من الزاد فى قصرى ما يعم كثيركم المدة الطويلة وما احسب
ان الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويوجه اليكم العساكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
وكان عند البطريق هربيس فى قصره جب عظيم مملوء طعاما ففتح وفرق الطعام على أهل
حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم وصغيرهم بقية يومهم ذلك

وقد

وقد انحشر أهل حمص بجميعهم فنفذ ذلك اليوم نصف ما فى الجب وقال لهم اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة ايام وابرزوا الى حرب عدوكم ثم أخذوا أهبة الحرب وعرض عسكره وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزراوزة والعمالقة لا يساويهم غيرهم فيهم ألف مدججة ملكية وفتح خزانة جدّه جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواشن والبيض والمغافر والقسى والنشاب والحراب وأقبل يحرضهم على القتال ويوعدهم بالمدّة والنجدة من الملك هرقل ثم دعا بالقسوس والرهبان وقال لهم خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهى كنيسة جرجيس وهى الجامع اليوم ونشروا المزامير وضجوا بالتهمير وأقبلوا يتهللون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك فلما كان عند الصباح دخل هربيس الى البيعة وتقرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدّم دخنوص مشوى فأكله حتى أتى على آخره وقدّم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه فى أم رأسه ثم لبس ديباجا محشوا بالفرو والزرد الصغار المضعف العدد ولبس فوقها درعا من الذهب الاحمر وعلق فى عنقه صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدّم له مهر كالطود العظيم واستوى على ظهره وخرج من قصره طالبا باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان وفتحت أبواب حمص وخرجت الروم فى عددهم وعديدهم وراياتهم وصلبانهم وبين يدى هربيس خمسة آلاف فارس من علوج الروم وهم بالعدد العديد والزرد النضيد فصفهم هربيس أمام المدينة كأنهم سد من حديد او قطع الجلمود وقد وطنوا انفوسهم على الموت دون اموالهم وذراريهم فتبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كأنهم حجارة ثابتة ما ولوا عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فتبادرت الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا اما عليه من مزيد الا أن المسلمين تراجعوا الى القهقرة وقد فشا فيهم القتل والجراح فلما نظر الامير ابو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح فيهم بصوته يا بنى القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من ايام الله تعالى فاحملوا معى بارك الله فيكم فتراجع الناس وحملوا على اهل حمص حملة عظيمة وشددوا عليهم بالحملة وحمل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى جمع كثير من بنى مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم طحن الحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف وحمل ابن مسروق العبسى فى طائفة من قومه من بنى عبس وقد رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وصدموا الروم صدمة عظيمة فتراجعت الروم الى الاسوار وقد فشا فيهم القتل فبربرت الروم بلغاتها وتراجعت على المسلمين واحاطوا بهم من كل جانب ومكان وتراشقت العلوج بالنشاب وطعنوا فى المسلمين بالحراب وقد استتروا بالدرق والطوارق قال فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك برز باللواء وهو

كان صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالجملة بارك الله فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة قال فبينما خالد بن الوليد يحرض اصحابه على القتال اذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة مانعة وهو يهدر كالاسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على رأسه فوقع سيفه على البيضة فطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته فى يده فطمع العلج فيه وحمل عليه ولاصقه حتى حك ركابه فى ركاب خالد وتقابضا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن أضلاعه وأدخل بعضها فى بعض فأرداه قتيلا وأخذ خالد سيف العلج وهزه فى يده حتى طار منه الشرر ووضع رأسه فى قربوص سرجه وحمل وصاح فى بنى مخزوم فحملوا حملة عظيمة وهاجوا فى أوساطهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادى برفيع من صوته أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد حتى تعلقت الشمس فى كبد السماء وحمى الدرع على خالد بن الوليد رضى الله عنه فخرج من المعركة وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل من مل‌ء دروعهم وسواعدهم كأنها شقائق الارجوان وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوائلهم وهو يقول

ويل لجمع الروم من يوم شغب ❊ انى رأيت الحرب فيه تلتهب

وكم لاقوا منا موقع النصب ❊ حتى تركت الروم فى حال العطب

قال فناداه الامير أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان لله درك لقد جاهدت فى الله حق جهاده فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الى غفلة الروم صاح فى بنى زهرة وحملوا فى ميمنة الروم وحمل ميسرة بن مسروق العبسى فى قوم وحمل عكرمة بن أبى جهل وحوله جمع كثير من بنى مخزوم وحملت المسلمون بأجمعهم وقد اطلعوا على الشهادة وأيقنوا بالعناية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يكن يوم حمص أشد حربا ولا أقوى جلدا من بنى مخزوم غير أن عكرمة بن أبى جهل كان اشدهم بأسا واقداما وهو يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم انا كنت اقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وانا اقاتل فى طاعة الملك العلام وانى ارى الحور متشوقين الى ولو بدت واحدة منهن الى اهل الدنيا لاغنتهن عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق هربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تضئ وتلتهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك وابن عمه قد وقع صريعا اقبل عليه حتى وقف عليه وبكا وقال يا ليت عمر ابن الخطاب نظر الى ابن عمى صريعا حتى يعلم انا اذا لاقينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا قال ولم يزالوا فى الاهوال الشديدة حتى هجم الليل عليهم وتراجعت الروم الى مدينتهم وغلقوا

الابواب وطلعوا على الاسوار وتراجعت المسلمون الى رحالهم وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما اصبح الله بالصباح قال الامير ابو عبيدة رضى الله عنه معاشر المسلمين ما بالكم قد صدكم هؤلاء القوم وبعد الطمع فيهم ما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله البسكم عافية مجللة وسلامة صابغة واظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع فما هذا التقصير والله تعالى مطلع عليكم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه هؤلاء فرسان الروم اشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان وقد تعلم انهم يكونون اشد فى الحرب لانهم يمنعون عن الذرارى والنسوان فقال ابو عبيدة رضى الله عنه فما الراى عندك يا ابا سليمان يرحمك الله فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ايها الامير قد رايت من الراى اننا نكشف للقوم غدا وندع لهم سوائمنا وابلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعتنا خيلهم وتباعدوا عن مدينتهم وصاروا معنا عطفنا عليهم ومزقناهم بالاسنة ونقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم فقال ابو عبيدة نعم الراى ما رايت يا ابا سليمان ولقد اشرت واحسنت قال وتواعد المسلمون على ان ينكشفوا بين يدى الروم وان يتركوا لهم سوائمهم فلما اصبح الصباح فتحت ابواب حمص وخرجت الروم من جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال فسألوهم العرب كف القتال واوروهم التقصير والخوف وطمعوهم فى انفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت الروم فى المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشد الروم بالجملة عليهم فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا سوائمهم قال نوفل بن عامر قال حدثنا عرفجة بن ماجد التميمى عن سراقة النخعى وكان ممن حضر يوم حمص قال لما انهزمت العرب أمام الروم وتبعناهربيس البطريق فى خمسة آلاف فارس على خمسة آلاف شهب وكانوا أشد الروم قال سراقة بن عامر واتهزمنا أمام القوم كأننا نطلب الزراعة وجوسية وأد كتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا فى الزاد والطعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد جلبته التجارب وعرف أبواب الحيل والخداع وكان عالما من علماء الروم وقد قرأ التوراة والانجيل والزبور والمزامير وصحف شيث وابراهيم وأدرك بعض حوارى عيسى بن مريم عليه السلام فلما أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملأت الروم سوادهم جعل يصيح ويقول وهو ينادى وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكايد العرب وان العرب لا تسلم اولادها واباها ولو قتلوا عن آخرهم قال وجعل القسيس يصيح واهل حمص قد وقعوا فى النهب وليس يغنيهم سوى الزاد والطعام والبطريق هربيس قد الح فى طلب المسلمين فى خمسة آلاف فارس فلما بعدوا عن المدينة صاح الامير ابو عبيدة رضى الله عنه برفيع من صوته اعطفوا على الروم كالسباع الضارية والعقبان الكاسرة وردوا عليهم كردوسا واحدا حتى احاطوا بالبطريق وأصحابه من كل جانب وداروا بهم مثل الحلقة المستديرة واحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين وبقيت الروم فى اوساطهم

كالشامة السوداء فى الثور الابيض فعند ذلك نصبت العلوج نشابها على العرب والمسلمون يكرون عليهم مثل الاسود الضارية وتحوم عليهم كما تحوم النسور ويضربونهم بالسيوف ويصرعونهم يمينا وشمالا حتى انكسر أكثرهم قال عطية بن فهر الزبيدى فلما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكالبت علينا فلما حميت الحرب ابتدر خالد بن الوليد رضى الله عنه من وسط العسكر وهو على جواد أشقر وعليه جوشق مذهب كان اصاحب بعلبك أهداه له يوم فتح بعلبك وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد عمم نفسه بعمامة حمراء وكانت تلك العمامة عمامته فى الحرب وجعل يهدر كالاسد الجردان وقد امتضى سيفه من غمده وهزه حتى طار منه الشرر ونادى برفيع صوته رحم الله رجلا جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل أعداءه فعندها امتضت المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة عظيمة ونادى الامير أبو عبيدة يابنى العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم وأموالكم فان الله مطلع عليكم وناصركم على عدوكم قال وكان معاذ بن جبل قد انفرد فى خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقض على الروم فما شعرت الروم والعلوج ممن انغمس فى الغارة وحمل الزاد والرحال والامتعة الا والطعن قد أخذهم بأسنة الرماح من كل جانب كأنها ألسنة النار المضرمة ونادى مناد يافتيان العرب اطلبوا الباب لئلا ينجو أحد من الروم برحالنا وأولادنا فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت علوج الروم قد غرقت فى رحال المسلمين فلما نظروا الى معاذ وقد حمل عليهم فى رجاله عادت وقد رمت الرحال وطابت الهرب فانقلب منهم من انقلب وقتل من قتل قال صهيد بن سيف الفزارى فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا ما ينوف عن مائة فارس قال واتبعنا القوم الى الابواب فكان أعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب لان أكثر الرجال من العواصم وغيرهم كانوا فى المدينة قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت ممن أولع بعدد القتلى فعددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فدنوت من الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وقلت البشارة أيها الامير فانى قد عددت خمسة الاف وستة غير أسير وجريح فقال الامير أبو عبيدة بشرت بخير ياسعيد يا ابن زيد فهل ترى قتل بطريقهم هربيس فقال سعيد بن زيد أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فما قتله غيرى فقال الامير أبو عبيدة وكيف علمت أنه قتيلك ياسعيد فقال سعيد بن زيد أيها الامير انى رأيت فارسا عظيم الخلقة طويلا ضخما أحمر اللون وبيده سيف وعليه لامة حربه صفتهما كذا وكذا وهو فى وسط الروم كانه البعير الهائج فحملت عليه وقلت فى حملتى اللهم انى أقدم قدرتك على قدرتى وعليتك على عليتى اللهم اجعل قتله على يدى وارزقنى أجره فقال له أبو عبيدة ما اخذت سلبه ياسعيد قال لا ولكن علامتى فيه نبلة من كنانتى أثبتها فى قلبه فخر يهوى عن جواده ونفرت عنه أصحابه فلحقته فضربته بسيفى ضربة فصرمت حقوته ونبلتى فى قلبه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أدركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى سعيد ففعلوا ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى)

فلما

فلما أخذت الحرب أوزارها أخذ المسلمون الاسلاب والدروع والشهابي ومثلوا الجميع امام الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فاخرج منها الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقي على المجاهدين قال ووقع الصياح والبكاء في حمص على من قتل منهم من فرسان الكفار ورجالهم قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتحدثوا مع القسوس والرهبان على أن يسلموا حمص الى المسلمين وخرج علماء دينهم ورؤساؤهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وصالحوه على تسليم المدينة اليه وان يكونوا تحت زمامه وامامه فصالحهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال لست أدخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل واراد أهل حمص ان يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير أبو عبيدة عن ذلك ولم يدخل أحد من المسلمين الى حمص الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك لتتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة قال جرير بن عوف حدثنا حميد الطويل قال حدثني سنان بن راشد اليربوعي قال حدثنا سلمة بن جريج قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال لما صالحنا أهل حمص بعد قتل هربيس خرج اهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا قد استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون فارسا كلهم من حمير وهمدان الا ثلاثين رجلا من اهل مكة وهم عكرمة بن أبي جهل وصابر بن جرىء والريس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس رضي الله عنه وجميع بن قادم وجابر بن خويلد الربعي فهؤلاء من جملة المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس

(ذكر وقعة اليرموك)

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وانقلبت الاخبار الى الملك هرقل ان المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيرز وقد أخذوا الهدية التي بعثها الى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فما مضى عليه الا أيام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخره في رومية الكبرى وانه بعث جيشا الى قيسارية ساحل الشام يكون حفظه على عكة وطبرية وبعث بجيش آخر الى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الارمني ملك الارمن وقد جمع من الارمن ما لم يجمعه أحد من اعالي الملك هرقل وبعد أيام قدم على الملك هرقل الى لقائه في أرباب دولته فلما قرب منه ترجل ماهان وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد حذرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا مني فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبحنا العمدان لا بد لهؤلاء العرب أن يملكوا ما تحت سريري هذا والآن البكاء لا يصلح الا للنساء وقد اجتمع لكم من العساكر ما لم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا وقد بذلت مالي ورجالي كل ذلك لاذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا

للمسيح من ذنوبكم وانو والرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر فى القتال ولا يخامر بعضكم على بعض ولا تحاسدوا واياكم والعجب فانهما مانزلا بقوم الا ونزل عليهم الخذلان وانى أريد أن أسألكم وأريد منكم الجواب عن ما أسألكم عنه فقالت العظماء من الروم والملوك اسأل أيها الملك عما شئت قال انكم اليوم أكثر عددا وأغزر مددا من العرب وأكثر جمعا وأكثر خياما وأعظم قوة فمن أين لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجرامقة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وقد قصدوا اليكم مرارا ورجعوا منكسرين والآن قد علا عليكم العرب وهم أضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح وقد غلبوكم على بصرى وحوران ويوم اجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه فعندها قام قسيس كبير عالم بدين النصرانية وقال أيها الملك أما تعلم لم نصرت العرب علينا قال لا وحق المسيح فقال القسيس أيها الملك لان قومنا بدلوا دينهم وغيروا ملتهم وجحدوا باجابة المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وظلموا بعضهم وليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس فيهم عدل ولا احسان ولا يفعلون بالطاعات وضيعوا أوقات الصلوات وأكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت فيهم المعاصى والفواحش وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبانا بالليل صواما بالنهار ولا يفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا أن الدنيا دار الفناء وان الآخرة هى دار البقاء (قال الواقدى) فلما سمع القوم والملك هرقل ما قاله القسيس قالوا وحق المسيح لقد صدقت بهذا نصرت العرب علينا لا محالة واذا كان فعل قومنا ما ذكرت فلا حاجة لى فى نصرتهم وانى قد عولت أن أصرف هذه الجيوش والعساكر الى بلادها وآخذ أهلى ومالى وأنزل من أرض سورية وأروح الى اسبوك يعنى القسطنطينية فأكون هناك آمنا من العرب قال فلما سمع القوم ذلك من الملك صقعوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح فيطالبك بذلك يوم القيامة وتعيرك الملوك بذلك ويستضعفون رايك وايضا تشمت بنا أعداؤنا اذا أنت خرجت من جنة الشام وسكن بعدنا فيها العرب وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذى ما اجتمع لملك من ملوك الدنيا ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح أن ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت واتركنا ننهض الى قتال العرب قال ففرح الملك هرقل بقولهم ونشاطهم وعول على أن يبعث الجيش مع خمس ملوك من الروم فأول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر وسلمه الى قناطير ملك الروسية وضم اليه مائة ألف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من

الزبرجد الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوره ومنطقه وضم اليه مائة ألف فارس من الروم والفرادنة ومن سائر الاجناس الرومية ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملون وعليه صليبا من الذهب الاحمر وسلمه الى الديرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة ألف فارس من المغليط والافرنج والقلان وخلع عليه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء رابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه صليبا من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من أهل الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مرارا فلما عقد له اللواء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالقلائد التي لا يتقلد بها الا الملوك الاكابر وقال له يا ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين وهم ملوك الجيش اعلموا ان صلبانكم تحت صليب ماهان وأمركم اليه فلا تصنعوا أمرا الا بمشورته ورأيه واطلبوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم وافترقوا على اربع طرق فانكم ان أخذتم على طريق واحدة لم تسعكم وتهلكون الارض ومن عليها ثم خلع على جبلة بن الايهم الغساني وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقال لهم كونوا في المقدمة فان هلاك كل شئ بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم أمر القسوس أن يغمسوهم في ماء المعمودية و يقرؤا عليهم و يصلوا عليهم صلاة الموتى قال حدثنا نوفل بن عدى عن سراقة عن خالد قال اخبرنا قاسم مولى هشام بن عمرو بن عتبة وكان ممن حضر فتوح الشام كله قال فكانت جملة من بعث الملك هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب قال وحدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الاعلى أن جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش انطاكية الى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميري كنت أحضر اليرموك من أوله الى آخره قال لما اشرفت علينا عساكر الروم باليرموك ونحونا صعدت على محل من الارض مرتفع واقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم قال فتنكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد الينا فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل أبو عبيدة روماس عن ذلك فقال أيها الامير سمعت القوم يذكرون أن عددهم ألف ألف فلا أدرى انهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويحدثون بذلك أم لا فقال أبو عبيدة يا روماس كم عهدك وكم يكون تحت كل راية في عساكر الروم فقال أيها الامير أما ما عهدنا في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال الله أكبر أبشروا بالنصر على الاعداء ثم قرأ الآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه لماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين

ركب الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره على
باب فارس وسار معهم يوصيهم وقال لقناطر وجرجير والدرجان وقورين ليأخذ كل رجل
منكم طريقا وأمر كل واحد منكم نافذ على جيشه فاذا لقيتم العرب فالامر فيكم لماهان
ولا يد على يده واعلموا انه ليس بينكم وبين هؤلاء الا هذه الوقعة فان غلبوكم فلا يقنعوا
ببلادكم بل يطلبونكم حيث سلكتم ولا يقنعون بالمال دون النفس و يتخذون حريمكم واولادكم
عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
ثم وجه قناطر بجيشه على طريق جبلة واللاذقية و بعث جرجير على طريق الجادة العظمى
وهى أرض العراق وسومين و بعث قورين على طريق حلب وحماه و بعث الدرجان على
أرض العواصم وسار ماهان فى أثر القوم بجيوشه والرجالة امامه يختون له الارض و يزيلون
من طريقهم الحجارة وكانوا لا يمرون على بلد ولا على مدينة الا أضروا باهلها و يطالبونهم بالعلوفة
والاقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم و يقولون لاردكم الله سالمين قال وجبلة بن
الايهم فى مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام (قال الواقدى رحمه
الله تعالى حدثنى من أثق به ان الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى قتال المسلمين وكان
للامير أبى عبيدة فى جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الاخبار فلما
وصل جيش الروم الى شيزر فارقتهم عيون أبى عبيدة وساروا طالبين عسكر المسلمين فلم يجدوهم
على حمص فسألوهم عنهم فأخبروهم انه رحل لان الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه لما فتح
حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذى تركه عندهم رجال من أهل حمص من كبرائهم
ورؤسائهم وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدى الامير
أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه واخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر فلما سمع أبو
عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم و بات قلقا لم
تغمض له عين خوفا على المسلمين فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته
أقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قام فيهم خطيبا وحمد الله تعالى وأثنى
عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وترحم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ودعا
للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله ان الله ابتلاكم ببلاء حسن لينظر
كيف تعملون وذلك عند ما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر فى مواطن كثيرة واعلموا أن
عيونى اخبرونى أن عدو الله هرقل قد استنجد علينا من كان ببلاد الشرك وقد سيرهم
اليكم وأثقلهم بالزاد والسلاح يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون واعلموا أنهم قد ساروا اليكم فى طرق مختلفة و وعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا
بازائكم على قتالكم واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل
من يكن الله تعالى معه فما عندكم من الرأى رحمكم الله تعالى ثم قال لبعض عيونه قم
واخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل واخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها

وعديدها

وعديدها فعظم ذلك على المسلمين وداخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد أحد منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ماهذا السكوت عن جوابى رحمكم الله فاشيروا على برأيكم فان الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتكلم رجل من أهل السبق وقال أيها الامير أنت رجل لك رفعة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذى جعلك رسول الله صلى الله عليه وسلم امين هذه الامة فقال عليه السلام لكل أمة امين وامين هذه الامة أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عامر بن الجراح اشر أنت علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين فقال الامين أبو عبيدة رضى الله عنه انما أنا رجل منكم تقولون واقول وتشيرون واشير والله الموفق فى ذلك فقام اليه رجل من أهل اليمن وقال أيها الامير الذى نشير به عليك ان تسير من مكانك وتنزل فى فرجة من وادى القرى فتكون المسلمون قريبا من المدينة والنجدة تصل الينا من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واذا طلب القوم اثرنا واقبلوا الينا كنا عليهم ظاهرين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه اجلسوا رحمكم الله فقد اشرتم بما عندكم من الرأى وانى ان برحت من موضعى هذا كره لى عمر بن الخطاب ذلك ويعنفنى ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك ونزحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال اشيروا على برأيكم رحمكم الله تعالى فقام اليه قيس بن هبيرة المرادى وقال يا امير المؤمنين لاردنا الله الى أهلنا سالمين ان خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع والاعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن فى مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة وعدنا ونكون فى نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه صدق والله قيس بن هبيرة والحق نطق ثم قال يامعاشر المسلمين اترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وانهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة مع مالكم عند الله عز وجل فى دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة فى قوله لنا ولسنا ببارحين من منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال فوثب قيس بن هبيرة وقال صدق الله قولك أيها الامير واعانك على ولا يتك ولا تبرح من مكانك وتوكل على الله وقاتل اعداء الله فان فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل فقال ابو عبيدة رضى الله عنه شكر الله فضلك وغفر لنا ولك والرأى رأيك وتتابع قول المسلمين بحسن رأيهم الا خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه ساكت لا يقول شيئا فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يا ابا سليمان انت الرجل الجرىء والفارس الشهم ومعك رأى وعزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة فقال خالد رضى الله تعالى عنه نعم ما اشار به قيس الا ان الرأى عندى غير رأيه ولكن لا اخالف المسلمين فقال ان كان عندك رأى فيه صلاح فهيت به وكلنا لرأيك تبع فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه اعلم ايها الامير انك ان اقمت فى مكانك هذا فانك تعين على نفسك لان هذه

الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين بن الملك هرقل فى أربعين ألف فارس وأهل الاردن قد اجتمعوا اليه خوفا منكم والذى أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا اذرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا اليرموك ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه منكم متلاحقا بكم وأنتم على فتح لقتال عدوكم وهى أرض واسعة لجال الخيل قال فلما نطق خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بهذا الكلام قال المسلمون نعم ما أشار به خالد وقال أبو سفيان بن حرب أيها الامير افعل برأى خالد بن الوليد رضى الله عنه وابعثه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عساكرنا وعساكر الروم المقيمة بالاردن لئلا تذهب منهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين هذه الاشجار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيدخل عدوكم فيكم الطمع فان أقبلوا يريدون غارة ومكيدة لقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه فقال خالد بن الوليد والله يا ابن حرب لقد نطقت من ضميرى وهكذا الرأى عندى فعند ذلك أمر أبو عبيدة الناس بالرحيل من الجابية فرحلوا ودعا أبو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذى أقبل به من أرض العراق وهو جيش الزحف وهو يومئذ أربعة آلاف فارس وأمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين ويحرسهم من وراء ظهورهم قال ووقعت الضجة للمسلمين عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمع الروم المجتمعة بالاردن ضجة المسلمين عند رحيلهم فظنوا انهم هاربون الى الحجاز لما بلغهم من جيش هرقل فطمعوا فيهم وهموا بالغارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فصاح فى رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر قال فامتض المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وحمل ضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه والمرقال وطلحة ابن نوفل العامرى وزاهد بن الاسد وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم ومثل هؤلاء الفرسان المعدودين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن ففرق فيهم خلق كثير ورجع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وأما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وجعل اذرعات من خلفه وكان هناك تل عظيم فعمد أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى نساء المسلمين وأولادهم فأصعدهم على ذلك التل وأقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات فلما وصل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالاسارى والغنائم فرح أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فرحا شديدا وقال أبشروا رحمكم الله تعالى هذه علامة النصر والظفر وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كأنهم ينتظرون وعدا وعدوا به وبلغ الخبر الى قسطنطين بن الملك هرقل بأن المسلمين قد نزلوا باليرموك وان ملوك الروم سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملوك يستضعف رأيهم فى ابطاء أمرهم ويحثهم على قتال المسلمين فلما ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم

كتاب قسطنطين بن الملك هرقل وأمرهم بالمسير فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا
لا يمرون ببلد من مدائن الشام التى فتحها المسلمون الا ويعنفون أهلها ويقولون لهم يا ويلكم
تركتم أهل دينكم وملتكم وملتم الى العرب فيقولون لهم انتم احق بالملامة منا لانكم
هربتم منهم وتركتمونا للبلاء فصالحنا عن انفسنا فيعرفون الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين
حتى وصلوا الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجبل وهو بالقرب من الرمادة والجولان
وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاث فراسخ طولا وعرضا فلما تكاملت الجيوش باليرموك
اشرفت سوابق الخيل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبلة بن الايهم
فى المقدمة فى ستين الف فارس من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجزام وهم على مقدمة
ماهان فلما نظر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة جيوش الروم قالوا لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عطية بن عامر فوالله ما شبهت عساكر اليرموك الا كالجراد
المنتشر اذا سد بكثرته الوادى قال ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم لا يفترون من
قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول ربنا أفرغ
علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال واخذ المسلمون اهبتهم ودعا
الامير أبو عبيدة بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم ان يدخلوا عساكر الروم يحسون له خبر
القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم وقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أنا ارجو من الله تعالى
ان يجعلهم غنيمة لنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نزل ماهان بعساكره بازاء المسلمين
على نهر اليرموك اقام اياما لم يقاتل ولا يدنيهم حربا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان
تأخير ماهان لامر وذلك ان رسولا ورد عليه من الملك هرقل يقول له لا تنجز الحرب بينك
وبين المسلمين حتى نبعث اليهم رسولا ونوعدهم منا كل سنة بمال كثير وهدايا لصاحبهم
عمر بن الخطاب ولكل أمير منهم ويكون لهم من الجابية الى الحجاز فلما وصل الرسول الى
ماهان قال هيهات هيهات ان كانوا يجيبون الى ذلك أبدا فقال له جرجير وهو من بعض ملوك
الجيش وما عليك فى هذا الذى ذكره الملك هرقل من المشقة فقال ماهان اخرج انت اليهم
وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذى سمعت واجتهد فى ذلك قال فلبس جرجير ثياب الديباج
وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عالية بسرج من الذهب الاحمر الموصع بالدر
والجوهر وخرج معه الف فارس من المدبجة وسار حتى اشرف على عساكر المسلمين فأوقف
جرجير اصحابه وقرب من المسلمين ووقف بازائهم وقال يا معاشر العرب أنا رسول من الملك
ماهان فليخرج الى اميركم والمقدم عليكم حتى نعرض عليه مقالنا ولعلنا نصلح ولا نسفك
دم بعضنا قال فسمعه المسلمون فأعلموا الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فخرج
بنفسه اليه وعليه ثوب من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد بسيفه وسار
الى ان وصل الى جرجير ورفس فرسه حتى التفت اعناق خيلهما والناس ينظرون اليهما
فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يا اخا الكفر قل ما انت قائل واسأل عما تريد فقال

جرجير يا معاشر العرب لا يغرنكم ان تقولوا هزمنا عساكر الروم فى مواطن كثيرة وفتحنا بلادها وعلونا اكثر ارضها فانظروا الآن ما قد أتاكم من العساكر فان معنا من سائر الاجناس المختلفة وقد تحالف الروم ان لا يفروا ولا ينهزموا وان يموتوا عن آخرهم وليس لكم على ما ترون من طاقة فانصرفوا الى بلادكم وقد نلتم ما نلتم من بلاد الملك هرقل وقد عول الملك ان يتعود الاحسان اليكم ويهب لكم ما اخذتم من بلادهم منذ ثلاث سنين وقد اخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم حين قدمتم الشام منكم على رجليه ومنكم عريان فاجيبوا الى ما دعوتكم اليه والا كنتم من الهالكين فقال الامير ابو عبيدة رضى الله عنه اما ما ذكرت من عساكر الروم انهم لا يفرون ولا ينهزمون فلو رأت الروم اشفار سيوفنا هربت ناكصة على اعقابها واما قولك وتهويلك لنا بكثرة عددكم فقد رأيت قلتنا وضعف اجسامنا وكيف لقينا جموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها واحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم بالحرب والقتال حتى يعرف من الذى يثبت للحرب فلما سمع جرير كلام الامير ابى عبيدة التفت الى رجل من اصحابه يقال له بهيل فقال يا بهيل الملك هرقل كأنه اعرف بهؤلاء العرب منا ثم لوى راس جواده ورجع الى ماهان واخبره بما قال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال له ماهان دعوتهم الى الموعد فقال لا وحق المسيح انى لم افاتحه فى شئ من ذلك لكن ابعث لهم بعض العرب المتنصرة فان العرب يميل بعضهم الى بعض قال فعند ها دعا ماهان بجبلة بن الايهم الغسانى وقال يا جبلة اخرج الى هؤلاء وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا والق فى قلوبهم الرعب واحط بهم مكرك قال فخرج جبلة بن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب يخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر لاخاطبه بما ارسلت به فلما سمع الامير ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه كلام جبلة بن الايهم قال قد بعث اليكم القوم بابناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمرو بن عامر فاسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجى رضى الله تعالى عنه وقال لابى عبيدة ايها الامير انا اخرج اليه وانظر ماذا يقول فاجيبه عنه ثم خرج عبادة نحوه بجواده الى ان وقف امام جبلة بن الايهم فنظر جبلة الى رجل اسمر طويل عميق السمرة كأنه من رجال شنوءة فهابه ودخل الرعب فى قلبه من عظيم خلقته وكان عبادة بن الصامت من الخطاط رضى الله تعالى عنه فقال له جبلة يا فتى من اى الناس انت فقال عبادة انا من ولد عمرو ابن عامر فقال جبلة حييت فمن انت فقال انا عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأل عما تريد فقال جبلة يا ابن العم انما خرجت اليكم لانى اعلم ان اكثركم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا واعلم ان هؤلاء القوم الذين قد نزلوا بازائكم معهم جنود لا قبل لكم بها وخلفها عساكر وحصون وقلاع واموال ولا تقولوا كسرنا وهزمنا عساكر الروم واعلم ان الحرب دول وسجال وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت وهؤلاء القوم ان انهزموا يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون

وما قد نالتم نيلا فخذوه وامضوا الى بلادكم سالمين قال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه
يا جبلة اما علمت ما لقينا من جموعكم المتقدمة باجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم
وهرب طاغيتكم ونحن نعلم انه من بقى من جموعكم قد تيسر علينا امره ونحن لا نخاف
ممن يقدم علينا من جموعكم وقد ولغنا فى الدماء فلم نجد احلى من دماء الروم وانا يا جبلة
ادعوك الى دين الاسلام وتدخل مع قومك فى ديننا وتكون على شرفك فى الدنيا والآخرة
ولا تكن تابع علج من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وانت رجل من سادات العرب
وملوكهم وان ديننا ظاهر اوله وآخره يظهر كما ظهر اوله فاتبع سبيل من اناب الى الحق وصدق به
فقل لا اله الا الله محمد رسول الله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم من كلام عبادة بن الصامت فقال لست مفارقا
دينى فقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فان ابيت الا ما كنت عليه من الكفر
فاياك ان تلقانى فى الوعيد الاول فان لنا وقعة عظيمة فان اخذتك شفار سيوفنا فلا تخلص من
شفارها ودعنا وعساكر الروم فهو اهون علينا فان ابيت الى الامانات عليه حل بك مثل ما يحل
بهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم وقال لماذا تخوفنى من سيوفكم
اما نحن عرب مثلكم رجل لرجل فقال عبادة بن الصامت قد علمنا انك انما خرجت الينا
محادعا ومعينا ولسنا كأنتم يا ويلكم نحن على قلتنا نوحد ربنا ونتبع سنة نبينا محمد وان
وراءنا عسكرا يعلو الاقطار ويسد القفار فقال جبلة لست اعرف وراءكم جيشا غير هذا
الجيش ولا من ينصركم غيرهم فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم فى
قولك وان وراءنا رجالا انجادا وابطالا اشدادا يرون الموت مغنما والحياة مغرما كل واحد
بنفسه يلقى جيشا حافلا يا ويلك انسيت عليا وسطوته وعمر وشدته وعثمان وبراعته والعباس
وطلعته والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن وغير ذلك قال
فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال يا ابن العم أنا ما خرجت
الا أريد النصيحة لكم فان ابيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الى الصلح فقال عبادة بن الصامت
لا صلح بيننا الا باداء الجزية او الاسلام او السيف وهو حكم بيننا وبينكم ووالله لولا ان الغدر يقبح
بنا لعلوتك بسيفى هذا فلما سمع جبلة كلام عبادة وانه قد حاف عليه فى الكلام لم يرد
عليه جوابا غير انه أثنى رأس جواده واتى الى ماهان مرعوبا وقد امتلأ قلبه رعبا من
كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فلما وقف بين يدى ماهان تبين فى وجهه
الجزع والفزع فقال لجبلة ما وراءك فقال أيها الملك انى خوفت وأرعبت ومشيت فكان
ذلك كله عندهم بالسوى وقالوا ما بيننا الا الحرب والقتال فقال له ماهان فما هذا الفزع
الذى اراه فى وجهك وهم عرب مثلكم وانتم عرب مثلهم وقد بلغنى انهم ثلاثون الف
فارس وانتم ستون الف فارس اما يقاتل الرجلان منكم الرجل الواحد منهم دونك يا جبلة
فسر انت وأبناء عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وانا وراءكم فان ظفرتم بهم كان الملك

مشتركا بيننا وبينكم وتكون اقرب الناس الينا و يسلم اليكم ما فتحه العرب من
بلاد الشام (قال الواقدى) وجعل ماهان يرغب جبلة فى العطاء ويلينه و يحرضه
على القتال فى المسلمين حتى أجابه الى ذلك وأخبر قومه و بنى عمه من بنى غسان ولخم وجزام
وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم باخذ الاهبة للحرب والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا
فى سابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون ألف فارس ما يخالفهم من غير العرب أحد
يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر متقلد بسيف من عمل التبابعة وعلى
راسه الراية التى عقدها له الملك هرقل فسار جبلة نحو الصحابة فى ستين ألف فارس حتى أشرف
على عساكر المسلمين وأبو عبيدة رضى الله عنه يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه
وبين جبلة بن الايهم اذ أشرفت عليهم العرب المتنصرة فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على
بعض يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب المتنصرة الى قتالكم فما أنتم قائلون
قالوا نقاتلهم ونرجوا من الله تعالى الظهور عليهم والمعونة وعلى غيرهم وهموا بالحملة فصاح
عليهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقال أصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا حتى أكيدهم
بمكيدة يهلكون بها وقال لابى عبيدة رضى الله تعالى عنه أيها الاميران القوم قد استعانوا
علينا بالعرب المتنصرة وهم أضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا كله كان ذلك
وهنا منا وضعفا وأريدان أبعث لهم رسلا من بنى عمهم يكلمهم فى شأن ردهم عنا فان فعلوا
كان ذلك كسرا لهم وللمشركين و وهنا عظيما وان أبوا الا الحرب والقتال خرج منا نفر
يسير يردونهم على أعقابهم بعزة الله عز وجل قال فتعجب أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه
وقال يا أبا سليمان افعل ما تريد فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعيد وعبادة بن
الصامت الخزرجى وجابر بن عبد الله وأبى أيوب بن خالد بن يزيد رضوان الله عليهم اجمعين
فلما وقفوا بين يديه قال لهم يا أنصار الله تعالى ورسوله هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم
وهم غسان ولخم وجزام وهم بنو عمكم فى النسب فاخرجوا اليهم وخاطبوهم واجتهدوا فى ردهم
عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا اقتالهم كفوًا (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فخرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب المتنصرة
فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بنى غسان
نادى جابر بن عبد الله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجزام اننا بنو عمكم
ونريد الدنو اليكم قال فأذن لهم جبلة بالدنو اليه فدخلوا عليه فاذا هو فى مضرب من الديباج
وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس وحوله ملوكه وملوك الجفنة فحياه بتحية ملوك العرب
فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال يا بنى العم انتم من الرحم ومن القرابة وانى خرجت
اليكم من جهة هذا الجيش الذى يرهقكم فخرج الى رجل منكم فافرط على فى المقال
فما الذى أتى بكم الى فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله وقال يا ابن العم لا تأخذ علينا
فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا لا يقوم الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لانك

ذو قرابة ورحم وقد أتيناك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من اهل ملتنا ويكون لك مالنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف ونبينا ظريف فقال ما احب ذلك ولا غيره انني ضنين بديني وأنتم يا معاشر الاوس والخزرج رضيتم لانفسكم أمرا ونحن رضينا لانفسنا أمر الكم دينكم ولنا ديننا فقال له الانصار ان كنت ما تحب ان تفارق دينكم الذى أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لننظر لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول فى ديننا قبلناك وكنت منا واخانا وان أقمت على دينك قنعنا منك بالجزية واقررناك على بلدك وفى مواطن كثيرة من آبائك واجدادك فقال جبلة اخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن ان يتقووا على بلادى لان الروم لا ترضى منى الا أن أكون مقاتلا لكم وقد رأسونى على جميع العرب وأنا لو دخلت دينكم كنت دنيا ولا أتبع فقال الانصار فان أبيت ما عرضناه عليك فان ظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فانها تغلق الهام وتبرى العظام فتكون الوقعة بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كى ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك فقال وحق المسيح والصليب لابد ان أقاتل عن الروم ولو كان بجميع الاهل والقرابة فقال له قيس بن سعيد يا جبلة ابيت الا ان يحتوى الشيطان على قلبك فيهوى بك فى النار فتكون من الهالكين وانما تيناك ندعوك الى دين الاسلام لان رحمك متصل برحمنا فان ابيت فستعاين منا حربا شديدا يشيب فيه الطفل الصغير ثم وثب قيس بن سعيد وقال لقومه انهضوا على بركة الله تعالى وعونه وحسن طاعته فبعدا له وسحقا فقام جبلة فاستعد للقتال عدته قال فركب الانصار خيولهم ورجعوا الى الامير أبى عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما واعلموهم بمقالة جبلة وانه ما يريد الا القتال فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ابعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين لينظرن منا جبلة ما ينظر ثم قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اعلموا معاشر المسلمين ان القوم فى ستين ألف فارس من العرب المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد ان نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا ولكن ينتدب منا ابطال ورجال الى قتال هؤلاء العرب المتنصرة فقال أبو سفيان صخر بن حرب لله درك يا أبا سليمان فلقد اصبت الرأى فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما احببت فقال انى قد رأيت من الرأى ان ننتدب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفى فارس من العرب المتنصرة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد من المسلمين الا عجب من مقالة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وظنوا انه يمزح بمقالته وكان اول من خاطبه فى ذلك أبو سفيان صخر بن حرب وقال يا ابن الوليد هذا الكلام منك جد أو هزل فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لا وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الا جدا فقال أبو سفيان فتكون مخالفا لامر الله تعالى ظالما لنفسك

وما أظن ان لك فى هذه المقالة مساعدا ولو قاتل الرجل منا اثنين كان ذلك اسهل من قولك
يقاتل الرجل منا ألفين وان الله عز وجل رحيم بعباده فرض علينا ان الرجل منا يقاتل
الرجلين والمائة والمائتين لا الالف والالفين وأنت تقول ثلاثون رجلا منا تلقى الستين ألف
فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل انا قلته فانه ظالم لنفسه معين على قتله
فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه يا أبا سفيان كنت شجاعا فى الجاهلية فلا
تكن جبانا فى الاسلام وانظر لمن انتخب من رجال المسلمين وابطال الموحدين فانك اذا رأيتهم
علمت انهم رجال قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل وما يريدون بقتالهم غير الله تعالى ومن علم
الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقيقا على الله ان ينصره ولو سلك مقطعات النيران فقال
أبو سفيان يا أبا سليمان الامر كما ذكرت وما أردت بقولى الا شفقة على المسلمين فان قد صح
عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا ليقاتل الرجل منهم ألف فارس من العرب المتنصرة
فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه نعم ما اشار به أبو سفيان يا أبا سليمان فقال خالد بن الوليد
رضى الله عنه والله يا أيها الامير ما اردت بفعلى هذا الا مكيدة لعدونا لانهم اذا رجعوا الى
أصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل و يقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا
يداخلهم الرعب منا و يعلم ماهان ان جيشنا كفؤله فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى
عنه ان الامر كما ذكرت الا انه اذا كان ستون رجلا منا يكونون عصبة ويعين بعضهم بعضا
فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أنا انتدب من المسلمين رجالا اعرف صبرهم وقرارهم
واقدامهم فى الحرب واعرض عليهم هذه المقالة فان أحبوا القاء الله ورغبوا فى ثواب الله
عز وجل فانهم يستجيبون الى ذلك وان أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم
من تطيب نفسه للموت فاتخذ الآن ستين ذل مهجته لله عز وجل والله الموفق لما يحبه
ويرضاه قال أبو عبد الله حدثنا عمرو بن سالم عن جده برعى بن عدى قال كنت بين يدى
خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فدعا بستين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأول من دعا به خالد بن الوليد قال ابن عمر التميمى ابن شرحبيل بن حسنة كاتب وحى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خالد بن سعيد ابن العاص ابن يزيد بن أبى سفيان
الاموى ابن صفوان بن امية الجمحى ابن سهل بن عمر العامرى ابن ضرار بن الازور الكندى
ابن رافع بن عميرة الطائى ابن زيد الخيل ابيض الركابين ابن حذيفة بن اليمانى ابن قيس بن
سعد ابن كعب بن مالك الانصارى ابن سويد بن عمر الغفرى ابن عبادة بن الصامت ابن جابر بن
عبد الله ابن أبو أيوب الانصارى ابن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم
أجمعين ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب ابن العدوى ابن رافع بن سهل ابن يزيد بن عامر
ابن عبيد بن اوس ابن مالك بن نصر ابن نصر بن الحارث ابن عبد الله بن ظفر ابن أبو لبابة بن
المنذر ابن عوف ابن عابس بن قيس ابن عبادة بن عبد الله الانصارى ابن رافع بن عنجرة ابن
عبيد بن عبد الله ابن معقب بن قيس ابن هلال بن الصابر يوم احد وقد ذكرهم الله تعالى

فى كتابه فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ابن أسيد الساعدى أبن كلال بن الحارث المازنى أبن حمزة بن عمر الاسلمى أبن يزيد بن عامر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وقد سمى خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه الرجال الذين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم الا انى اختصرت فى ذكرهم وقدمت ذكر الانصار رضى الله تعالى عنهم لان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه انتخب أكثر الرجال من الانصار فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار ان خالدا اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المجاهدين من ولد المغيرة بن قصى ويوشك انه يختبرهم أو يقدمهم للمهالك ويشفق على ولد المغيرة (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فلما سمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ذلك من قولهم أقبل يخط بجواده حتى توسط جميع الانصار وقال لهم والله يا أولاد عامر ما دعوتكم الا لما ارتضيته منكم وحسن يقينى بكم وبايمانكم فأنتم ممن رسخ الايمان فى قلبه فقالوا انك صادق فى قولك يا أبا سليمان ثم صافحه القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما انتخب خالد ابن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه قال لهم خالد بن الوليد رضى الله عنه يا أنصار الله ما تقولون فى الحملة معى على هذا الجيش الذى قد أتى يريد حربكم وقتالكم فان كان لكم صبر والله أيدكم بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا انكم بجيش الروم غالبون فاذا هزمتم هؤلاء العرب ووقع الرعب فى قلوبهم فينقلبوا خاسرين فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ما تريد والق ما تشاء فوالله لنقاتلن أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل فى طلب الآخرة مهجنا فجزاهم خالد ابن الوليد رضى الله عنه خيرا وكذلك الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وقال لهم تأهبوا رحمكم الله وخذوا أسلحتكم وعدتكم وليكن بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان الرمح خوان ربما زاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها سهام منها المخطى ومنها المصيب والسيف والحجف عليها تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجى ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذى يصبر به وتواعدوا ان الملتقى عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فقدموا على اهاليهم وودعوهم فاما ضرار بن الازور فانه عمد الى خيمته ليستعد بما يريد وسلم على اخته خولة رضى الله تعالى عنها بنت الازور فلما لبس لامة حربه قالت له اخته خولة يا أخى مالى أراك تودعنى وداع من أيقن بالفراق اخبرنى بما قد عزمت عليه فأخبرها ضرار بما قد عزم عليه وانه يريد يلقى العدو مع خالد بن الوليد رضى الله عنه فبكت خولة وقالت يا أخى افعل ما تريد أن تفعل والق عدوك وأنت مؤتمن بالله تبارك وتعالى فانه لكم ناصر وان عدوك لا يقرب اليك أجلا بعيدا ولا يبعد عنك أجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك من عدوك نائبة فوالله العظيم شأنه لا هدأت خولة على الارض أو تأخذ بثارك فبكى ضرار بن الازور لبكائها واستعد آلة الحرب وكذلك الستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يناموا طول ليلتهم حتى ودعوا أولادهم وأهاليهم وباتوا فى بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الاعداء الى أن أصبح الله بالصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة رضى الله عنه صلاة

الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد رضى الله عنه وحرض أصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول

هبوا جميعا اخوتى أرواحا ※ نحو العدو ونبتغى الكفاحا
نرجو بذلك الفوز والنجاحا ※ اذا بذلنا دونه أرواحا
و يرزق الله لنا صلاحا ※ فى نصرتنا الغدو والرواحا

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأنشد بيتا آخر لم ندر ما هو وخرج امام المسلمين وأصحابه يقدمون اليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذين انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام رضى الله عنه ومعه زوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وهى سائرة الى جانب أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى تدعو لهم بالسلامة والنصر وهى تقول لاخيها يا أخى لا تفارق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخذ كم فى الله لومة لائم قال وودع المسلمون الستين أصحابهم وساروا بأجمعهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوساطهم كأنه أسد قد احتوشته الاسود ولم يزل الواحتى وقفوا بازاء العرب المتنصرة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ونظرت العرب المتنصرة الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبلوا نحوهم وهم نفر يسير فظنوا انهم رسل يطلبون الصلح والمواعدة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهب المسلمين ونادى يا آل غسان اسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة وأخذوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كأنها شعل نار ووقفوا يبصرون ما يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قاربوا صلبان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد رضى الله عنه يا عبدة الصلبان ويا أعداء الرحمن هلموا الى الحرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد رضى الله عنه علم انهم ما خرجوا رسلا وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة من بين أصحابه وقد أشتهر بلامة حربه وهو يقول

انا لمن عبدوا الصليب ومن به ※ نسطو على من عابنا بفعالنا
ولقد علونا بالمسيح وأمه ※ والحرب تعلم انها مير اثنا
انا اخرجنا والصليب امامنا ※ حتى تبددكم لدى رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستنهض لنا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا فاخرج الى حومة الحرب فقال جبلة نحن قدرتبنا أمورنا لحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح لا أجبناكم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم واخبروهم اننا ما نريد الا القتال قال فأظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة أتظن اننا خرجنا رسلا اليك فقال جبلة أجل فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن

ذلك أبدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة قليلة فان الله ينصرنا عليكم فقال جبلة يا فتى قد غررت بنفسك وبقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجزام فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك واننا منفردون فقتالكم رجل منا الالف منكم وتخاف منا رجال هم اشهى الى الحرب من العطشان الى الماء البارد فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لقد كنت أفضلك فى عقلك واروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام انك أنت وستون رجلا تر ومون قتالنا ونحن سادات غسان وابطال الزمان ها أنا احمل بهذه الستين ألف فارس فلا يبقى منكم أحد ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون ألف فارس فى وجه خالد بن الوليد والستين رجلا فثبت لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتبك الحرب بينهم فما كنت تسمع الا همهمة الرجال وزمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى ما ظن أحد من المسلمين ولا من المشركين ان خالدا ومن معه ينجو منهم احد فبكى المسلمون وأخذهم القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غرر خالد بن الوليد بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلكهم والروم تقول ان جبلة اهلك هؤلاء القوم فهلاك العرب حاصل بأيدينا لا محالة ولم يزل القوم فى الحرب والقتال حتى قامت الشمس فى كبد السماء قال عبادة بن الصامت فلله در خالد بن الوليد رضى الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما والفضل بن العباس وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين لقد رأيت هؤلاء الستة قد قرنوا مناكبهم فى الحرب وجعل بعضهم بجنب بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت الاسنة صدور الليوث حتى بلغت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت فى جملتهم وقلت يصيبنى ما أصابهم ونادى خالد بن الوليد وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ههنا المحشر وقد اعطى خالد القلب مناه فلما حمى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلله در الزبير بن العوام والفضل بن عباس وهم ينادون افرجوا يا معاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا الزبير بن العوام وانا الفضل بن العباس انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد احصيت للفضل بن العباس عشرين حملة يحملها عن خالد بن الوليد حتى ازال عنه الرجال والابطال وحملوا على المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا فى القتال يومهم الى أن جنحت الشمس الى الغروب والمسلمون قد اجهدهم القلق على اخوانهم وأما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانه صاح بالمسلمين وقال يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك خالد بن الوليد ومن معه لا محالة وذهبت فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لننظر ما كان من أمر اخواننا فكل أجاب الى قوله واشارته الا أبا سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه فانه قال للامير

ابى عبيدة رضى الله عنه لا تفعل أيها الامير فانه لا بدّ للقوم أن يتخلصوا ونرى ما يكون
من أمرهم قال فلم يلتفت أبو عبيدة رضى الله عنه الى كلامه وهم ان يحمل وقد أخذه القلق
فبينما هو كذلك واذا بجيش العرب المتنصرة منهزمون وأصوات الصحابة رضى الله عنهم قد
ارتفعت بالتهليل والتكبير كل ينادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله والعرب المتنصرة منهزمة على اعقابها كأنما صاح بهم صائح من السماء فبدد
شملهم وأقبل خالد بن الوليد من وسط المعمعة يلتهب مما لحقه من التعب وكذا أصحابه
الذين كانوا معه قال وان خالد بن الوليد افتقد أصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الا عشرين
فجعل يلطم على وجهه وهو يقول اهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن
وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبينما هو متحير فى ذلك اذ أقبل عليه الامير
أبو عبيدة رضى الله عنه وفرسان المسلمين وابطال الموحدين فنظر أبو عبيدة رضى الله عنه
الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه وقد اشتغل عن متابعة المشركين فقال أبو عبيدة يا أبا
سليمان الحمد لله على نصر المسلمين ودمار المشركين فقال خالد بن الوليد اعلم أيها الامير
ان الله قد هزم الجيش ولكن اعقبتك القرحة قرحة فقال أبو عبيدة رضى الله عنه وكيف
ذلك فقال خالد أيها الامير فقدت اربعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم الزبير بن العوام بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الفضل بن العباس وجعل
خالد بن الوليد رضى الله عنه يسمى فرسان المسلمين واحدا بعد واحد حتى سمى اربعين رجلا
فاسترجع أبو عبيدة رضى الله عنه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال لخالد لا بدّ
لعجلتك يهلك المسلمون فقال سلامة بن الاحوص السلمى أيها الامير دونك والمعركة فاطلب
فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رأيتموهم والا فالقوم فى الاسرى أو قد تبعوا
المشركين فأمر أبو عبيدة فأتوا بهوادى النيران وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين
القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة خمسة آلاف فارس وسيدان من ساداتهم وهما رفاعة
ابن مطعم الغسانى والآخر شداد بن الاوس ووجدوا قد قتل من المسلمين عشرة رجال منهم
اثنان من الانصار أحدهما عامر الاوسى والآخر سلمة الخزرجى فقال أبو عبيدة رضى الله
عنه يوشك ان بعض الصحابة قد تبع المشركين فقال أبو عبيدة رضى الله عنه اللهم
ائتنا بالفرج القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك الزبير بن العوام ولا بابن عمه الفضل
ابن العباس ثم قال أبو عبيدة معاشر المسلمين من يقف لنا اثر القوم ويتعرف خبر الصحابة
وأجره على الله عز وجل فكان أول من اجابه خالد بن الوليد رضى الله عنه فقال له
الامير أبو عبيدة لا تفعل يا أبا سليمان لانك تعبان من شدة الحرب فقال خالد والله لا يمضى
فى طلبهم غيرى ثم غير جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس حازم بن جبير بن عدى
ابن بنى النجار فركبه خالد بن الوليد رضى الله عنه وطلب آثار القوم وتبعه جماعة من المسلمين
فما سار خالد بعيدا حتى سمع خالد التهليل والتكبير فأجابهم بمثله فأقبل القوم

وفى

وفى أوائلهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهاشم والمرقال فلما نظر خالد اليهم فرح فرحا شديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه للفضل بن العباس يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أمركم فقال يا أبا سليمان هزم الله المشركين ورددهم على ادبارهم مدبرين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا أسر وافرجونا خلاصهم فلم نرهم ولا شك انهم قتلوا فقال خالد رضى الله عنه ان القوم فى الاسر لا محالة فقال له الزبير بن العوام من أين علمت ذلك يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه انا لم نجد فى المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وأنتم خمسة وعشرون وقد اسر خمسة رجال لا محالة وكانت الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن ابى سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبى عبيدة رضى الله عنه فلما نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير بن العوام والمرقال بن هاشم وقد رجعوا سالمين فرحين بما نصرهم الله على الكافرين سجد على قربوس سرجه شكرا لله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه معاشر المسلمين لقد بذلت مهجتى ان اقتل فى سبيل الله تعالى فلم ارزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن اسر كان خلاصه على يدى ان شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان فى فرح وسرور وباتت الروم فى نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من اثق به ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى عساكر الروم معولة على قتاله كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابى عبيدة عامر بن الجراح عامله سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا امير المؤمنين ان كلب الروم هرقل قد استنفذ علينا كل من يحمل الصليب وقد سار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرمادة والخولان والعدو فى ثمانمائة الف مقاتل غير التبع وفى مقدمهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجزام فأول من لقينا جبلة بن الايهم فى ستين الف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلا فهزم الله تعالى المشركين على أيديهم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقتل من أصحابنا عشرة رجال وهم رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام واهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدى وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب قال عبد الله بن قرط فركبت من اليرموك يوم الجمعة فى الساعة العاشرة بعد العصر وقد مضى من شهر ذى الحجة اثنى عشر يوما والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة فى الساعة الخامسة والمسجد مملوء بالناس فأنخت ناقتى على باب جبريل عليه السلام واتيت الروضة وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه وصليت فيهما ركعتين ونشرت الكتاب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبلت يديه وسلمت عليه فلما فتح عمر الكتاب انتقع لونه وترعزع كونه وقال انا لله وانا اليه راجعون فقال عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة يا أمير المؤمنين أطلعنا على ما في هذا الكتاب من أمر اخواننا المسلمين فقام عمر رضى الله عنه ورقى المنبر خطيبا وقرأ الكتاب على الناس فلما سمعوا ما فيه ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وقال يا أمير المؤمنين ابعث بنا اليهم ولو قدمت أنت الى الشام لشدت بك ظهور المسلمين فوالله ما أملك الا نفسى ومالى وما أبخل بهما على المسلمين قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق المسلمين وجزعهم على اخوانهم أقبل على عبد الله وقال يا ابن قرط من المقدم على عساكر الروم فقلت خمسة بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل وهو فورين والديرجان وقناطر وجرجير وصلبانهم تحت صليب ماهان الارمنى وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الغسانى قدم على ستين الف فارس من العرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قرأ عمر يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم قال ما تشيرون به على رحمكم الله فقال له على بن أبي طالب رضى الله عنه أبشروا رحمكم الله تعالى فان هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين لينظر أفعالهم وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا ان هذه الوقعة هى التى ذكرها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يبقى ذكرها الى الابد هذه المدبرة المهلكة فقال العباس على من هى يا ابن أخى فقال يا عماه على من كفر بالله واتخذ معه ولدا فثقوا بنصر الله عز وجل ثم قال لعمر يا أمير المؤمنين اكتب الى عاملك أبى عبيدة كتابا واعلمه فيه ان نصر الله خير له من غوثنا ونجدتنا فهو شك انه فى أمر عظيم فقام عمر ورقى المنبر وخطب خطبة وجلت بها القلوب وذرفت منها العيون وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته كتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة أبى عبيدة بن الجراح ومن معه من المجاهدين والانصار سلام عليكم فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان نصر الله خير لكم من معونتنا واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما أنزل الله من النصر وان الله عز وجل يقول لن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من عند الله وقد قال تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية يا طوبى للشهداء ويا طوبى لمن يتوكل على الله فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تيأس بمن صرع من المسلمين فقد

رايت من صرع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم فى مواطن كثيرة
حتى قتلوا فى سبيل الله ولم يهابوا لقاء الموت فى جنب الله تعالى بل جاهدوا فى سبيل الله حق
جهاده وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين
فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقرأه على المسلمين وامرهم أن يقاتلوا العدو فى سبيل الله عز وجل
واقرأ عليهم يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط وقال له يا ابن قرط اذا
أشرفت على المسلمين وقد استوت الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على اصحاب
الرايات منهم وخبرانك رسولى اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم ويقول لكم يا اهل
الاسلام أصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث واضربوا هامتهم بالسيوف
وليكونوا عليكم اهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم ان شاء الله تعالى ثم اقرأ عليهم
ألا ان حزب الله هم الغالبون قال عبد الله بن قرط قلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لى
بالسلامة والسرعة فى السير فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم احمله وسلمه واطوله
البعيد انك على كل شئ قدير قال عبد الله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الحبشة فقلت
فى نفسى لقد اخطأ فى الرأى اذ لم أسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أدرى أراه
بعد اليوم ام لا قال عبد الله فقصدت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها
جالسة عند قبره وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين
فى حجر على والحسن فى حجر العباس رضى الله عنهم وهم يتلون سورة الانعام وعلى رضى الله عنه
يتلو سورة هود فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه يا ابن
قرط عولت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اظن
ان أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائر واذا أشرفت عليهم ولا يرون معى مددا ولا
نجدة خشيت عليهم أن يهنوا ويعجزوا وكنت أحب ان أصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم
حتى اعظهم وأصبرهم فقال على رضى الله عنه فما منعك ان تسأل عمر بن الخطاب ان يدعو
لك اما علمت يا ابن قرط ان دعاءه لا يرد ولا يحجب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه
لو كان نبى ثان بعدى لكان عمر بن الخطاب أليس هو الذى يوافق حكمه حكم الكتاب حتى
قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجى منه الا عمر بن
الخطاب أما علمت ان الله تعالى أنزل فيه آيات بينات أما هو الزاهد التقى اما هو العابد
أما هو المشبه بنوح النبى فان كان هو قد دعا لك فقد قرن بالاجابة فقال عبد الله
ابن قرط ما ذكرت شيئا الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولكنى
أردت الزيادة من دعائك ودعاء العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما
عند قبر الرسول المعظم المكرم قال فرفع العباس رضى الله عنه يديه وعلى رضى الله عنه

كذلك وقال اللهم انا نتوسل بهذا النبي المصطفى والرسول المجتبى الذى توسل به آدم فأجبت
دعوته وغفرت خطيئته الا سهلت على عبد الله طريقه وطويت له البعيد وأيدت اصحاب
نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ثم قال سر يا عبد الله يا ابن قرط فالله تعالى أكرم من ان يرد
دعاء عمر وعباس وعلى والحسن والحسين وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
توسلوا اليه بأكرم الخلق عليه قال عبد الله بن قرط فخرجت من الحجرة وأنا فرح مستبشر
واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا فرح بدعاء على وعباس وعمر رضى الله عنهم
أجمعين قال عبد الله خرجت من المدينة بعد العصر من يومى ذلك الذى دخلت فيه المدينة وأنا
أرقب الطريق فلما اختلط الظلام وأسبل الليل سجفه أرخيت زمام المطية فحسبت انها
تطير بي ولم أزل سائرا ثلاثة أيام فلما كانت صلاة العصر من اليوم الثالث اشرفت على اليرموك
وسمعت ضجيج أذان المسلمين قال الراوى فقصدت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وأنخت
ناقتى وسلمت عليه وكان منذ فارقته عشرة ايام فاخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى
طالب والعباس والحسن والحسين رضى الله عنهم فقال ابو عبيدة صدقت يا ابن قرط وانهم
الكرام على الله عز وجل وان دعاءهم لا يرد ثم قرأ الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك
وقالوا أيها الامير ما منا الا من يطلب الشهادة فالله تعالى يبلغنا اياها (قال الواقدى)
حدثنى عمرو بن العلاء قال حدثنا ماجد عن الثقات قال لما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم
الجمعة فلما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن
ما تيسر اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم
من اليمن من صدوان وارض سبا وحضرموت وقد اجتمعوا للجهاد وهم فى ستة آلاف يقدمهم
جابر بن خول الربعى فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فأمرهم بالنزول فلما اقبل الظلام جاء الف فارس من مكة والطائف ووادى نخلة
وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بازاء اهل اليمن فلما كان يوم الاحد حمل
عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة تامة وسلمها الى سعيد بن عامر قال سعيد بن
عامر فهممت بالمسير فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى اوصيك ثم اقبل عمر بن الخطاب
يمشى راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلى بن ابى طالب وعبد الرحمن بن عوف
فلما قربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد بن عامر يا سعيد انى وليتك على
هذا الجيش ولست بخير رجل منهم الا أن تتقى الله فاذا سرت فارفق بهم ما استطعت
ولا تشتم اعراضهم ولا تحقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع هواك ولا تسلك بهم المفاوز
واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتى عليك وعلى
من معك من المسلمين فقال له على بن طالب كرم الله وجهه اسمع وصية امامك امير
المؤمنين الذى ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذى قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوه تهتدوا وترشدوا فسر يا سعيد واذا وصلت الى ابى

عبيدة والتقى بكم الجيش الذى لا يلقون مثله وصعب عليكم أمره فاكتبوا الى أمير المؤمنين عمر حتى يوجهنى اليكم حتى أقلب أرض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى قال فسار سعيد بن عامر وهو يقول

نسير بجيش من رجال اعزة * على كل عجعج من الخيل يصبر
الى شبل جراح وصحب نبينا * لننصره والله للدين ينصر
على كل كفار لعين معاند * تراه على الصلبان بالله يكفر

قال وسار مجدا السير قال سعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت أسير اليه فى السنة مرة أو مرتين عسفا من غير جادة طريق أسير على الكواكب فلما سرت من المدينة وأنا بين يدى المسلمين فسلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد على العمارات واسلك الفلاة توفيقا من الله واكراما ولطفا بعباده المؤمنين فلما ضللت اشكل على الطريق كأنى ما سلكته يوما قط فوقفت حائرا حتى تلاحق بى المسلمون فلم أعلمهم بأمرى ولا انى ضللت عن الطريق وأنا أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسرت يومين وليلتين وأنا اتيه بالناس والمسلمون يسألونى عن ذلك وأنا أقول لهم انى على طريق فلما كان فى اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة اذ لاح لى جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه فقلت غررت والله بالمسلمين وأنا أقول فى نفسى أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من اول النهار وما أدركناه الا والليل قد أقبل فلما سرنا بقربه اعترضنا واد عظيم فيه شجرة عظيمة كبيرة قال فلما تأملت الشجرة عرفتها وقلت لاصحابى ابشروا فقد وصلنا الى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادى واذا به وعر ليس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويتعقبون على ظهور الخيل والابل فلما نظرت المسلمون الى وحشة ذلك الوادى ومسلكه قالوا يا سعيد انا نظنك انك قد اخطأت الطريق بنا وسلكت بنا غير طريقنا فأرحنا فى هذا الوادى قليلا فقد أضر بنا المسير قال فأجبتهم الى ذلك وكان فى الوادى عين ماء غزيرة فنزل المسلمون عليها فشربوا واسقوا خيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلى على محمد قال سعيد بن عامر وكنت جلست فى آخر الناس أحرسهم وأنا اتلو القرآن العظيم وادعو الله لنا بالسلامة اذ غلبتنى عينى فنمت فرأيت فى منامى كأنى فى جنة خضراء كثيرة الاشجار والثمار وكأنى آكل من ثمرها واشرب من انهارها واجنى من ثمرها واناول أصحابى وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك اذ خرج من بين تلك الشجرة أسد عظيم فرز أنى فى وجهى وهم ان يفترس بى وأنا من ذلك فزع مرعوب اذ خرج على الاسد أسدان عظيمان نصرعاه فى موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومى وحلاوة ذلك التمر فى فى والاسود تمثل بين يدى قال سعيد بن عامر ففسرتها انها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها

مانع ونظفر به فقلت فى نفسى الجنة هى الشهادة قال سعيد بن عامر ولم أزل جالسا اتلو القرآن وأنا قلق اذ سمعت هاتفا يهتف بى عن يمين الوادى وهو يقول

يا عصبة الهادى الى الرشاد * لا تفزعوا من وعر هذا الوادى
ما فيه من جن ولا معاد * ستعلمون يا معاشر العباد
لطف الذى يرفق بالاولاد * و يطرح المحبة فى الاكباد
سيصنع الله بكهل شاد * وتغنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر فلما سمعت شعر الهاتف وما بشر به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكرا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة ابيات وأنشدنى اياها وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة وأقام المسلمون فى الوادى حتى أصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادى وحققت تلك الارض والجبل واذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتى بالتكبير وقلت الله أكبر وكبرت المسلمون لتكبيرى وقالوا اما الذى رأيت يا ابن عامر نقلت وصلنا الى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم قال سعيد وأكثر من معى طماعة العرب قالوا يا سعيد وما الرقيم وما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم قال سعيد فعجبوا من ذلك ثم أقبلت بهم الى المغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى اشرفنا على بلاد عمان قال سعيد بن عامر فعدلت الى قرية هناك يقال لها الجنان فنظرت الى دهاقين القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم وأخذوا بعضهم اسارى فرجع القوم الى القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيه ما قال سعيد ابن عامر فقربت من الحصن وصحت بهم وقلت يا ويلكم ما بالكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فأشرف على واحد منهم وقال لى يا معاشر العرب اعلموا اننا كنا خارجين من المدينة ففزعنا منكم وذلك ان صاحب عمان بعث الينا وأمرنا بالمسير الى عمان فنكون من تحت كنفه فى عمان والآن يا معاشر العرب هل لكم ان نكون فى زمامكم وأمانكم قال سعيد نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتبت لهم كتاب الصلح فلما هممت بالمسير قالوا يا معاشر العرب قد صالحنا كم ونحن خائفون من قومنا واعلموا ان نقيطاس صاحب عمان لا بد ان نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به كان خيرا لنا ولكم فقلت فكيف نظفر به فقالوا ان الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث الينا حتى نسير الى الساحل الى قيسارية لنكون مع قسطنطين بن الملك هرقل يدا واحدة وبعث اليه وان أنتم ظفرتم بصاحب عمان ملكتم غنيمة جسيمة فقال سعيد بن عامر رضى الله عنه وفى كم يكون جيش عمان فقالوا فى خمسة آلاف فارس ولكن قد وقع خوفكم فى قلوبهم فلن يفلحوا اذا ابدا فقال سعيد بن عامر يا معاشر المسلمين ما تقولون فى لقاء هذا البطريق صاحب عمان وأخذ غنيمته فقالوا افعل ما تريد فان قتله الله على ايدينا كان ذلك صلاحا للمسلمين و هناء على

المشركين

المشركين فقال سعيد بن عامر لاهل القرية على أى طريق يأتى القوم فقالوا على هذا الطريق قال فدلونا على طريق عمورية قال فسرنا الى واد عظيم وكنا فيه يوما وليلة فلم يأتنا أحد فلما أصبح الصباح قال سعيد يا معاشر المسلمين ان الذى وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة أبى عبيدة والمسلمين أفضل من مقامنا هنا فاخرجوا رحمكم الله فانا اذا أشرفنا على المسلمين فى سبعة آلاف فارس كان ذلك وهنا على المشركين وذلة للكافرين فقال المسلمون يا ابن عامران قلوبنا تتوق بالغنيمة فلا تحرمنا ذلك قال فبينما هم فى المحاورة اذ أشرف عليهم جماعة من القسوس والرهبان وعليهم ثياب الشعر وفى ايديهم الصلبان وقد حلقوا أوساط رؤسهم فابتدر المسلمون اليهم وأخذوهم واوقفوهم بين يدى سعيد بن عامر فقال لهم من انتم وكان فيهم قس كبير فكلم سعيدا وقال نحن رهبان هذه الاديرة والصوامع ونريد ان نصل الى قسطنطين ولد الملك هرقل حتى ندعو له بالنصر قال سعيد فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فما وراءكم من الاخبار قالوا وراءنا صاحب عمان فى خمسة آلاف فارس من فرسان النصرانية وعباد الصليب فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا ثم قال سعيد للقسيس الذى خاطبه اسمع أيها الشيخ ان نبينا أمرنا ان لا نتعرض لراهب حبس نفسه فى صومعته ولولا انكم تنذرون العدو لخلينا سبيلكم ثم أمر المسلمين ان يوثقوهم كتافا فأوثقوهم بزنانيرهم التى فى أوساطهم فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا جيش عمان والرجالة امامهم يعزلون لهم الحجر من الدروب فلما اشرفوا على المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير اهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان بذلك فلما نظر الى صنع المسلمين امر اصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا قتالا شديدا قال سعيد بن عامر ونظرت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا وهم يضجون بالتهليل والتكبير فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالب عمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الغنيمة والبطريق نقيطاس صاحب عمان فى الهرب وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه قال فبينما هو كذلك اذ اشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء عن ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل ابن العباس فحملوا على الروم فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه الزبير فقلبه عن جواده وعجل الله بروحه الى النار وأقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الابطال قال واشرف سعيد بن عامر على الموضع فرأى الحرب قائما فظن انه وقع بينهم الخلف فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فاقتحم سعيد بن عامر المعركة فسمع الفضل بن العباس وهو ينتمى باسمه ويقول أين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد فقلت له لله درك يا ابن العباس ومن معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال معى الزبير بن العوام بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلتت من القوم أحد الا بين أسير وقتيل وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض وأقبل الزبير على سعيد بن عامر وقال يا ابن الطفيل ما الذى حبسك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوى وأخبرنا بمسيرك الينا وقد ساءت بك ظنوننا فأرسلنا أبو عبيدة النغار على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ثم أمر الزبير برؤس القتلى فسلخت وحملتها العرب على اسنة الرماح فكانت الرؤس أربعة آلاف رأس والاسرى ألف أسير قال وأطلق سعيد بن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى أشرفوا على أبى عبيدة رضى الله عنه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فانزعجت قلوب الروم لذلك ونظروا الى ثمانية آلاف فارس والرؤس معهم على الاسنة فبهتوا لذلك وحدث سعيد بن عامر أبا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم فسجد شكرا لله عز وجل وأمر بالالف أسير فضربت اعناقهم والروم ينظرون اليهم قال قطبة بن سويد واخبرت الروم انه لم ينج أحد من جيش عمان (قال الواقدى) رحمه الله تعالى لما أسر الخمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتم لفقدهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثرهم غما أبا عبيدة بن الجراح وأقبل على البكاء والتضرع يدعو لمن أسر بالخلاص وأما الخمسة فانهم مثلوا بين يدى ماهان لعنه الله تعالى وغضب عليه فلما نظر اليهم استحقر شأنهم وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين وقد كانوا ستين رجلا فقتلت أكثرهم واسرت هؤلاء وما بقى فى عسكرهم من نخاف غائلته الا رجل واحد وهو الذى يثبتهم ويرمى بهم كل المرامى وهو الذى فتح اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وهو الذى كسر عساكر اجنادين وتبع توما وهربيس وقتلهم فى مرج الديباج واسر ابنة الملك هرقل وهو خالد بن الوليد قال فلما سمع ماهان ذلك قال لا بد لى ما احتال على هذا الرجل حتى احصله عندى واقتله مع هؤلاء الخمسة الاسرى ثم دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم فصيحا بلسان العرب فقال يا جرجة اريد ان تمضى الى هؤلاء العرب وتقول لهم ان يبعثوا الى رسولا وليكن هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى بخالد بن الوليد فقال له ما الذى تريد فقال ان الملك ماهان قد بعثنى اليكم حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله ان يحقن دماءنا ودماءكم فقال خالد ابن الوليد رضى الله عنه أنا أكون الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه ويدى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما واخبره انه يريد المسير الى ماهان فقال أبو عبيدة امض يا أبا سليمان سلمك الله تعالى فلعل الله تعالى ان يهديهم أو يدعونا للصلح واداء الجزية فيحقن الدماء على يدك فحقن دم رجل واحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا فقال خالد ابن الوليد رضى الله عنه أنا اطلب من الله تعالى العون ثم وثب خالد بن الوليد رضى الله عنه الى خيمته ولبس خفين حجازيين وتعمم بعمامة سوداء وشد وسطه بمنطقة من الاديم

وتقلد بسيفه الذى استلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وأمر عبده همام أن يأخذ قبته
الحمراء وكانت من الاديم الطائفى وفيها شمعات من الذهب الاحمر وحليتها من الفضة البيضاء
وكان خالد قد اشتراها من امرأة ميسرة بن مسروق العبسى بثلثمائة دينار فحملها على بغل
وركب خالد جواده فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا أبا سليمان خذ معك رجالا من المسلمين
يكونون لك عونا فقال خالد أيها الامير احب ذلك ولكن لا اكراه فى الدين وليس لى عليهم
طاعة فامر أنت بمن شئت فلما سمع المسلمون كلام خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال
معاذ بن جبل يا أبا سليمان انك من أهل الفضل ولو أمرتنا بأمر امتثلناه لانك سائر فى طاعة
الله تعالى ورسوله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاستركب معه مائة فارس من
المجاهدين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن وقاص وشرحبيل بن حسنة وسعيد بن زيد بن
عمر بن نفيل العدوى وميسرة بن مسروق العبسى وقيس بن هبيرة المرادى وسهل بن عمرو
العامرى وجرير بن عبد الله البجلى والقعقاع بن عمر التميمى وجابر بن عبد الله الانصارى
وعبادة بن الصامت الخزرجى والاسود بن سويد المازنى وذو الكلاع الحميرى والمقداد بن
الاسود الكندى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولم يزل خالد
ينتخب مثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا
وحده فأخذوا زينتهم واشتهروا بلباس الحرب وتوشحوا بالابراد وعمموا بالعمائم وتمنطقوا
بالخناجر وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق وسار خالد بن الوليد رضى عنه وعن يمينه معاذ
ابن جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندى والمائة فارس محدقون به قال معاذ بن
جبل رضى الله عنه وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير قال نصر بن سالم المازنى فنظرت
الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه حين سار خالد بمن معه يقرأ آية من القرآن ودموعه جارية
على خده فقلت أيها الامير ما يبكيك فقال يا ابن سالم هؤلاء والله أنصار الدين فان اصيب
رجل منهم فى امارة أبى عبيدة فما يكون عذرى عند رب العالمين وعند امير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما أشرف خالد بن الوليد رضى الله
عنه ومن معه على عساكر الروم فنظر المسلمون الى عسكر الروم وهم خمسة فراسخ فى العرض وعن
نوفل بن دحية ان خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده وترجل المائة جعلوا يتبخترون فى
مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون أحدا الى أن
وصلوا الى النمارق والفراش الديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره فلما نظر أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ظهر من زينته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت
لهم الكراسى فلم يجلسوا عليها بل رفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الارض فلما نظر
ماهان الى فعلهم تبسم وقال يا معاشر العرب لم تأبون كرامتنا ولم أزلتم ما تحتكم من الكراسى
وجلستم على الارض ولم تستعملوا الادب معنا ودستم على فراشنا قال فقال خالد بن الوليد
ان الادب مع الله تعالى أفضل من الادب معكم وبساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا

صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال حدثنى عاصم بن رواح الزبيدى قال حدثنا ورقة بن عبد الله الشيبانى قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولانى عن عمه جرير وكان محالفا لخالد ابن الوليد رضى الله عنه قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما بل كانا يتحدثان كلاهما فقال خالد ياماهان انى أكره ان أبدأك بالكلام فتكلم أنت بما تريد فانى لست آبالى بما تتكلم به ولكل كلام جواب فان شئت تتكلم وان شئت بدأتك قال ماهان أنا أبدأكم الحمد لله الذى جعل سيدنا الروح المسيح وكلمته وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الامم قال فعظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فقال الترجمان لا تقطع كلام الملك ياأخا العرب واستعمل حسن الادب فأبى خالد أن يسكت بل قال خالد الحمد لله الذى جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذى وليناه أمورنا كبعضنا ولو زعم أنه ملك علينا العزلناه فلسنا نرى أن له فضلا علينا الا أن يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لا شريك له قال فاصفر وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذى أبلانا وأحسن البلاء الينا وأغنانا من الفقر ونصرنا على الامم وأعزنا ومنعنا من الضيم ولسنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقدم يامعاشر العرب طائفة منكم يغشوننا ويلتمسون نائلنا ورفدنا وجوائزنا ونحن نحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضعيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالوعد وكنا نظن أن العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما أسدينا عن آبائنا الجميلة لهم فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا أنكم تطلبون ما طلب اخوانكم فاذا أنتم على خلاف راى أولئك جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون ان تخرجونا من أرضنا وتغلبون على بلادنا وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم ممن هو أكثر منكم عددا وأكثر أموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خائبين وجلين خائفين بين قتيل وجريح وطريد وطريح فأول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبيه بالخيبة والذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم وأنتم لم يكن فى أمة من الامم أصغر منكم مكانا ولا احقر شأنا لانكم أهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وانكم مع ذلك تظلمون فى بلادكم وبلادنا وحوالينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة وانما أقبلتم علينا من هيا كم لانكم خرجتم من جدوبة الارض وقحط المطر فانحلتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست لكم اركبكم ولبستم ثيابا ليست كثيابكم وتمتعتم ببنات الروم البيض الاوانس فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما ليس كطعامكم وملئت أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر وقد لقيناكم الآن ومعكم أموالنا وما غنمتموه من قومنا وأهل ديننا وقد تركناه لكم لا نطالبكم به ولا ننازعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم من فعالكم والآن

فاخرجوا

فاخرجوا من بلادنا فان ابيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فنتركـكم كامس وان جنحتم
للصلح نأمر لكل واحد منكم فى عسكركم بمائة دينار وثوب ولاميركم أبى عبيدة بألف دينار
ولخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار على انكم تحلفون لنا أن لا تعودوا الى حربنا (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) وماهان يرغب تارة ويرهب أخرى وخالد مطرق لا يتكلم حتى فرغ
ماهان من كلامه فقال خالد ان الملك قد تكلم فأحسن وسمعنا كلامه وتتكلم ويسمع كلامنا
ثم قال خالد بن الوليد رضى الله عنه الحمد لله الذى لا اله الا هو فلما سمع ماهان ذلك مدّ يده
الى السماء وقال نعم ما قلت يا عربى فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
المرتضى ونبيه المجتبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهان ما ادرى أمحمد رسول الله ام لا ولعله
كما تقول وتزعم وتذكر فقال خالد رضى الله عنه حسب الرجل دينه ثم قال افضل الساعات
وخيرها الساعات التى يطلع الله فيها رب العالمين فالتفت ماهان الى قومه وقال باسانه انه
رجل عاقل ويتكلم بالحكمة فقال خالد ما الذى قلت لقومك فأخبره بمقالته فقال خالد
ان كنت اوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك وقد سمعنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
يقول لما خلق الله تعالى العقل وصوره وقدّره قال اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال
الله تعالى وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب الى منك بك تنال طاعتى وتدخل جنتى فقال
ماهان اذا كنت بهذا العقل والفهم فلم جئت بهؤلاء معك قال خالد بن الوليد رضى الله عنه
جئت بهم لاشاورهم قال ماهان وأنت مع جودة عقلك وحسن رأيك وبصيرتك تحتاج الى
مشورة غيرك قال خالد نعم بهذا أمر الله عز وجل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى
فى كتابه العزيز وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله وقال صلى الله عليه وسلم
ما ضاع امرؤ عرف قدره ولا ضاع مسلم استشار فانا وان كنت ذا رأى وعقل كما تزعم وكما بلغك
فانى لا أستغنى عن رأى ذى رأى ومشورة اصحابى قال ماهان وهل فى عسكركم من له راى
مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم ان فى عسكرنا أكثر من الف فارس لا يستغنى عن رأيهم
ولا عن مشورتهم فقال له ماهان ما كنا نظن ذلك فيكم وانما كان بلغنا عنكم انكم
طماعة جهال لا عقول لكم يغار بعضكم على بعض وتنهبون أموال بعضكم بعضا فقال له
خالد رضى الله عنه ان ذلك كان شأننا حتى بعث الله عز وجل فينا نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم فهدانا الرشد ناوعرفنا سبيلنا وفهمنا الخير من الشر والهدى من الضلال فقال ماهان
يا خالد انك قد أعجبتنى بما اراه من رأيك وبصيرتك وقد احببت ان اخاويك فتكون اخى
وخليلى فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وافرحاه ان تمم الله مقالتك فتكون اذا سعيدا
ولا نفترق فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده
ورسوله الذى بشر به عيسى بن مريم فاذا فعلت ذلك كنت اخى وكنت اخاك وتكون خليلى
واكون خليلك ولا نفترق الا لامر يحدث فقال ماهان اما ما دعوتنى اليه من الترك لدينى
والدخول فى دينكم فمالى الى ذلك من سبيل فقال خالد بن الوليد وكذلك ايضا الا سبيل

الى مؤاخاتى لك وانت مقيم على دينك دين الضلال قال ماهان اريد ان القى الحشمة بينى و بينك
واكلمك كلام الاخ لاخيه فأجبنى على كلامى الذى دعوتك اليه حتى اسمع ما تقول قال
خالد اما بعد فانك تعلم ان الذى ذكرته مما فيه قومك من الغنى والعزو منع الحريم والظهور
على الاعداء والتمكن فى البلاد فنحن عارفون به وكلما ذكرته من انعامكم على جيرانكم من
العرب فقد عرفناه ولكن انما فعلتم ذلك ابقاء لنعمتكم ونظرا منكم لانفسكم وذراريكم
وزيادة لكم فى مالكم وعزالكم فتستكون جموعكم وتلقون الشوكة على من ارادكم واما
ماذكرته من فقرنا ورعينا الابل والشاه فما منا من لم يرع واكثرنا رعاة ومن رعى منا كان له
الفضل على من لم يرع واما قولك بأننا اهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء فنحن لاننكر ذلك وانما ذلك
من اجل انا كنا معاشر العرب انزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه انهار ولا اشجار ولا زرع الا قليل
وكنا اهل جاهلية جهلاء لايملك الرجل منا الا فرسه وسيفه واباعره وشياهه ويأكل قوينا
ضعيفنا ولا يأمن بعضنا البعض الا فى الاربع اشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام والاوثان
التى لاتسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها مكبون ولها حاملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة
من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقى منا كان كافرا بربه قاطعا لرحمه حتى بعث
الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا أظهر الاسلام بدعوته
ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين وأمرنا
بعبادة رب العالمين نعبده لانشرك به شيئا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا
لاشريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا
للقربان ولا نسجد الا لله وحده لاشريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه انزل الله عليه كلامه الذى هدانا به مولانا فاستجبنا له وأطعنا أمره فكان مما أمرنا به أن
نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن
ذلك لاتأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان اخانا وصار له مالنا وعليه ما علينا ومن ابى الاسلام
كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبى
الاسلام والجزية ان يؤديها فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير
الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الثلاثة خصال ليس غيرها اما ان تقولوا لا اله الا الله وحده
لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله او الجزية فى كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من
لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع فى صومعته قال ماهان فهل بعد قول لا اله
الا الله غير هذا فقال خالد نعم ان تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجوا البيت الحرام وتجاهدوا من
كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا فى الله تعالى وتعادوا فى الله فان ابيتم
ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله ارضه من يشاء والعاقبة للمتقين قال ماهان فافعل
ما تشاء فاننا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدى الجزية واما ماذكرت من ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم نقاتلهم عليها

حتى

حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ما أنتم بأشهى منا الى الحرب وكانى بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحبل فى عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدى عمر بن الخطاب فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهراقلة والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا أنهم صبروا ينتظرون أمره فقال ماهان لخالد وقد استوثق غضبا وحق المسيح لاحضرن أصحابك الخمسة الاسارى وأضربن أعناقهم وأنت تنظر اليهم فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك واعلم أن هؤلاء الذين فى يدك هم منا ونحن منهم فوحق صاحب الدعوة المستجابة وحق بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وخلافة عمر بن الخطاب لان قتلتهم لاقتلنك بسيفى هذا ويقتل كل رجل منا من قومك بعددهم وزيادة ثم وثب خالد رضى الله عنه من موضعه وامتشق سيفه من غمده وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضوارى واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة فى ذلك المكان قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواقدى مؤلف هذا الكتاب والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى أخبار هذا الفتوح الا الصدق وما نقلت أحاديثه الا عن ثقات وعن قاعدة الحق لاثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر على هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا فى الله حق جهاده ونصروا دينه وثبتوا للقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكنا فى سرادقه فلما جذبنا السيوف وهممنا بالقوم وما فى أعيننا من جيوش الروم شىء وقد أيقنا بالحشر من ذلك الموضع (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ومن خالد وتبين الموت فى شفار سيوفنا نادى ماهان مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة تهلك وأنا أعلم أنك ما قلت ذلك القول الا انك رسول والرسول يحمل ولا يقتل وانما أنا تكلمت بما تكلمت لاختبركم وأنظر ما عندكم والآن فما أؤاخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال حتى يعطى الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع فى هولاء الاسرى فقال ماهان أطلقهم كرامة لك وأخلى سبيلهم فيكونون عونا لك وان تعجزونا فى الحرب غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال ماهان يا خالد انى كنت أحب أن ينصلح الامر بينى وبينكم وانى أسألك حاجة فقال خالد سل ما تريد فقال ان قبتك هذه الحمراء قد أعجبتنى وانى أريد أن تهبها لى وانظر فى عسكرى

ما أعجبك من شئ فأهبه لك فقال خالد والله لقد أفرحتني اذ اطلقت ما املكه وهي موهوبة
لك وأما ما عرضت علي من عسكرك فلا حاجة لي فيه فقال ماهان لله درك انت تكرمت
واجلت فقال خالد رضي الله عنه وانت ايضا قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق
اصحابي من الاسر ثم انثنى خارجا من عند ماهان واصحابه من حوله وقدم له جواده فركبه
اركب اصحابه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ماهان اصحابه وحجابه ان يسيروا
معهم حتى يبلغوهم قال ففعل القوم ذلك و وصل خالد واصحابه الى الامير ابي عبيدة رضي
الله عنهم اجمعين وسلموا عليه وفرح المسلمون بخلاص اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحدث خالد ابا عبيدة بكل ما جرى لهم ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ان كان ماهان
وطلق لنا اصحابنا الا فزعا من سيوفنا فقال ابو عبيدة حين سمع ما امر لخالد وماهان من
الخطاب والجدال هذا رجل حكيم الا ان الشيطان غلب على عقله فعلى ما افترقتم قال
على اننا نلتقي معهم و يعطي الله النصر لمن يشاء فلما سمع ابو عبيدة رضي الله عنه ذلك جمع
عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه
وسلم واخبرهم ان العدو يصبحهم بالقتال في غداة غد وامرهم بالاهبة وأقبل فرسان المسلمين
يحرض بعضهم بعضا واقبل خالد على اصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا ان هؤلاء
الكفرة الذين نصركم الله عليهم في المواطن الكثيرة قد حشروا لكم جموع بلادهم واني دخلت
الى عسكرهم ونظرت اليهم فكانهم النمل ولكنهم اصحاب عدة بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم
عليكم وهذه الوقعة بيننا و بينهم وقد ايقنا ان القتال في غداة غد وانتم اهل البأس والشدة
وفيما عندكم رحمكم الله تعالى قال فتكلم اصحاب خالد وقالوا ايها الامير القتال بغيتنا
القتل في سبيل الله تعالى مسرتنا ولا نزال نصبر لهم على الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم الله تعالى وأرشدكم (قال الواقدي
رحمه الله تعالى) فلم يبق احد منهم تلك الليلة الا وقد اخذ عدته واهبته واستعد بآلة
الحرب والقتال و باتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب فلما اصبح القوم ولاح
الفجر اذن المؤذنون في عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد واسبغوا الوضوء
لصلاتهم خلف ابي عبيدة فلما صلوا ركبوا خيولهم الى قتال عدوهم وعبوا صفوفهم للقتال
وكانوا ثلاثة صفوف متلاصقة الصف لا يرى آخره واقبل خالد بن الوليد على ابي عبيدة رضي
الله عنه وقال أيها الامير من تجعل في الميسرة قال كنانة بن مبارك الكناني اوقال عمرو بن
معدي كرب الزبيدي والله اعلم ايهما كان فولاه الميسرة وامره ان يكون مكانه في الميسرة
ففعل وضم الى كنانة قيسا قال فسار لما امره ابو عبيدة رضي الله عنه (قال الواقدي رحمه
الله تعالى) حدثني فضالة بن عامر قال حدثني موسى بن عوف عن جده يوسف بن معن
قال كان هذا الغلام كنانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر انه كان من
شجاعته وشدة فراسته كان يخرج من حي قومه بني كنانة وحده و يسير حتى يأتي احياء العرب

المعادين له فاذا اشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور الرجال على اعناق الخيل فلا يزال يقاتلهم و يقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم غلبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين أيديهم فلا يلحقون منه الا الغبار (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما ولاه أبو عبيدة وقف حيث أمره والتفت أبو عبيدة الى خالد وقال يا أبا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من حيث شئت فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه سأولى أمرهم رجلا لا يؤتى المسلمون من قبله ثم نادى بهاشم بن عتبة بن أبى وقاص وقال له قد ولاك الامير على الرجالة فقال أبو عبيدة رضى الله عنه انزل يا هاشم وكن معهم رحمك الله وأنا أوافقك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورتب أبو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم قال خالد بن الوليد رضى الله عنه ابعث الآن الى أصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا منى فدعا أبو عبيدة رضى الله عنه بالضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس اسرع الى أصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يأمركم أن تسمعوا لخالد وتطيعوا أمره ففعل الضحاك ذلك وجعل يدور على أصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك قال معاذ بن جبل سمعا وطاعة ثم أقبل معاذ على الناس وقال أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين قال فقلت لمعاذ بن جبل انك لتقول فى خالد قولا عظيما فقال ما أقول الا ما قد عرفته فلله دره قال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى به عليه فأثنى عليه وقال هو أخى فى الله تعالى ولقد سبقت له ولاصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن الوليد فمن يناله قال الضحاك فرجعت الى معاذ بن جبل وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى به عليه وما ذكره من امره وبما أورد من على شأنه فقال معاذ والله انى احبه فى الله تعالى وارجو من الله ان يكون قد اثابه بحسن نيته ونصيحته للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما وصى الضحاك بن قيس اصحاب الرايات بقول ابى عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد رضى الله عنه جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا اهل الاسلام ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعالى على صحبتكم والفشل والجبن سيان من أسباب الخذلان فمن صبره كان الله نصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعالى اكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه والله يحب الشاكرين قال ومازال خالد رضى الله عنه يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم ان خالدا جمع اليه خيل المسلمين من اهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم اربع ارباع فجعل على احدهم قيس بن هبيرة المرادى وقال له انت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما اصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة بن مسروق العبسى واوصاه بمثل ذلك ودعا عامر بن الطفيل على الربع الثالث واوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم تطلع الشمس الا وقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب واما ماهان الارمنى فانه أمر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا ان

المسلمين كانوا اسرع فى التعبية قال وزحف عسكر الروم الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم الى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفهم كالبنيان المرصوص وكان الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة قال فلما راى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع والقى الله الرعب فى قلوبهم ثم ان ماهان عبى عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فى مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم امامهم صليبا من الفضة زنة خمسة ارطال وهو مطلى بالذهب وفى اربع اركانه اربع جواهر تضئ كانها الكواكب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سنان بن اوس الربعى قال حدثنى عدى بن الحارث الهمدانى وكان ممن حضر الفتوح من اوله الى آخره قال وكانت الصفوف التى صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد اظهر ماهان بين الصفوف الاقسة والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترنمون واكثر من الرايات والاعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفى عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس اشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يطمطم بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون انه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد وقال يا اصحاب رسول الله هذا العلج الاغلف يدعوكم لقتاله وانتم تتأخرون فان لم تخرجوا اليه والا خرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برزون اشهب عظيم الخلقة يشبه برزون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن فى رجال خالد من يعرف الفارس الذى خرج فقال خالد لهمام مولاى اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن اى العرب هو ومن قومه فمضى همام يهتف به وقد همّ ان يقرب من البطريق فصاح به من انت يا ذا الرجل من المسلمين رحمك الله فقال انا روماس صاحب بصرى فلما اخبر خالد به قال اللهم بارك فيه وزد فى نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال الرومى وقد عرفه يا روماس كيف تركت دينك وصبوت الى هؤلاء القوم فقال روماس هذا الدين الذى دخلت فيه دين جليل شريف فمن دخل فيه كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج على روماس وتقاتلا ساعة حتى تعجب الجمعان منهما فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة صعبة اسال دمه قال فاحس روماس بالضربة وقد وصلت اليه فانثنى راجعا نحو المسلمين فاتبعه العلج طالبا له لا يقصر عن طلبه وكاد ان يدركه فصاح به فرسان المسلمين من الميسرة والميمنة فقوى قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والهلع وقصر عن طلبه ودخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فائر فاخذه جماعة من المسلمين فشدوا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه بالغفران من الله تعالى وهنوه بالسلامة قال ولما رجع روماس منهزما اعجب العلج بنفسه واظهر عناده وطمطم فى كلامه وطلب

البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسى فقال له خالد ياميسرة ان وقوفك
فى مكانك احب الى من خروجك الى هذا العلج وأنت شيخ كبير وهذا علج عظيم الخلق
والشأن شجاع ولا أحب أن تخرج اليه فانه لايكاد الشيخ الكبير يقاوم بالشاب الحدث ولاسيما
ان شعرة من مسلم أحب الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن
يخرج اليه عامر بن الطفيل وقال أيها الامير انك قد عظمت قدر هذا الرومى الذميم وادخلت
فى قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد ان الفرسان تعرف اكفاءها فى الحرب ومايخفى على
ماهو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لاتقوم به لانه مابرز بين أصحابه وبين شجاعته الا وهو
فارس فى قومه فقف فى مكانك فوقف عامر بن الطفيل فى مكانه ولم يخالف قال والعلج يدعو
الى البراز والحرب فأقبل الى خالد الحارث بن عبد الله الازدى فلما وقف بين يديه قال أيها
الامير اخرج اليه قال خالد لعمرى ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمتك الا شهما فان شئت أن
تخرج فاخرج على اسم الله واعزم فأخذ الازدى اهبته وهم أن يخرج فقال خالد رضى الله
عنه على رسلك ياعبد الله حتى اسألك فقال اسأل قال خالد هل بارزت أحدا قبله قال لا قال
فارجع يا ابن أخى ولا تخرج فانك غير مجرب الخروج وهذا فارس قد جرب الحرب وجربته
وعرف مصادرها وما أحب أن يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل خالد يقول ذلك
وينظر الى قيس بن هبيرة فقال يا أبا سليمان انى أظنك تعرض بى واياى تعنى أنا ابرز اليه قال
خالد ابرز على اسم الله تعالى فانك كفؤ والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة واجرى
جواده حتى لين عريكته وكسر حدته ثم سرحه نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم انه فارس
شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتحاملا قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه
على هامته فالتقاها العلج فى جحفته فقد سيف ابن هبيرة الجحفة ووصل الى البيضة فاشتبك
فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت
للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد اسره وهو جبار من الجبابرة وكان
قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلما
نظر قيس الى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمر له
مكرا الان سيفه قد خرج من يده فأثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود
الى القتال وقد أيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج فى اثره وسعى فى طلبه فقصر قيس
ابن هبيرة فى سيره وقال فى نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع الى العلج
فصاح به خالد يا قيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت حدتها على فقال قيس يا خالد
لقد أقسمت على بعظيمين ولكن ان رجعت اليك أتزيد فى اجلى قال لا قال فلم اختار الفرار
واكون من أصحاب النار بل أصبر وافوز بالغفران من الله تعالى ثم انه عطف على قرنه
وليس فى يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة

وليس فى يده سيف فقال من يأخذ هذا السيف و يدفعه الى قيس ابتغاء ثواب الله تعالى
قال عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنا يا أبا سليمان فقال خالد أنت والله لها
يا ابن الصديق ثم أخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد أن يناوله السيف فلما
نظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا انه يريد أن يعاون قيسا على صاحبهم
فخرج عليه بطريق آخر وأقبل الى صاحبه و وقف بازائه قال فدفع عبد الرحمن السيف
الى ابن هبيرة ووقف معه وجعل البطريق الآخر يتكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن فقال
عبد الرحمن يا ويلك ما الذى تقول فما نعرف كلامك فخرج اليه ترجمان وقال له يا معاشر
العرب أليس ذكرتم انكم أصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلى قال الترجمان فما رأينا
من نصفتكم شيئا يخرج فارسان الى فارس قال عبد الرحمن انما خرجت لاعطى صاحبى هذا
السيف وارجع ولو خرج الينا منكم مائة لواحد ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها أنتم ثلاثة وأنا
واحد وانا لكم كفؤ قال فأخبر الترجمان صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا فقال عبد الرحمن
يا قيس قد تعبت فقف وتفرج على وانظر ما يكون منى ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبى بكر
الصديق رضى الله عنهما على الذى كان يخاطبه فطعنه فى نحره اخرج السنان يلمع من ظهره
فوقع مجندلا ونظر العلجان الى صاحبهما مجندلا فحملا على عبد الرحمن وقصداه فأراد قيس
ابن هبيرة أن يعاونه عليهما فقال له عبد الرحمن سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبحق أبى بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلى بهما فان قتلت فأنت شريكى فى الثواب واقرئ
عائشة منى السلام وقل لها أخوك قد لحق ببعلك وابيك فتأخر قيس عنه وقد عجب من فعاله
فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو الاول فطعنه برمحه فاشتبك السنان فى دراعته
فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وامتضى سيفه وقام فى الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة
طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث الى عبد الرحمن وجراءته فبقى حائرا متعجبا من حاله ونظر
قيس الى البطريق وهو متحير باهت فبانت له فيه غفلة فقال ما يوقفك يا قيس وحمل على
البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته وسقط الى الارض صريعا فلما نظرت الروم الى أصحابهم
قال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واخبر
ماهان بفعالهم فقال لقومه ان الملك كان اخبر بهؤلاء القوم وحق المسيح لقد أعلم ان لكم
أمرا فان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فما تقوم لكم قائمة قال فأتاه بطريق من البطارقة
وسارر ماهان فى اذنه طويلا ثم انزاح عنه وقد اصفر وجه ماهان وسكت كأنه اخرس
فاستخبروا ماهان عما حدثه البطريق فلم يخبرهم قال فحدث من رأى ذلك انه سأل جبلة بن
الايهم فقال لما اخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان انهم منصورون
عليكم فقال له البطريق فى اذنيه أيها الملك الحق ما قلت اعلم انى رأيت البارحة فى منامى
كأن رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل السلاح
واحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج أحد من عسكرنا الا قتلوه حتى أتوا على

أكثرنا وأظن انهم هؤلاء الذين نراهم فى اليقظة لان واحدا منهم قتل ثلاثة منا وماهم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر بهذا قلب ماهان فلم يرد جوابا فاجتمع القوم يسألون عما قاله البطريق فلم يخبرهم فلما أكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا الدين انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل لدينكم ناصرا وظهيرا وان لله الحجة عليكم اذ بعث رسولا وانزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها وفى كتابه لا تظلمون فانه لا يحب الظلم ولا الظالمين فلما اتبعتم الدنيا وظلمتم وخالفتم نصرا عداؤكم عليكم فاعذركم عند خالقكم وقد تركتم أمر نبيكم وما أنزل عليكم فى كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبى ذراريكم ونسائكم وأنتم على المعاصى والذنوب ولا تخافون من علام الغيوب فان نزع الله سلطانكم من ايديكم واظهر عدوكم عليكم فذلك بحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذى رأى فى المنام أمره ان يكتمه وأما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فأخذا سلاحهم واسلابهم ورجعا الى المسلمين فدفعا السلب الى أبى عبيدة فقال هو لكم ومن قتل فارسا فله سلبه فكذا عهد الينا عمر بن الخطاب فأخذا السلب ووقف قيس فى موضعه الذى أقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق الى ميدان الحرب نجال بين الصفين وكان قد ركب اشهب البطريق الذى قتله فرآه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب ثم انثنى على الميسرة فرشق بالسهام فرجع حتى وقف فى صدر الجيش وجعل يقرع الروم باسمه ويدعو الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج اليه آخر فقتله فقال خالد اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب بنفسه ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة أبيك وبيعته الا رجعت الى مكانك فرجع حين اقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك اكانت النساء معكم مشاهدات القتال قال نعم احداهن اسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وأم ابان زوجة عكرمة بن أبى جهل وعزة بنت عامر بن عاصم الضمرى مع زوجها مسلمة بن عوف الضمرى ورملة بنت طليحة الزبيرى ورعلة وامامة وزينب وهند ويعمر ولبنا وامثالهن رضى الله تعالى عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا مرضيا به الله ورسوله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك قال أولها شرر نار وآخرها اضرام الحرب وان كل يوم يأتى من القتال أصعب من اليوم الآخر قال عمرو بن جرير فشهدنا فى اليوم الاول حربا يسيرا وذلك ان ماهان امر عشرة من الصفوف أن تحمل على المسلمين بعد ان قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال بالرجال

فنظر أبو عبيدة وكان واقفا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم أن الامر يصعب
فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وجعلوا يتلون قوله تعالى الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال
ولم تزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس في قبة السماء الى أن همت بالغروب ولم
ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم فحينئذ افترق الجمعان وهم ما يعرفون الا بالشعار
وخرج كل قوم من العرب يهتفون بشعارهم وينادون بأنسابهم ورجعت كل فئة
الى مكانها واستقبل المسلمين نساؤهم فسارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه
زوجها وتقول له ابشر بالجنة يا ولي الله وبات المسلمون في خير وسرور واوقدوا النيران
وذلك ان القتال في أول يوم لم يتبين في الفريقين بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين
عشرة رجال من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثاني يقال له صارم وثلاثة
من عسفان رافع ويحيى وعلي وواحد من الانصار وهو عبد الله بن الاحزم وثلاثة من
بجيلة وواحد من مراد وهو في ابن قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس لما فقده فعلم انه
في القتلى فخرج قيس وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا موضع المعركة وفتشوا عليه فلم
يروه فلما هم بالرجوع اذ نظر الى نار قد اقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة
وهم يطلبون بطريقا كان معظما عندهم فقال قيس لجماعته اخمدوا ناركم فوالله
لآخذن بثار ابن أخي من هؤلاء القوم قال فاخمدوا نارهم ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال
واذا بالروم قد أتوا وهم نحو مائة وهم في زينة عظيمة وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه
فقالوا له ان القوم مائة ونحن سبعة وقد منا من التعب فقال قيس ارجعوا أنتم واني والله
اطلب الموت لا أريد غيره واجاهد في الله حق جهاده فعجبوا من قوله ووقفوا معه وقفة
الكرام واقبلت الاعلاج يريدون المعركة ويدورون بين القتلى وقد وقفوا بالعلج وهو الذي
برز أولا وقتله ابن أبي بكر الصديق فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح فيهم قيس من
ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فذهلوا ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم
وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذا عن ابن أخي قال فقتل
منهم ستة عشر رجلا وقتل أصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من
القوم عاد يطلب ابن أخيه نحو عسكر الروم فسمع انينا فاقبل نحوه فاذا هو ابن أخيه سويد
ابن بهرام المرادي فلما عرفه بكى فقال ما ابكاك يا ابن أخي فقال يا عماه اني تبعت
القوم فرجع الى واحد منهم وطعنني في صدري واني لاعاج منها أمرا عظيما وهؤلاء
الحور العين في حذائي ينتظرون خروج روحي قال فبكى قيس وقال يا ابن أخي لكل أجل
كتاب ولعل ان يكون في اجلك طول فقال هيهات والله يا عم افتقدر ان تحملني
الى عسكر المسلمين فاموت هناك قال اجل قال ثم احتملته على ظهري واقبلت به الى
عسكر المسلمين وقصدت به الى رحله وسجيته وسمع أبو عبيدة بمجيء قيس فأتى اليه

ورأى الغلام يجود بنفسه فجلس عند رأسه وبكى وبكت المسلمون فقال له ابو عبيدة كيف
تجدك يا ابن اخي فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمد اعنا خيرا ولقد صدقنا في قوله وهذه
الحور تنادي وتشخص فمات قال فابرحنا حتى وارينا في التراب قال واخبر قيس بمن قتل في
تلك الليلة من المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم ان ذلك علامة النصر قال وبات الناس في ليلتهم
يقرؤن القرآن ويصلون ويسألون المعونة والنصر قال واما ماهان فانه لما رجع الى عسكره
اجتمع اليه البطارقة والرهبان والقسوس فقدم له طعام ومدوا له سماطا فلم يأكل منه شيئا مما
وقع في نفسه من الرؤيا التي رآها البطريق وكان ماهان يود لو ترك الامر وصالح على اداء الجزية
ولكنه كان مغلوبا على أمره واقبلت الملوك والاقسة والبطارقة والرهبان على ماهان وقالوا
ما بال الملك امتنع من الطعام فان كان ذلك من غمه على من مات وعلى ما جرى عليه من الحرب
فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك واعلم ايها الملك ان القوم بنا ظافرون وما نملكهم
الا ان نحمل عليهم فلا يبقى منهم احد قال ماهان ما اظنكم غير منصورين الا من تغير اديانكم
والجور في سلطانكم فبهذا نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل وقال ايها الملك عشت
الدهر وانا رجل من اهل دينكم وكان لي مائة رأس من الغنم وكان فيها ولدي يرعاها فضرب
عظيم من عظماء اصحابك الفسطاط الى جانبها ثم انه عدا عليها فأخذ منها حاجته وأخذ
بقيتها اصحابه فجاءته زوجتي تشكو اليه انتهاب غنمي فلما رآها أمر بها فادخلت اليه
فطال مكثها عنده فلما رأى ولدها ذلك دنا من الفسطاط فاذا هو يجامع امه فصاح الغلام
فأمر البطريق بقتل الغلام فقتل فأتيت أريد خلاص ولدي وزوجتي فأمر بي فضربت بالسيف
فالتقيت الضربة بيدي فقطعها ثم انه اخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان عند
ذلك غضبا شديدا وقال للمعاهدي اتعرف هذا البطريق الذي فعل بك ذلك قال نعم هو هذا
وأومى بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا قال فغضب البطريق وغضب
البطارقة لغضبه ومالوا على المعاهدي فضربوه باسيافهم حتى قطعوه وماهان ينظر اليهم فزاد
غضبه وقال خذلتم وهلكتم وحق المسيح يا ويلكم ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الفعال
أما تخافون القصاص غدا ان الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما أعطاكم ويعطيه غيركم
لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فوالله أنتم الآن عندي كالكلاب وسوف ترون
عاقبة هذا كله والى أي مصير مصيركم يكون قال ثم انه قام وتركهم فلما انصرف القوم ولم يبق
عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القوم لكما تقول وما أظن الا اننا
مغلوبون واعلم اني رأيت في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب فأحدقوا بهؤلاء
العرب وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بازائهم فنظرت اليهم ولا يخرج منا احد الا قتلوه
حتى اتوا على أكثرنا وذكر له كما قال ذلك الاول فاقبل ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع
في أمر المسلمين فلما أصبح الصباح عبى المسلمون صفوفهم ونظروا الى عسكر الروم واذا فيه
ارتعاد وانزعاج فعلموا ان لهم أمرا (قال ابو عبيدة) دعوهم ولا تبغوا عليهم فان الباغي

مخذول قال واجتمعت البطارقة والملوك الاربعة الى ماهان وهم قناطر وجرجير والديرجان
وقورين وهم أصحاب الجيش يستأذنونه فى الحرب فقال ماهان وكيف لى ان اقاتل بقوم
يظلمون ان كنتم احرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا الآن احيينا الحرب
فوحق المسيح لانفارقهم حتى ننفيهم من الشام الى بلادهم او يقتلونا أو نقتلهم فثق بقولنا
وانهض بنا اليهم فاذا عزمت على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف من منا فرس
واشد ويضجر المسلمون من المطاولة ونجمع عيالنا وأطفالنا وأموالنا فان كانت على العرب رددنا
كل شئ الى مكانه وان كانت للعرب علينا الحقوه ببلادهم وقومهم ويكون الامر بيننا وبينهم
فى يوم واحد أو يومين فقال ماهان لعنه الله هذا هو الرأى امهلوا الى ان اكتب الى الملك بمثل
ذلك ثم انه كتب الى هرقل اما بعد فأسأل الله أيها الملك لك ولجيشك النصر ولاهل سلطانك
العز والنصر وانك بعثتنى فيما لا يحصى من العدد وانى قدمت على هؤلاء العرب فنزلت بساحتهم
واطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم جعلا على ان ينصرفوا فلم يفعلوا
وقد فزع جند الملك منهم فزعا شديدا وانى خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل
فى قلوبهم وذلك لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت ذوى الرأى من اصحابى وذوى النصيحة للملك
وقد أجمع رأينا على النهوض اليهم جميعا فى يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر
الله عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم ان الدنيا زائلة عنك فلا تأسف على مافات منها
ولا تغبط منها بشئ فى يدك والحق بمعاقلك وبدار ملكك بالقسطنطينية وأحسن الى رعيتك
يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد عملت حيلة
فى احضار اميرهم خالد ومنيته وارغبته فما اجاب ورأيته على الحق مقيما فأردت ان افتك به
وامكر فخفت عاقبة المكر والغدر وما نصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام ثم طوى
الكتاب وبعث به مع اصحابه من العلوج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبقى ماهان
سبعة أيام اخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه وبعث ابو عبيدة برجل من
عيونه ينظر ما الذى أخر الروم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد وأخبر ابا عبيدة ان
ماهان قد كاتب الملك وهو منتظر الجواب فقال خالد بن الوليد ما تأخر ماهان عن قتالنا
الا وقد حصل فزع فى قلبه فازحف بنا اليهم فقال ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه لا تعجل
فان العجلة من الشيطان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ابو عبيدة رجلا لين العريكة
يحب الرفق فلما كان فى اليوم الثامن نظر ماهان الى تلهف اصحابه الى الحرب والقتال
فعزم ان يلتقى بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب
فادخل هؤلاء العرب وتجسس لى أخبارهم وانظر ما عندهم قال فمضى اللخمى حتى دخل
عسكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام فيهم يوما وليلة يطوف فى عسكرهم
وليس احد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس لهم همة الا اصلاح شأنهم والصلاة والقرآن
والتسبيح وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على احد وقصد الموضع الذى فيه ابو

عبيدة رضى الله عنه فنظر اليه كأنه اضعف ضعيف فى العرب ساعة يجلس على الارض
وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام واسبغ الوضوء واذن المؤذنون وصلى بالناس
ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه فقال المتنصر ان هذه طاعة حسنة ويوشك
انهم ينصرون قال ورجع الى ماهان وحدثه بما رأى من القوم وما عاينه وقال ايها الملك
انى جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
رهبان فى الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه ولو زنى رجموه
لا يغلب هواهم على الحق بل الحق عندهم طالب واميرهم كأضعف من فيهم الا انه مطاع
فى قوله عندهم ان قام قاموا وان جلس او قعد قعدوا ومناهم القتال وشهوتهم النزال ومرادهم
ان يموتوا شهداء فى قتالكم واما تأخرهم عن قتالكم الا ليكون البغى منكم اذا بدأتموهم
فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير انى قد وجدت حيلة اعملها لهم فقال المتنصر
ما الحيلة ايها الملك فقال ماهان الست زعمت انهم لا يبدؤن بالقتال حتى نقاتلهم فنكون نحن
الباغين قال نعم قال فانا لا نطلب الحرب بل نطول بيننا وبينهم وندهمهم على حين غفلة دون
عدة ولا اخذ فى حذرهم فعسى ان نظفر بهم قال ثم ان ماهان جمع الملوك وجعل يعقد لهم
الرايات والصلبان حتى عقد على ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وكان اول
صليب عقد لتناظر وكان نظيره فى الرتبة وامره ان يكون فى الميمنة ثم عقد صليبا للديرجان وضم
اليه الارمن والنجد والنوبة والروسية والصقالبة ثم عقد لابن اخت الملك صليبا على الافرنج
والهرقلية والقياصرة والبرفل والدوقس وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة من لخم
وجزام وغسان وضبة وامره ان يكون على المقدمة وقال انتم عرب واعدانا عرب والحديد
لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الاعلام فى اجناد عسكره فما انفجر الصبح وبان الصباح واضاء بنوره
ولاح حتى كان فرغ من تعبية جيوشه ورتب طلائعه وامر بمضرب له فضربت على كثيب عال
على جانب اليرموك يشرف منه على العسكرين ووقف عن يمينه الف فارس عتاة حماة الروم
شاكين فى السلاح وعن يساره كذلك وهم الملكية واصحاب السرير وامرهم باليقظة وقال
اى كرب يكون على العرب اعظم من هذه فانكم على تعبية وهم على غير اهبة فاذا اطلعت
الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم فى عسكرنا
الا كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود هكذا سمعت اباد بن غالب الحميرى يذكر وكان
من المعمرين قال حدثنى جواد بن اسيد السكاسكى عن ابيه اسد بن علقمة قال ولما انشق
الفجر اذن المؤذنون وتقدم ابو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان فقرأ فى اول
ركعة والفجر وليال عشر حتى قرأ ان ربك لبالمرصاد اذ هتف بهم هاتف وهم فى الصلاة وهو
يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة وما يغنى عنهم كيدهم شيئا وما اجرى الله هذه الآية على لسان
اميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون كلام الهاتف عجبوا مما سمعوا ثم قرأ فى الركعة
الثانية والشمس وضحاها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها

واذا بالهاتف يقول تم المقال وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته
قال يا معاشر المسلمين هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا فقال أبو عبيدة
والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينصرنكم الله وليرسلن
عليهم سوط عذاب كما أنزل على القرون الاول ثم قال ابو عبيدة معاشر القوم انى رأيت الليلة
فى منامى رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من الملأ الاعلى فقالوا اصلح الله شأن
الامير فما الذى رأيت قال رأيت كانى واقف بإذاء أعدائنا من الروم اذ حف بنا رجال وعليهم
ثياب بيض لم ار كهيئتها حسنا لبياضها اشراق ونور يغشى الابصار وعلى رؤسهم عمائم خضر
وبأيديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اجتمعوا حولى قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم
فانكم غالبون فان الله ناصركم ثم دعوا برجال منكم وسقوهم بكأس كان معهم فيه
شراب وكأنى انظر عسكرنا وقد دخل عسكر الروم فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين
فقال رجل من المسلمين اصلحك الله أيها الامير وأنا رأيت الليلة رؤيا فقال ابو عبيدة خيرا
يكون ان شاء الله تعالى ما الذى رأيت يرحمك الله فقال رأيت كأنا خرجنا نحو عدونا
فصاففناهم للحرب واذا قد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لها اجنحة خضر ومخاليب
كمخاليب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا جاءت للرجل منهم ضربته
ضربة فيقع قطعا قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض ابشروا فقد امنكم الله
وايدكم بالنصر وأيدكم بملائكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر قال فسر أبو عبيدة بذلك
وقال هذه رؤيا حسنة وهى حق وتأويلها النصر وانى ارجو من الله تعالى النصر وعاقبة
المتقين فقال رجل من المسلمين ايها الامير ما وقوفنا عن هؤلاء الكلاب الاعلاج وما انتظارك
للحرب وعد والله يريد كيدنا بمطاولته وما تأخرنا الا الليلة يريدان يوقعنا بها قال ابو عبيدة
ان الامر أقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة الحميرى فبينما نحن كذلك اذ سمعنا الاصوات
قد علت والزعقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحفت الينا
فظن ابو عبيدة ان المسلمين قد كبسوا فى وجه السحر فقام ليرى وكان على حرس المسلمين تلك
الليلة سعيد بن زيد وعمرو بن نفيل العدوى رضى الله تعالى عنهما اذ اقبل سعيد وهو ينادى
النفير النفير حتى وقف امام ابى عبيدة ومعه رجل من المتنصرة فقال أيها الامير ماهان كاد
المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبا عساكره وصف جيوشه وزحف الينا زحف من يريد
الكبسة لنا ونحن على غير اهبة ولا عدة وهذا الرجل قد أقبل الينا راغبا فى الاسلام محذرا لنا
من بأسه ويزعم ان ماهان قد قدم الينا حماة البطارقة وقد اتفق رأيهم على ان يقاتلنا كل
ملك من ملوكهم بمن معه وهذا أصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم
والصلبان تدنو فقال ابو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اين ابو سليمان
خالد بن الوليد فأجابه بالتلبية فقال له أنت لها يا أبا سليمان فابرز فى ابطال المسلمين وصد
عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفوفها وتستعد الات حربها فقال حبا وكرامة فنادى

خالد ابن الزبير بن العوام ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الفضل بن العباس ابن يزيد
ابن أبي سفيان ابن ربيعة بن عامر ابن ميسرة بن مسروق العبسي ابن ميسرة بن قيس ابن عبد
الله بن انيس الجهني ابن صخر بن حرب الاموي ابن عمارة الدوسي ابن عبد الله بن سلام
ابن غانم الغنوي ابن المقداد بن الاسود الكندي ابن أبو ذر الغفاري ابن عمرو بن معدي
كرب الزبيدي ابن عمار بن ياسر العبسي ابن ضرار بن الازور ابن عامر بن الطفيل ابن ابن ابان
عثمان بن عفان وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكل رجل منهم يلتقي جيشا فاجتمعوا الى خالد بأجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتغل أبو
عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية العساكر فأقبل أبو سفيان الى أبي عبيدة وقال له أيها الامير
مر نساءنا ان يعون على هذا التل قال نعم الرأي ما رايت فأمرهن بذلك ففعلوا وعلون على التل
وحصن انفسهن واولادهن ومعهن الاطفال والاولاد فقال لهن ابو عبيدة خذوا بأيديكن
اعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين ايديكن وحرضن المؤمنين على القتال فان كان
الامر لنا والظفر فكن على ما انتن عليه وان رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه
بأعمدتكن واحصبنه بحجارتكن وارفعن اليه اولادكن وقلن له قاتل عن اهلك وولدك
وعن دين الاسلام فقلن النساء أيها الامير ابشر بما يسرك (قال الواقدي رحمه الله تعالى
ورضي عنه) فلما حصن أبو عبيدة النساء على التل اقبل يعبي جيشه وقد ابتدر الناس القتال
بعد ما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين
صفراء وفيها ابيض واخضر واسود وسائر القبائل أيضا راياتهم مختلفة وجعل المهاجرين
والانصار في القلب واظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاث صفوف فصف
فيه النبالة من أهل اليمن وصف فيه اصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق
فجعلها في الثلاثة صفوف واستعمل عليهم ثلاثة من المسلمين احدهم عيان بن مرملة العامري
والثاني مسلمة بن سيف اليربوعي والثالث القعقاع بن عمرو التميمي ووقف المسلمون تحت
راياتهم ووقف ابو عبيدة تحت رايته التي عقدها له ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يوم
مسيره الى الشام وهي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التي سار بها يوم خيبر قال
ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح
الايمن يزيد بن ابي سفيان وعلى الايسر قيس بن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار ابو عبيدة
بين الصفوف وجعل يحرض المؤمنين على القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو
فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نياتكم ولا تخطوا خطوة الا وانتم تذكرون الله ولا تبدؤهم
بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله
ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ
ابن جبل فطاف على الناس محرضا لهم يقول يا اهل الدين ويا انصار الهدى والحق اعلموا

رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمنى بغير عمل
مرض ولا تدخل الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ولا يؤتى الله الرحمة والمغفرة الواسعة
الا للصابرين والصادقين الم تسمعوا قوله جل من قائل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك
هم الفاسقون واستحيوا من الله ان يراكم فى فرار من عدوكم وانتم فى قبضته ليس لكم ملجأ
من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى ان رجع الى مقامه ثم خرج سهل بن عمر فمشى بين الصفوف
وهو شاكى السلاح راكب فرسه متقلد بسيفه وهو يقول مثله ثم رجع وخرج من بعده أبو
سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكى السلاح راكب فرسه متقلد بسيفه معتقل رمحه
وهو يقول معاشر العرب الكرام السادة العظام قد أصبحتم فى ديار الاعلاج منقطعين
عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب فى اعينهم والضرب المتدارك
فى هاماتهم وبذلك تبلغون ار بكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا ان الصبر فى مواطن الباس
مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان
صبرتم ملكتم بلادهم وامصارهم واستعبدتم ابناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين ايديكم
الا مغاور ولا تنقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا
بسيوفكم وجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال ثم خرج من بين الصفوف
وأقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء
المسلمين ومعهن اولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات
عقل ودين فكن ممن احتفظن على اديانهن وقدمن فى ذلك النية وحرضن ازواجكن على
القتال ومن رجع منهم منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد واظهرن اولادكن
لازواجكن حتى يرجعوا قال فوقف النساء وهن مستعدات متمزرات متحزمات باشعارهن
ورجع أبو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والجنة امامكم والشيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تغن
مكيدة ماهان شيئا ورجعت الروم الى ورائها حين نظروا خالدا زحف اليهم فى خمسمائة
فارس فخافوا لذلك ورجعوا حتى اصطفت الصفوف وعبى المسلمون كتائبهم فقال ماهان
ما يوقفكم عن قتالهم فازحفوا اليهم فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عظيم عرمرم
قال وكان ماهان قد انفذ ثلاثين الفا من عظمائهم فحفروا لهم فى الميمنة حفائر ونزلوا فيها
وشدوا ارجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة فى سلسلة التماسا لحفظ عسكرهم وحلفوا بعيسى
ابن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الاربع ان لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم
فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك ان يكون يوما عظيما
ثم قال اللهم ايد المسلمين بالنصر ثم أقبل الى أبى عبيدة وقال أيها الامير ان القوم قد اقترنوا

في السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك ان يكون على الناس يوما عظيما فقال لهم ان العدو عدده كثير وما ينجيكم الا الصبر ثم قال لخالد فما الذى ترى من الرأى يا أبا سليمان (قال الواقدى) وكان ماهان قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات فى بلادهم وهم مائة ألف فلما نظر خالد انهم شهد لهم بالفروسية وانهم من أهل الشدة وقال لابى عبيدة ان الرأى عندى ان توقف فى مكاننا الذى أنت فيه سعيد بن زيد وتقف أنت من وراء الناس فى مائتين أو ثلثمائة من أصحاب رسول الله فاذا علم الناس انك من ورائهم استحوا من الله ثم منك أن لا يفروا قال فقبل أبو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة فأوقفه أبو عبيدة مكانه ثم انتخب أبو عبيدة مائتى فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد قال حدثنى ورقة بن مهلهل التنوخى وكان صاحب راية أبى عبيدة يوم اليرموك قال وكان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك فى جيش السلاسل غلاما من الازد حدثا كيسا فقال لابى عبيدة أيها الامير انى اردت ان أشفى قلبى واجاهد عدوى وعدو الاسلام وابذل نفسى فى سبيل الله تعالى لعلى ارزق الشهادة فهل تأذن لى فى ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بها قال فبكى أبو عبيدة وقال اقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وأخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال ثم دفع الغلام الازدى جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس اشهب فلما رآه الغلام قصده وهو وقد احتبس نفسه فى سبيل الله تعالى فلما قرب منه قال

لابد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب
لعلى انال من ربى المواهب * فى جنة الفردوس اعلى المراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدأ الغلام الازدى للرومى بطعنة فجندله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدى فغضب الأزد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فتكلفوهم واعلموا ان الله معكم فثبتوا نفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ثم لحظ الى السماء بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيئا وان هؤلاء أعداؤك يكفرون بك وبآياتك ويتخذون لك ولدا اللهم زلزل اقدامهم وارعب قلوبهم وانزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وأمنا عذابك يا من لا تخلف الميعاد اللهم انصرنا عليهم يا من قال فى كتابه العزيز واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا لهم ثباتا حسنا

وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا واصبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين
عن الميمنة فابتدرهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وهو المقدم على زبيد والامير عليهم
وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته فى الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة
وعشرون سنة الا أن همته الشجاعة فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح فى قومه يا آل
زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعداء وتفزعون من شرب كأس الردى أترضون لانفسكم
بالعار والمذلة فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج أما علمتم ان الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين
والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر فى مرضاته وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم
بصبره فأين تهربون من الجنة أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار قال فلما سمعت
زبيد كلام سيدهم عمرو بن معدى كرب تراجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولادها
فاجتمعوا حوله وهم زهاء عن خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت
معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فأزالوا الروم عن اماكنهم وحملت دوس
مع أبى هريرة وهز رايته وهو يحرض قومه على القتال ويقول أيها الناس سارعوا الى
معانقة الحور العين فى جوار رب العالمين وما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن
الا وان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس
كلامه طافوا به وحملوا على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحا
وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على اعقابها
منكشفة كانكشاف الغنم بين ايادى الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على
اعقابها فنادت النساء يا بنات العربيات دونكم والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى
الحرب قالت سعيدة بنت عاصم الخولانى كنت فى جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت
ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المترجلات البازلات ونادت يا نساء
العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على ايديكن واستقبلوهم بالتحريض فأقبلت
النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى قبح الله وجه رجل
يفر عن حليلته وجعلن النساء يقلن لازواجهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هذه الاعلاج
قال العباس بن سهل الساعدى كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية
وكعوب ابنة مالك بن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة ابن ربيعة ولبنة
ابنة جرير الحميرية متحزمات وهن امام النساء والمزاهر معهن وخولة تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات * لها جمال ولها ثبات
تسلمهن الى الهنات * تملك نواصيهن مع البنات
اعلاج سوء فسق عتات * ينلن منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عند
ما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من

المهاجرين

المهاجرين وهي تقول الشعر الذى قالته يوم احد وهو هذا

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق
مشى القطا الموافق * قيدى مع المرافق
ومن أبى نفارق * ان تقلبوا غالق
أوتدبر وانفارق * فراق غير وائق
هل من كريم عاشق * يحمى عن العواتق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى أين تنهزمون والى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له الى أين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ماسلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام فلما سمعت كلام هند لابي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف أبو سفيان عند ماسمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء وقد حملن معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به ومازالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهي تقول هذا بيان نصر الله المسلمين قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضاء الله ورسوله وقاتلت الازد مع أبى هريرة وفشا فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم التقوا الصدمة الاولى بانفسهم واستشهد منهم مالم يستشهد من غيرهم قال سعيد بن زيد كان القتال فى الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة نصبر وساعة نتأخر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم فالوا وكانوا زهاء ستة آلاف فكبر وحمل على الروم فنكى بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى أن ردت الى مواضعها ووقف خالد امامهم يطارد من كان قريبا للمسلمين قال فانكسر الروم امام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد تبينت فى الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند القوم من الجلد والقتال الا ما رأيتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله فوالذى نفس خالد بيده انى لارجو أن يمنحكم الله أكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك قال فامتض خالد سيفه وحمل وحملت أصحابه معه قال عبد الرحمن بن الحميدى الجمحى كنت ممن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولى الغنم بين يدى الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا وأما المسلسلة فما برحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام وهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد امامنا فى حملته ونحن من ورائه وكان شعارنا يا محمد يا منصور أمتك أمتك فلم يزل خالد

فى حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الديرجان وكان قائما فى موضعه الذى أقامه فيه ماهان معه صليب من الجوهر ومعه أصحابه ينتظرون حملته فيحملون معه فلما وصلت خيل خالد الى موضعه قالت له البطارقة أيها الملك أمالك أن تحمل فنحمل معك أو تولى فقد خالطتنا خيل العرب فقال لاصحابه اعلموا ان يوم السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا احضره وقد أحضرنى الملك الى هذا الموقف وأنا كارهه ولكن لفوا وجهى ورأسى فى هذا الثوب حتى لا أرى الحرب قال فلفوا وجهه ورأسه فى ثوب ديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدى المسلمين ووصلوا الى الديرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه ضرار بن الازور فقتله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من حسن صنع الله تعالى بالمسلمين ان جرجير وقناطر اختلفوا وتنازعوا وكان جرجير فى الميمنة مع الارمن وقناطر فى الميسرة تحته فقال جرجير لقناطر احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف فقال قناطر تأمرنى أن أحمل وكيف لا تحمل أنت فقال جرجير اقناطر وكيف لا آمرك وأنا أمير عليك فقال قناطر كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك ولكنى فوقك وأنت مأمور لى بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وخثعم وجزام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا أصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى عسكرهم فاستقبلهم النساء بالعمد يضربن وجوه الخيل ويرمين وجوهها بالحجارة وينادين بهم الى أين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات والاخوات والبنين والبنات أتريدون أن تسلمونا للاعلاج قال منهال الدوسى فلقد كن النساء أشد علينا غلظة من الروم فتراجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وتواصوا بالحق والصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة قال وكان قسامة بن أيشم الكنانى امام المسلمين يضرب فى أعراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاث رماح وهو يقول

سأحمل فى الروم الكلاب النوابح ✽ وأضربهم ضربا بحد الصفائح

وارضى رسول الله خير مؤمل ✽ نبى الهدى للدين اشرف ناصح

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يعيرنى سيفا او رمحا فى سبيل الله وأجره على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر فى الدنيا عز ومكرمة وفى الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فأجابه قوم ونشطوا للقتال قال قسامة بن ايشم الكنانى فما رايت مثل حملة قناطر وقومه ولقد اختلطوا بنا واختلطنا بهم قال ورجع خالد من دهمته ومعه المائتان من اصحابه وقد وضعوا السيوف فى الروم وقتلوهم قتلا ذريعا والقتل لا يبان فيهم لكثرتهم واقبل خالد على الناس من كرته فراى الناس يقولون جزى الله قسامة ابن الايشم خيرا عن الاسلام فشكره وجزاه خيرا قال واقبلت ذرعة ابنة الحارث منحدرة من

على

على التل وهى تقول مافعل خالد مافعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أنت من
العرب الكرام وانما الرجال بأمرائها فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال
معهم فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما كنا الا نقاتل فى الاعلاج فقالت قبح الله وجه
عبد نظر الى أميره ثابتا وهو منهزم عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ونظر ماهان لعنه الله الى
الميمنة من عسكره وقد عركت عراك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج
من الروم وعليه درع سابغ والسلاح كانه قطعة جبل وهو على شهباء عظيمة الخلقة فبرز بين
الصفين وجال على شهبته وسال القتال فخرج اليه غلام من الازد فما جال معه جولة حتى
قتله العلج ثم دعا البراز فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل فقال أبو عبيدة يا معاذ سألتك بحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما ثبت مكانك ولزمت رايتك ولزومك الراية أحب الى من
برازك الى هذا العلج فوقف معاذ بالراية ونادى يا معاشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه
فى سبيل الله فهذا فرسى وسلاحى فجاءه ولده عبد الرحمن فقال أنا يا ابت وكان غلاما حين
احتلم قال فلبس السلاح وركب الجواد وقال يا ابت أنا خارج الى هذا العلج فان صبرت فالمنة
لله على وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فاوصنى
بها فقال له معاذ يا بنى اقرأه منى السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيرا ثم قال يا بنى اخرج
وفقك الله لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كانه شعلة نار وحمل على العلج
وضربه بالسيف فمال عنه العلج ومال اليه وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجه شجة فاضحة
أسال دمه فلما رأى العلج ذلك الدم ظن انه قتل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن
جواده فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ ما بك
يا بنى قال قتلنى العلج قال له ما الذى تريد من الدنيا يا بنى ثم انه شد جرحه قال فعندها صال
العلج وحمل فردته الازد قال أبو عبيدة من له منكم فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسى وكان
من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة فى منامه
فى قتال مسيلمة الكذاب كان امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليه ابنه فأسرع
ليدخل مكانه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر أحد ما تأويلها فقال ابن الطفيل
أما أنا فأعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطفيل قال تأويلها انى أقتل لان المرأة التى
أدخلتنى فرجها هى الارض وابنى سيصيبه جراح ويوشك أن يلتقى بى قال فقاتل يوم اليمامة
وابلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه أذى فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال
العلج وهو كانه شعلة حريق أو صاعقة وطعن البطريق وكانت قناته قد شهدت معه المشاهد
فاندقت بين يديه وأمضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه أخلط أمعاءه فتنكس
العلج صريعا عن جواده وأسرع عامر بن الطفيل فرمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى
راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب ثم قصد المتنصرة فقتل منهم
فارسا ودعا للبراز فخرج اليه جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها

درع من دروع التبابعة وعليه بيضة تلمع كشعاع الشمس وتحته فرس من نسل خيول عاد فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أى الناس أنت قال أنا من دوس قال جبلة انك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتى فانت من أى العرب قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة بن الايهم الغسانى وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير فى الشجاعة فعلمت انك كفؤ فخرجت لاقتلك واحظى عند ماهان وهرقل بقتلك فقال عامر بن الطفيل أما ماذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة وهو مهلك الجبابرة وأما قولك انك تحظى بقتلى عند مخلوق مثلك فانى أريد ان أحظى بجهادى عند رب العالمين بقتلك وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطع من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا فجال جبلة على مصرعه ووقف يعجب بنفسه وبما صنع وطلب البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب ابن عامر بن الطفيل وكانت معه راية ابيه فأقبل الى أبى عبيدة وقال أيها الامير ان أبى قد قتل وأريد ان آخذ بثاره أو اقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ ابو عبيدة الراية ودفعها لرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الايهم وهو ينشد ويقول

سأبذل مهجتى أبدا لانى * أريد العفو من رب كريم
واضرب فى العدا جهدى بسيفى * واقتل كل جبار لئيم
فان الخلد فى الجنات حق * يباح لكل مقدام سليم

قال ودنا من جبلة وقال له اثبت يا قاتل أبى لاقتلك به فقال جبلة ومن أنت من المقتول قال ولده قال جبلة ما الذى حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم قال جندب ان قتل النفس فى سبيل الله محمود عند الله وننال به الدرجة العالية فقال له جبلة انى لا اريد قتلك فقال جندب وكيف ارجع وانا المفجوع بأبى والله لارجعت أو آخذ بثار أبى أو الحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما ابدى من شجاعته فعلم انه شديد البأس صعب المراس فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها فرأت الغلام جندبا وقد ظهر على صاحبهم وقارنه فى الحرب فصاح بعضهم على بعض وقالوا ان هذا الغلام الذى برز الى سيدكم غلام نجيب وان تركتموه ظهر عليه فانجدوه ولاتدعوه فتأهب غسان للحملة ليستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه من شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير أبو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته فى سبيل الله اللهم تقبل له فعله قال جابر بن عبد الله شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاما كان انجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة وبعد ذلك حمل على جبلة وضربه ضربة أوهنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة وتحقق منام أبيه عامر بن الطفيل وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز فصاح به قومه

ارجع

ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه
قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب قال
فعندها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وساعدتها الازد وكانوا احلافهم
وحملوا على غسان ولخم وجزام وتناشدوا الاشعار فصاح أبو عبيدة بالمسلمين وقال أيها الناس
سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ومعانقة الحور العين فى جنات النعيم فما من موطن
أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم
هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع دوس وكان شعارهم يومئذ الجنة الجنة (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) حدثنى موسى بن محمد عن عطاء بن مراد قال سألت رجالا عدة ما كان شعار
المسلمين يوم اليرموك فأخبرت ان شعار أبى عبيدة أمت أمت وشعار عبس يا لعبس وشعار
اليمن من اخلاط الناس يا أنصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح
الفتح وشعار دارم والسكاكس الصبر الصبر وشعار بنى مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت
شعار المسلمين يوم اليرموك قال فلما حملت دوس وتبعها الازد وقصدت الى العرب المتنصرة
وطلبت صليبهم وخرقتهم خرقة صعبة حتى وصلوا الى الصليب فطاب رجل منهم حامل العلم الذى
لغسان فارداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا انهم
كانوا مثل الشامة البيضا فى جلد البعير الاسود ثم كرت غسان تريد أخذ صليبهم فاقتتلوا عنده
قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى هشام بن عمارة
عن أبى الحريرى عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبد الله بن عدى قال شهدت اليرموك
فكان المسلمون خمسة وعشرين ألفا فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث
فان المسلمين كانوا يوم اليرموك احدا واربعين ألفا وقد أديت اليك ما سمعته ممن اثق به من
الرواة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وهذا أثبت الاقاويل لان المسلمين كانوا يوم أجنادين
اثنين وثلاثين ألفا وجاءت الاعداء بعد ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى ابن أبى
غمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس ودوخة المشركين
دوخة عظيمة وحملت المشركون حملة هائلة فانكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض
ابن غنم الاشعرى فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم وأهل الحرب
بالويتهم فابتدر لاخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابقان اليه فأخذه عمرو
ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدى المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك
يوما شديدا انهزمت فيه فرسان من المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد
ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى ان اقبل الليل بسواده
ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير وفى المسلمين قليل الا ان الجراح فيهم ناشبة من
النشاب فلما دخل الليل بسواده رجعت كل فرقة الى اماكنها وباتوا تحت السلاح قال واما
المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وبعد ذلك شدوا الجراح وصلى أبو عبيدة رضى الله عنه

وقال أيها الناس اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه يأتى من عند الله فأضرموا نيرانكم
وتحارسوا وأظهروا التهليل والتكبير وقام ابو عبيدة يمشى فى الناس هو وخالد بن الوليد
يتفقدون الجرحى وهم يقولون ايها الناس ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا
يرجون وباتوا طول ليلهم كله وهم طائفون على المسلمين الى ان أصبح الصباح قال وانحازت
الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمنى فجمع بطارقته ووبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت
ان هذا يكون منكم وقد رأيت فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف
قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبارزهم فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا شيأ وغدا نصدقهم
الحرب فتكون لنا العاقبة قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم ان يتأهبوا لذلك وبات الفريقان
يتحارسون وقد رعبت الروم من كثرة القتلى فيهم وأما المسلمون فانهم أقوى قلوبا بالشدة دينهم
ويقينهم قال فلما أصبح الصباح وصلى بهم ابو عبيدة صلاة الخوف واذا بالصلبان قد بدت
وبرايات القوم قد طلعت فى عدد الشوك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا فى مصافهم
ونصب ماهان سريره على الكثيب الذى كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر
فأمرهم أن يعبوا مصافهم فلما نظر امير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل أمير برجاله وحرضهم
على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير
الى مكانه وهو يعظ اصحابه ويوصيهم ويعدهم من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف
وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذرارى والنساء
والاموال والاولاد عمر بن سعيد بن عبد الله الانصارى وجعل من الرماة خمسمائة فى الميمنة
وخمسمائة فى الميسرة وخمسمائة فى القلب وطاف أبو عبيدة عليهم وقال لهم معاشر الرماة الزموا
مراكزكم فان رأيتم القوم زحفوا الينا فارشقوهم بالنبال واذكروا الله عند رميكم ولا تتركوها
مفرقة ولتخرج سهامكم كأنها من كبد قوس واحد فان هم زحفوا اليكم فاثبتوا مكانكم
حتى يأتيكم أمرى ففعلوا ما أمرهم به الامير وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية فى يده وحوله
أصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد فقال يا بنى ان أحسنت أحسن الله اليك وعليك
بتقوى الله والصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم واياك
والجزع فما قضاه ربنا قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبر أولى العزم واياك ثم اياك أن يراك
الله منهزما فتبوء بغضب من الله قال يزيد سأصبر جهدى وطاقتى والله أسأله ان يكون معينا لى
وناصرا ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية وندبهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا
قتالا عظيما ولم يزالوا حتى انكوا العدو نكاية عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب
القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليهم بطريق من البطارقة وبيده رمح وعليه صليب من الذهب
وحوله زهاء عن عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيها عمرو بن العاص
ومن معه فرجعوا على اعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم فى أوائل عسكر المسلمين مما يلى
عمرا ومن معه وهم يتراجعون على الرجال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت عليهم

الروم فكشفوهم حتى الصقوهم بالتل الذى عليه النساء وأحاطوا بالتل فصاحت امرأة أين أنصار الدين أين حماة المسلمين وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت ابى بكر الصدّيق يداوى عينه وكان أرمد فلما سمع صوت المرأة وهى تنادى أين انصار الدين قال يا أسماء ما لهذه المرأة تصيح أين انصار الدين فقالت له عفرة ابنة عثمان يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزمت ميمنة المسلمين حتى ألجأهم الروم الينا وأحاط بنا الاعلاج وهذه نساء الانصار مستصرخة بأنصار الدين فقال الزبير والله انى أنا من أنصار الدين ولا يرانى الله جالسا فى مثل هذا الوقت قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده فأخذ قناته وتسمى باسمه وقال فى حملته أنا الزبير بن العوام أنا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على اعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها قال ليث ابن جابر فلله در الزبير بن العوام لقد ردّ الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب غيره حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادى الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر وتراجعوا بعد ادبارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وحمل جريرالارمنى فى ثلاثين ألفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم فى عصبة من قومه دون الخمسمائة فجعل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول يا أهل الاسلام لا فرار من الموت الصبر الصبر قال فتراجع أصحابه اليه وحملوا على الارمن فردوهم على أعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى أصابوا من الارمن ما لم يصبه الارمن منهم فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به اصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذى أصابكم حتى انهزمتم أمام هؤلاء الكفرة وأنتم الحماة البررة واهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وأنتم تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا التماسا للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور أمت أمت وكان هذا شعارهم يوم بدر وأحد وحمل خالد بن الوليد بمن معه من ذات اليمين وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك نزل من على سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى لا اله الا الله يا منصور أمت أمت فأقبلوا يقتلون

فى الروم قتلاذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله
اقرب أيها الناس الثبات الثبات قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ فاذا هو أبو سفيان وتحت
راية ابنه يزيد قال وشدت الامراء باجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن فى الروم
أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا فى اماكنهم يمنعون من أتاهم وأما الرماة وهم مائة ألف
رام فكانوا اذا رشقوا بسهامهم نحو العرب يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله
لكان المسلمون هلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك أكثرهم
وطلع علج من أعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى رأسه بيضاء مذهبة
وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح
فجال واشهر نفسه وسأل البراز فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون
اليه فقال أبو عبيدة لايهولنكم ماترون من عظم خلقته فكم رأيتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له
فمن له منكم يخرج اليه واستعينوا بالله عليه قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده
سيفه وجحفته وهو راجل فلما أراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذوالكلاع الحميرى فلما
رجع خرج اليه ذوالكلاع وجال عليه وكان ذوالكلاع من أهل الشدة والبأس فتواقعا
كل منهما رامح فتطاعنا طعنا شديدا أشد من الجمر ثم انهما تجاذبا سيوفهما والتقيا فضرب
ذوالكلاع العلج ضربة وضرب العلج ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه
درقة ذى الكلاع وسيفه ودرعه وماتحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر
فجرحته جرحا بليغا وثقلت يده فلما انظر ذوالكلاع الى مالحقه من العلج عطف بجواده يريد
المسلمين ونظر العلج الى ذى الكلاع قد انعطف راجعا فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس
ذى الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فأتى قومه والدم يفور من جرحه فاجتمع فرسان
قومه فقال لهم يافرسان حميرايا كم أن تتكلوا فى قتالكم على السلاح ومنعته ولكن
اتكلوا فى قتالكم على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك أيها السيد قال لانى رددت عبدى عن
القتال شفقة عليه اذ ليس معه لامة حرب وقلت انى أفرس منه وأجود عدة ولامة فصنع بى
هذا الاغلف ماترون والله مالحقنى قبلها فى حرب مثلها قط فشدوا جرحه ووقف مكانه ثم انه
صاح بقومه يارجال حميران كان سيدكم قد رجع كالا فامنكم من يأخذ بثاره فانتدب فارس
من فرسان حمير وعليه صبائغ اليمن من الابراد والحبر كأنه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال
جولة عظيمة وطعنه طعنة اثبتها فى صدره فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار فهم الحميرى
أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم فكشفوه عنه فردهم
الحميرى صاغرين ثم رجع اليه وأخذ سلبه وأقبل به على أبى عبيدة فأعطاه اياه فدفع السلب
الى قومه ورجع الى مقامه فى القتال فخرج اليه آخر فقتله وآخر فقتله وخرج اليه علج رابع فقتل
الحميرى ونزل ليأخذ سلب الحميرى فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها فى لبته فجدله
صريعا وعجل الله بروحه الى النار قال فصلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين وكان

ذلك البطريق الذى قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب نابلس فه ساح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه مريوس وعليه لامة الملوك وعليه ديباجة وفى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين واشهر نفسه وقال انا ملك اللان فلا يبرز لى الا أميركم فخرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده لواؤه وعليه درع من حديد وهو متنطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده فقال أبو عبيدة من هذا الذى خرج قالوا له شرحبيل بن حسنة فبعث اليه أبو عبيدة يقول له ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها مكانى فان قدرعلى سلم الراية الى الامير أبى عبيدة يدفعها لمن يريد وان رجعت أخذتها فأخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ملك اللان وهو يقول

سأحمل فى اللئام بنى الاعادى ❁ بكل مشفق لدن حدادى
فيا بؤسا لقيصر يوم نأتى ❁ وجمع الروم شرد فى البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال له يا عربى ما الذى تقول قال أقول كلاما تقوله العرب عند الحرب تشجع به نفوسها وتثق بوعد الله الذى وعد به نبينا فقال ملك اللان وما الذى وعدكم به نبيكم فقال شرحبيل وعدنا الله أن يفتح لنا الارض فى الطول والعرض ونملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من يبغى وأنتم تبغون علينا وتطلبون ما ليس لكم بحق فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله أن نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وانى أراك تعرف كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت فى دين الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك اللان ما أترك دين المسيح أبدا فان دينه حق فقال شرحبيل لا تقل انه اله معبود ولا تقل صلب وقتل فان الله سبحانه وتعالى أحياه فى الارض ما يشاء ثم قال ملك اللان لن أرجع عن قولى ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينه وأقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله فقال له يا ويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم جال عليه وأخذا فى القتال وجالا جولانا عظيما فرقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة الكافر فانطرد بين يديه كأنه منهزم فتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل انه قد قاربه قلب عنان جواده فطعنه بقناته يريد أن يجعلها فى نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجى منها سالما ثم قال معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر فقال شرحبيل ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها فقال العلج فما الذى نفعك من حيلتك قال وتضاربا حتى انقطع السيفان فى أيديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام قال فضغط عليه المشرك ضغطة أرجفه بها وهم أن يقتله فى سرجه والفريقان

ينظران اليهما قال ضرار بن الازور فداخلني والله الغيظ فقلت في نفسي ويحك يا ضرار يقتل
هذا العلج كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر اليه فما يمنعك من نصرته
(قال الواقدي رحمه الله تعالى) فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظماء الخمصاء
حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان في يده خنجر فضرب به العلج من ورائه أطلع الخنجر
من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال فلما سقط العلج عن ظهر جواده
نزل اليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو
وشرحبيل نحو المسلمين فهنأ المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله قال ثم ان شرحبيل
أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه فقال السلب لي وأنا قتلته فقال شرحبيل أنا آخذ السلب
فاتيا أبا عبيدة فخاف أبو عبيدة أن يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه فكتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول يا أمير المؤمنين ان رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من الاعلاج وبلغ معه
الجهد الى جهد جهيد فخرج آخر من المسلمين فاعان الرجل وقتل العلج قال ولم يسم أبو عبيدة
الرجلين فالسلب لمن هو فجاء الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فأخذ السلب
أبو عبيدة من شرحبيل وأعطاه الى ضرار فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (قال الواقدي
رحمه الله تعالى) و رضي الله عنه ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم فخرج فارس شجاع
وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فقتله وأخذ سلبه وخرج اليه ثان
وثالث ورابع فقتلهم وأخذ أسلابهم فقال خالد لابي عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل
نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى
مقامه قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد
وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر ألفا قال
فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذان منا قد قتلوا في يوم واحد واني أظن ان المسيح لا ينصرنا
ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم وأطلقوها نحو المسلمين دفعة واحدة مائة
ألف سهم فكان النشاب يقع في عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح في
الناس واعور من المسلمين سبعمائة عين فسمي يوم التعوير ذلك اليوم وكان ممن أصيب بعينه
المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمي وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن
سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل فيقول له ما الذي أصاب عينك فيقول الآخر لا تقل
مصيبة بل هي محنة من الله قال وعظم وقع السهام في عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من
يصيح واعيناه وابصراه واحدقتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك قال فجذبت العرب أعنة
خيولها راجعة قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم
وصاح برجاله وزحفت المسلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وفورين
وقال ماهان انثنوا على الحملة وارموا العرب بالنشاب فزادت الرماة في رميها وزحفت المسلسلة
بحديدها والبوارق تلمع من أكف الرجال كقبائس النيران والحرب قائمة على ساق وأخذ

المسلمون

المسلمون على أنفسهم اشفاقا مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق قال عبادة بن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم أنزل علينا نصرك الذى نصرتنا به فى المواطن كلها ثم صحت فى رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ماهذا الفرار أما تخافون العار أما أنتم بين يدى الجبار أما هو عالم الاسرار أفررتم من الكفار قال فما أجابنى والله أحد كأنهم صم لا يسمعون قال فقلت كان قبيلتك صمت عن الجواب فجعلت أهتف بقبائل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتى فجعلت أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله وذلك ان المسلمين قد انقلبوا راجعين نحو تل النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الاسدى شهدت القتال كله فلم أر قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى كان ابو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمسيب بن نجيبة الغزارى وعبد الرحمن بن ابى بكر الصدّيق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت فى نفسى وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتى شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فيداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قد انضم النساء المهاجرات لغيرهن وقامت الحرب على ساق وتنادى النساء بانسابهن وأمهاتهنّ والقابهنّ وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعلت النساء بعضهنّ يقاتلن المشركين وبعضهنّ يقاتلن المسلمين حتى رجعوا الى قتال المشركين وبعضهنّ يسقين الماء وبعضهنّ يشددا الجراح قال فبينما هنّ يقاتلن وقد هجمت الرجال حتى انهزمت نساء لخم وجزام وخولان فخرجت خولة بنت الازور وأم حكيم ابنة حكيم بنت الحارث وسلمى بنت لؤى وجعلن يضربن فى وجوههنّ ورؤسهنّ بالعمد ويقلن أخرجن من بيننا فأنتن توهن جمعنا قال فرجعت نسا لخم وجزام يقاتلن قتال الموت وقاتلت أم حكيم بنت الحارث أمام الخيل بالسيف وما تسمع يومئذ صوت واحدة من النساء غير صوت واعظة تعظ وأما أم حكيم فانها جعلت تنادى يامعاشر العرب احصدوا الغلف بالسيوف وأما أسماء بنت أبى بكر فانها قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كان يضرب ضربة الا ضربت مثلها قال فتراجع المسلمون الى القتال حين رأوا النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن مليه ان لم نقاتل نحن هؤلاء والا فنحن أحق بالخدور من النساء فلله در نساء قريش يوم اليرموك

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الرحمن بن افضل عن يزيد بن أبى سفيان عن

مكحول قال كانت وقعة اليرموك فى رجب سنة خمسة عشر من الهجرة قال ابو عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمل علينا فاستقبلته وجعلت تشالشه بالسيف فضربها العلج بسيفه على قصتها أسال دمها وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت فجع والله ضرار فى أخته فأخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت أنا بخير ان شاء الله تعالى ولكنى هالكة لا محالة فهل لك علم باخى ضرار قالت عفيرة يا ابنة الازور ما رأيته فقالت خولة اللهم اجعلنى فداء أخى ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت أن تقوم معى فلم تقم فحملناها الى أن اتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها وهى تدور تسقى الرجال وكأن ما بها ألم قط ونظر اليها أخوها والضربة فى رأسها فقال لها ما بك فقالت ضربنى علج قتلته عفيرة فقال لها يا اختاه ابشرى بالجنة فقد أخذت لك بثار الضربة مرارا وقتلت منهم اعدادا قال ولم يزل الحرب من أول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامها وأبو عبيدة يقاتل برايته والامراء يفعلون كفعله الى ان فصل بينهما الظلام وقد قتل من الروم يوم التعوير أربعون ألفا ويزيدون ونقل عن خالد انه انقطع فى يده ذلك اليوم تسعة اسياف ولقد اخبرنا عن خالد بن الوليد ممن حضر قتال يوم اليرموك وشاهده قال كان بعدّ قتال خالد بمائة رجل من شجعان الرجال قال حازم بن معن وبرز من المشركين فى قلب الوقعة اصحاب الديباج والحرير والتجانيق على الخيول الشهب والبلق كأنها من الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا فى القلب وكروا كرة واحدة ورفعوا فى وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم على ميمنتنا فستروناً بين أيديهم كأننا نعام فى الفلاة او حمر مستنفرة فنظر أبو عبيدة الى المسلمين وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعل يصيح بهم الله الله لا تعموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم قال كان بين يدى ابى عبيدة رجل من محرز اسمه نجم بن مفرح وكان من خطباء العصر وافصح العرب لسانا وأجراها جنانا وكان رفيع الصوت حسنه جدا فخطب فقصده العرب والفصحاء يسمعون ما ينطق به من نظمه ونثره (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدّثنى عبد الملك بن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عوف عن موسى ابن عمران اليشكرى قال رأيت نصر بن مازن وهو بجامع النيل يحدث عن وقعة اليرموك قال ما رد الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله والى نصرة الاسلام الا غلام رجل من بنى محارب يقال له نجم بن مفرح وكان لا يتكلم الا بالسجع يؤلفه بحسن نظمه وقد حفظنا منه يوم اليرموك ما نحن نذكره عنه ولقد بلغنى أن البلغاء الفصحاء المتأخرين مثل الاصمعى وابى عبيدة اللغوى ينسجان على منواله فى حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به المسلمين يوم اليرموك وقت هزيمتهم ايها الناس هذا يوم ما بعده وقد عاينتم قربه من بعده ولن تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره وتالله لا ينال الامر هو الجهاد كاره وينشد

وللّه فى عرض السموات جنة ❀ ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلى الدرجات درجة الشهاده فارضوا عالم الغيب والشهاده وهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق فى أسواقه وأخفى نفاته فى انفاقه وأنتم أصحاب بنى العصر فايستم من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفاء نياتكم وإياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا عذاب النار بغضب الجبار فوالذى قدر الاقدار وأدار الفلك الدوار وكل شئ عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور العين بأيديهم أباريق وكأس من معين فمن طلب دار البقا هان عليه ما يلقى فحققوا حملاتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنه تنالوا الجنه واغتنموا الصبر يكتب لكم الاجر بشروا المؤمنين بحسن عملكم وإياكم أن تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار فى جهنم واعدلوا عن طريق قولهم ووافقوا من سلف من أسلافكم فى فعلهم واسمعوا ما نزل فى القرآن من أجلكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المقربون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يقرع الروم باسمه ويقول أنا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فأقبل يدعو خالدا ويطمطم وخالد فى القتال لا يشعر به ولا يدرى ما يقول فعندما سمعه يطمطم عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينماهما فى أشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخالد يقول حى حى فعلا البطريق على ظهر خالد فى عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح القلنسوتى رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بنى مخزوم وناوله اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت فى مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتى فقال خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فى حجة الوداع أخذت من شعره شعرات فقال لى ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت أتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على القتال قتال أعدائى فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها فى مقدمة قلنسوتى فلم ألق جمعا قط الا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه فأخرج السيف من علائقه وانكسر من بقى من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم الى البراز فلا يخرج اليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحارث بن هشام المخزومى فقال لابى عبيدة أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وادى السيف حقه فلو أمرته أن يريح نفسه قال فمشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه ان لا يتقدم ويسأله أن يريح نفسه فقال خالد أيها الامير أما والله لاطلبن الشهادة بكل

وجه فان أخطأتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك أن كل المسلمين استعفوه في حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء أمام الرجال ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد قتل منهم الوف عديدة وأما أصحاب السلاسل فانحطم أكثرهم . وطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس بغروبها وانفصل الجمعان وقد جرت الدماء بينهم وانفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية في الجمعين الا أن في الروم أكثر ورجع كل قوم الى صلاح شأنهم ومداواة جراحاتهم واما النساء فأصلحن الطعام وشدّوا الجروح وداووا السقام ولم يقل ابو عبيدة لاحد من المسلمين من يكن الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل انه تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين قال فبينما هو يدور اذ راى فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب ابو عبيدة منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته اسماء بنت ابي بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي اخرجكما قال الزبير نحرس المسلمين وذلك ان اسماء قالت لي يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين مشتغلون بأنفسهم في هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب في الجهاد بطول يومهم فهل لك ان تساعدني على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك فشكرهما أبو عبيدة وعزم عليهما ان يرجعا فلم يفعلا ولم يزالا كذلك الى الصباح (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني ابو عبيدة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير ان ابا الجعيد كان رئيسا من رؤساء اهل حمص فلما اجتمعت الروم على المسلمين في اليرموك ودخلوا على حمص ونزلوا في بلد تسمى الزراعة وكان ابو الجعيد هذا قد جعلها مسكنه لطيب هواها ومائها وانتقل من حمص اليها فنزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لابي الجعيد وزوجته تزف عليه في تلك الليلة قال فتكلف ابو الجعيد بضيافة الروم واكرمهم وأطعمهم وسقاهم الخمر فلما فرغ من امورهم قالوا هات امراتك الينا فأبى عن ذلك وسبهم فأبوا الا اخذ العروس فلما شنع عليهم بذلك عمدوا الى العروس واخذوها غصبا عليه وعبثوا بها بقية ليلتهم فبكى ابو الجعيد من قهره ودعا عليهم فقتلوا اولاده وكان له ولد من زوجة غيرها قال فأقبلت ام الفتى فأخذت راس ولدها في خمارها واقبلت به الى مقدم ذلك الجيش ورمت الراس اليه وشكت حالها وقالت له انظر ما صنع اصحابك لولدي فخذ بحقي فلم يعبأ بكلامها فقالت له ام الفتى والله لتنصرن العرب عليكم ورجعت وهي تدعو عليه فما كان الا يسير حتى هلكوا في ايدي المسلمين قال فلما كان يوم اليرموك بعدما قتل النسطوراتي ابو الجعيد الى عساكر المسلمين وقال لخالد اعلم ان هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا انفسهم اليكم للقتل لما فرغتم من قتلهم الا في المدة الطويلة فان كدتهم لكم في هذه الليلة بمكيدة تظفرون بها عليهم ماذا تعطوني قالوا نعطيك كذا وكذا ولا تؤدي جزية انت وولدك واهل بيتك ونكتب لك بذلك عهدا الى آخر عقبكم (قال الواقدي رحمه الله تعالى)

فلما

فلما استوثق منهم لنفسه مضى الى الروم وهم لا يعلمون واتى الى واد عظيم مملوء ماء فأنزل الروم الى جانبه وقال لهم ان هذا المنزل لا ينزل به العرب وأنا أكيد لكم العرب بمكيدة يهلكون بها قال وجعل الناقوصة فيما بين الروم والعرب ولم يعلم أحد من الروم ما عمقها قال فلما كان يوم التعوير وعلم ابو الجعيد أن النصر للعرب وأن العرب هم المنصورون جاء أبو الجعيد الى أبى عبيدة فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين فقال لهم ما قعود كم قالوا وما نصنع قال اذا كانت ليلة غد اكثروا من النيران ثم رجع الى الروم لينصب عليهم حيلة فلما كانت الليلة الثانية أوقد المسلمون أكثر من عشرة آلاف نار فلما اشتعلت النيران أقبل اليهم ابو الجعيد ثقة الواقدى اشعلنا النيران كما أردت فما بعد ذلك قال اريد منكم خمسمائة رجل من ابطالكم حتى اشير عليهم بما يصنعون (قال الواقدى) فاختار من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار بن الازور وعياض ورافع وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس وعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن أبى بكر وغانم بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات فلما اجتمعوا سار بهم أبو الجعيد على غير الجادة وقصد بهم عسكر الروم فلما كادوا يخالطونهم اخذ أبو الجعيد منهم رجالا ودلهم على المخاضة ولم يكن يعلم بها احد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعونى واياهم ففعلوا ذلك وصاحوا فيهم وحملوا ثم انهزموا قدامهم نحو المخاضة فعند ذلك صاح أبو الجعيد برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد أوقدوا نيرانهم وعولوا على الهرب قال فأقبلت الروم على حال عجلة يظنون أن ذلك حق فبعضهم ركب جواده عريانا وبعضهم راجلا وساروا فى طلب المنهزمين وأبو الجعيد يعدو بين أيديهم الى أن أوقفهم على الناقوصة وقال لهم هذه المخاضة دونكم واياهم فأقبلوا يتساقطون فى الماء كتساقط الجراد حتى هلك فى الماء ما لا يعد ولا يحصى عددا ولا يدركه جنان فسمتها العرب الناقوصة لنقص الروم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول بما جرى للآخر حتى أصبحوا فنظروا المسلمين فى أماكنهم فعلموا أنهم قد دهموا فى الليل وقل عددهم وتبدد شملهم فقال بعضهم لبعض من كان الصائح فى ليلتنا قال الرجل الذى عبثتم بزوجته وقتلتم ولده وقد أخذ بثاره منكم قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم ما نزل بأصحابه علم أنه هالك لا محالة وأن العرب ظافرون عليه فبعث الى قورين فقال ما ترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وان حملوا علينا حملة لم ينفلت منا أحد فهل لك أن تسألهم ان يؤخروا القتال حتى نفعل الحيلة فى خلاص انفسنا فقال قورين افعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم اعلموا ان الحرب سجال والدنيا زوال وقد ظفرتم بنا فلا تبغوا فالبغى له مصرع واخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان غد يكون الانفصال بيننا وبينكم قال فأقبل اللخمى الى ابى عبيدة و بلغه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فمنعه خالد من ذلك وقال له لا تفعل ايها الامير فما عند القوم خير بعد ذلك فقال ابو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له لا نؤخر عنك

القتال واناعلى عجل من امرنا فرجع الرسول الى ماهان فأعلمه بجواب ابى عبيدة فعظم عليه وكبرلديه وكفروتجبر وقال لقد كنت اتربص بنفسى عن العرب بارجو بذلك الصلح فوحق الصليب لايبرزلهم غيرى ثم صرخ بالروم واصحاب سريرالملك ومن كان يتكل عليه فى الشدائد وامرهم ان يأخذوا الاهبة فاستعدّوا وخرج ماهان فى مقدّم الجيش والصليب امامه واذا بالمسلمين اخذوا مصافهم للقتال وذلك ان اباعبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وامرهم بالسرعة للقتال واخذ مواضعهم للحرب ففعلوا وقد ايقنوا انهم منصورون على عدوهم وصف ابوعبيدة اصحاب الرايات ووقف هو وخالد فى الخيل المعروفة بخيل الزحف وطلعت الشمس وخرج جرجيرهو وبعض ملوك الروم ودعا البراز وقال لايبرزلى الاامير العرب فسمعه ابوعبيدة فسلم الراية الى خالد وقال انت للراية يااباسليمان فان عدت من قتاله فالراية لى وان هو قتلنى فامسك رايتك حتى يرى عمر رايه فقال خالد انا القتاله دونك فقال ابوعبيدة لاهوطلبنى ولابدّلى من الخروج اليه وانت شريكى فى الاجر فخرج ابوعبيدة وما احد من المسلمين الاوهو كاره لذلك فأقبلوا يسألونه فلج فى الخروج فتركوه ورأيه فلما قرب ابوعبيدة من جرجير وعاينه قال له انت امير هذا الجيش فقال ابوعبيدة انا ذلك وقد اجبتك الى ماطلبت من امر البراز فدونك وعرصة الميدان فاماهزمتكم اوقتلتك واقتل ماهان بعدك فقال جرجير امة الصليب تغلبكم وحمل جرجير على ابى عبيدة وحمل ابوعبيدة على جرير وطال بينهما القتال وبقى خالد ينظر الى ابى عبيدة ويدعوله بالسلامة والنصر وجميع المسلمين يدعون له قال وانطرد جرجير امام ابى عبيدة واخذ فى اعراض الجيش وطاب فى انطراده جيش المشركين فى الميمنة وتبعه ابوعبيدة على اثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كانه البرق والتقيا بضربتين فكان ابوعبيدة اسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير خرجت من علائقه فكبر عند ذلك ابوعبيدة وكبر المسلمون ووقف ابوعبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيأ فنادى به خالد لله درك ايها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت مايجب عليك فلم يرجع ابوعبيدة فأقسم عليه المسلمون ان يرجع فرجع واخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبرلديه لانه كان ركنا من اركانهم فهم بالهزيمة ثم قال فى نفسه ماذا يكون عذرى عند هرقل ولابدّ ان ابرز الى الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت كان لى عند الملك عذر احسن ما ولى الادبار ثم انه اعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه واخذ عدته ولبس زينته وخرج كأنه جبل ذهب يلمع ثم جمع اليه البطارقة والقسس والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان اعلم منكم بهذا الامر وانه اراد الصلح فخالفتموه فهاانا برز اليهم بنفسى فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع مافرض عليه فى الانجيل وكان يقرب من جرجير فى النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لابرزن الى المسلمين وآخذ بالثار فامان الحق به

واما

واما ان أقتل قاتله ثم قال لماهان قد ثمن على الجهاد وأنا اؤدى فرض المسيح ولا بد لى
من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع
ثوب حديد متقلد بسيفه ومعه قنطارية وعوذته الاقسة وبخروه ببخور الكنائس واقبل
اليه راهب عمورية واعطاه صليبا كان فى عنقه وقال هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه
الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فأخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربى فصيح حتى
ظن الناس انه عربى من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة نار فلما قاربه
ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التى أثقلته فقال فى نفسه وما عسى يغنى
هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع موليا فظن الناس انه ولى فزعا فقال قائل منهم ان
ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط انه انهزم وهو لا يكلم أحدا حتى سار الى خيمته
ونزع ثيابه وبقى بالسراويل وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد الى الميدان كأنه الظبية
الخمصاء فوجد مالكا النخعى قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الخطاطا اذا ركب
الجواد تسحب رجلاه على الارض فنظر ضرار فاذا بمالك ينادى بالعلج تقدم يا عدو الله
يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه
قال فجال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد فقصد جواده
وطعنه فى خاصرته اطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم
مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك فى ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر أن يتحرك
لانه مزرر فى ظهر الجواد بزنانير الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد أسرع اليه مثل الظبية
حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه فأتاه مالك وقال
ماهذا يا ضرار تشاركنى فى صيدى فقال ما انا بشريكك وانما أنا صاحب السلب وهو لى
فقال مالك أنا قتلت جواده فقال ضرار رب ساع لقاعد أكل غير حامل فتبسم مالك وقال خذ
صيدك هنأك الله به قال ضرار انما أنا مازح فى كلامى خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيئا
وهو لك وأنت أحق به منى ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن يمشى به وهو
يتصبب عرقا قال زهير بن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى
طرحه فى رحل مالك فقال أبو عبيدة بأبى وأمى والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا
قال فلما قتل البطريق انقص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا
يا اصحاب الملك وبلغوه عنى انى ما تركت جهدى فى نصرة هذا الدين وحاميت عن
الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر أغالب رب السماء لانه قد نصر العرب علينا وملكهم
بلادنا والآن مالى وجه ارجع به الى الملك حتى أخرج الى الحرب وأبرز الى مقام الطعن و
الضرب وعزمت ان أسلم الصليب الى أحدكم وابرز الى قتال المسلمين فان قتلت فقد
استرحت من العار ومن توبيخ الملك لى وان رزقت النصر وأثرت فى المسلمين اثرا ورجعت
سالما علم الملك انى لم أقصر عن نصرته فقالوا أيها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن

الى القتال قبلك فاذا قتلنا افعل بعدنا ماشئت قال فحلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز
أحد قبله قال فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته ثم انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال
قف مكانى وقدم لماهان عدته فأفرغها عليه (قال الواقدى) وبلغنا ان عدته التى خرج
بها الى الحرب تقومت بستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعا بالجوهر فلما عزم على الخروج
تقدم له راهب من الرهبان فقال أيها الملك ماترى لك الى البراز سبيلا ولا احبه لك قال ولم ذلك
قال لانى رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست أفعل والقتل أحب الى
من العار قال فبخروه ودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق
واقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه فكان أول من عرفه خالد بن الوليد
فقال هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج والله ماعندهم شئ من الخير قال وماهان
يرعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله أنا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده
عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال أبو هريرة
رضى الله عنه فنظرت الى الغلام عندما سقط وهو يشير بأصبعه نحو السماء ولم يهله ماالحقه
فعلمت ان ذلك فرح لما عاين الحور العين قال فجال ماهان على مصرعه وقرى قلبه ودعا الى
البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدى وكان أول من برز مالكا
النخعى الاشتر رضى الله عنه وساواه فى الميدان فابتدر مالك لماهان بالكلام وقال له أيها
العلج الاغلف لا تغتر بمن قتلته وانما صاحبنا اشتاق الى لقاء ربه ومامنا الا وهو مشتاق الى
الجنة فان أردت مجاورتنا فى جنات النعيم فانطلق بكلمة الشهادة أو اداء الجزية والا فأنت
هالك لا محالة فقال له ماهان أنت صاحبى خالد بن الوليد قال لا أنا مالك النخعى صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد لى من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل
الشجاعة فاعتمدوا على القتال فأخرج ماهان عاموده وضرب به مالكا على البيضة التى
على راسه فغاصت فى جبهة مالك فشترت عينيه فى ذلك اليوم سمى بالاشتر قال فلما رأى مالك
مانزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم ان الله
ناصره قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن انه قتل مالكا وهو ينظره متى يقع من ظهر فرسه
ناو اذا بمالك قد حمل واخذته اصوات المسلمين يامالك استعن بالله يعينك على قرينك قال
مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفى فيه قطعا
غير موهن فعلمت ان الاجل حصين فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل فى عسكره (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) ولما ولى ماهان بين يدى مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين
يااهل النصر والبأس احملوا على القوم ماداموا فى دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه
وحملت كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر
حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت الروم منهزمين بين أيديهم وتبعهم المسلمون
يأسرون ويقتلون كيف شاؤا فقتلوا منهم زهاء مائة الف واسروا امثالها وغرق فى الناقوصة

منهم مثلها وأمم لا تحصى وتفرق منهم فى الجبال والاودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون ويأتون من الجبال بالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان راق الليل فقال أبو عبيدة اتركوهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلأت ايديهم من الغنائم والسرادقات وآنية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس (قال الواقدى) ووكل أبو عبيدة رجالا من المسلمين بجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى أصبحوا فاذا ليس للروم خبر ووقع أكثرهم فى الناقوصة فى الليل قال عامر بن ياسر حدثنى نوفل بن عدى عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد قال أراد أبو عبيدة يحصى عدد المشركين فلم يقدر أن يحصى ذلك فأمر بقطع القصب من الوادى وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فاذا القتلى مائة ألف وخمسة آلاف والاسارى اربعون ألفا غير ما غرق فى الناقوصة وقتل من المسلمين اربعة آلاف ووجد أبو عبيدة رؤسا فى اليرموك فلم يعلم هم من العرب أم من الروم قال ثم انه صلى على قتلى المسلمين وسار فى طلبهم الى الجبال والاودية واذا هم براع قد استقبلهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم قال نعم مر بى بطريق ومعه زهاء عن اربعين ألفا (قال الواقدى) وكان ذلك ماهان لعنه الله تعالى فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو اثرهم ومعه عسكر الزحف فأدركهم على دمشق ولما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقيل انه ترجل ينكر نفسه ويسلم من القتل فأتاه رجل من المسلمين فحامى عن نفسه فقتله الرجل وكان قاتله النعمان بن جهلة الازدى وعاصم بن خوال اليربوعى وقد اختلفوا فى أيهما قتل ماهان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخرج أهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذى كان بيننا وبينكم قال خالد أنتم على عهدكم ومضى فى طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب وأقام تحتها يوما ثم مضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أبا عبيدة فسار حتى لحق به فى من معه قال والامراء فى طلب الروم من كل جهة من الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع أبو عبيدة الغنائم واخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتاب البشارة والفتح بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من أبى عبيدة عامر ابن الجراح أما بعد فأنا احمد الله الذى لا اله الا هو واشكره على ما اولانا من النعم وخصنا به من كرمه ببركات نبى الرحمة وشفيع الامة صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انى نزلت اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون اكثر جمعا منه فأقصى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء عن مائة ألف وخمسة آلاف وأسرنا منهم اربعين ألفا واستشهد من المسلمين اربعة آلاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت فى المعركة رؤسا مقطوعة لم اعرفها فصليت عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن خوال وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجل منهم يقال له أبو الجعيد من أهل حمص حيلة فألقاهم فى موضع يقال له الناقوصة فغرق منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى وأما من

قتل من المشركين فى الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم وأخذت عدتهم فتسعون ألفا
وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا
فى دمشق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه ودعا
بحذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا
بكتاب الفتح والبشرة الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله فأخذ حذيفة الكتاب
وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) قال عبد الله بن عوف المالكى عن أبيه قال لما هزم الله الروم
فى اليرموك وكان من أمرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا فى الروضة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان عمر يسلم عليهما ويقول
يارسول الله ان قلبى مشغول على المسلمين وما صنع الله بهم وقد بلغنى ان الروم فى ألف ألف
وستين ألفا فقال يا عمر ابشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقتل كذا
وكذا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
فى الارض ولا فسادا الآية قال فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر واعلم
الناس بما رأى فى منامه قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بالنبى
صلى الله عليه وسلم وأرخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فسجد
عمر لله شكرا ووصله الكتاب فقرأه عمر على الناس وارتفعت اصوات المسلمين بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم قال يا حذيفة هل قسم أبو عبيدة الغنائم فقال
يا امير المؤمنين هو منتظر كتابك وامرك فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى أبى
عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله
بالشام سلام عليك فأنا احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وقد فرحت بما فتح الله به على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم فاذا وصل
اليك كتابى هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل اهل السبق واعط كل ذى حق
حقه واحفظ بالمسلمين واكلاهم واشكرهم على صبرهم وفعالهم واقم بموضعك حتى
يأتيك امرى والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب
وسلمه لحذيفة بن اليمان فأخذه حذيفة وسار حتى ورد على أبى عبيدة فوجده على دمشق
فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب فلما قرأه على المسلمين قسم الغنائم فأصاب
الفارس أربعة وعشرين الف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك
من الفضة واعطى الفرس الهجين سهما والفرس العتيق سهمين والحق القادمين
بالعراب فلما فعل ابو عبيدة ذلك قال اصحاب الحمر الحقتنا بالعراب فقال ابو عبيدة انى
قسمت لكم كما قسم النبى صلى الله عليه وسلم الغنيمة بين اصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب
الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس فى الخيل والهجن والعراب فكتب اليه عمر يقول

أما بعد فقد عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد حكمه فاعط الفرس العربى سهمين والهجين سهما واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربى وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربى سهمين فلما ورد الكتاب على أبى عبيدة وقرأه على المسلمين قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ولكن تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قسم أبو عبيدة الغنائم على المسلمين قال له خالد بن الوليد ان رجلا من المسلمين تشفع بى اليك أن تلحق فرسه الهجين بفرسه العتيق العربى وتعطيه سهمين فأبى أبو عبيدة وقال والله ان سف التراب أحب الى من ذلك وروى عثمان ابن ابن الزبير قال شهدت جدى الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه فرسان يتعقب عليهما للقتال يركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت قسم الغنائم اعطاه ابو عبيدة ثلاثة اسهم له سهم ولفرسه سهمان فقال الزبير أما تصنع بى كما صنع بى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معى فرسان فاسهمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر خمسة اسهم لفرسى أربعة وأعطانى سهما وقال المقداد بن عمرو كنت انا وأنت يوم بدر ومعنا فرسان لاغيرهما فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما سهما الفرسين قال ابو عبيدة انك لصادق يا عمة وانا أتبع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الزبير وأقبل جابر بن عبد الله الانصارى فشهد عند أبى عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر خمسة اسهم فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم اربعة افراس وخمسة افراس فقالوا الحقونا بالزبير فقال فاستأذن عمر فى ذلك فقال صدق الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه يوم خيبر خمسة اسهم فلا تعط غيره مثله وروى عروة عن ابى الزبير قال ابى الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الغنائم عرفه فقبض عليه واخذ بيده فقال له المتوكل على حفظ الغنيمة لست ادعك فبينما هما فى المحاورة اذ اقبل ابو عبيدة فقال ما بالكما فقال الزبير أيها الامير هذا غلامى وصل الى من غنيمة عمان وهرب منى وقد رأيته الآن فلا بد لى منه فقال ابو عبيدة صدق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو له وانا سلمته له من غنيمة عمان فسلمه اليه واخذه الزبير قال زيد المرادى هربت منا جارية الى العدو وظفرنا بها يوم اليرموك فى قسم الغنائم فكلمنا ابا عبيدة فيها فكتب الى عمر فرد اليه الجواب ان كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وان كانت لم تجر فيها السهام فردوها وكان القوم لا يرضون بهذا من ابى عبيدة فقال ابو عبيدة والله الذى لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحكم بما امرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى القسم (قال الواقدى) حدثنى لؤى بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة بن اليمان عن القاسط بن سلمة عن عدى بن عامر عمن حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرير وغيرهم قال علمت ان الامر يصل الى هنا ثم اقام ينتظر ما يجرى من المسلمين

❁(ذكر فتح مدينة بيت المقدس)❁

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) واما ما كان من المسلمين فانهم اقاموا على دمشق شهرا فجمع
ابو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم اشيروا على بما اصنع واين اتوجه فاتفق رأى المسلمين اما الى
قيسارية واما الى بيت المقدس فقال فما الذى ترون منهما فقالوا انت الرجل الامين وما تسير
الى موضع الا ونحن معك فقال معاذ بن جبل اكتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث
امرك فسر واستعن بالله فقال اصبت الرأى يا معاذ فكتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب
يعلمه انه قد عزم على قيسارية او الى بيت المقدس وانا منتظر ما تأمرنى به والسلام وارسل
الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى وامره بالمسير فسار حتى وصل المدينة فأوصل الكتاب
لعمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فى الامر فقال على رضى الله تعالى عنه
يا امير المؤمنين مر صاحبك ان يسير الى بيت المقدس فيحدقون بها ويقاتلون اهلها فهو خير
الرأى واكبره واذا فتحت بيت المقدس صرف جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء
الله تعالى كذا اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت يا ابا الحسن فكتب اليه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام ابى عبيدة اما بعد فانى
احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه وقد ورد على كتابك وفيه تستشيرنى فى اى ناحية
تتوجه وقد اشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله سبحانه
وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وامره ان يعجل
المسير فسار على قدم ابى عبيدة فوجده على الجابية فدفع الكتاب اليه فقرأه على المسلمين
ففرحوا المسيرهم الى بيت المقدس فعندها دعا ابو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم
اليه خمسة آلاف فارس من خيل الزحف وسرحه الى بيت المقدس ثم دعا بيزيد بن ابى سفيان
وعقد له راية على خمسة آلاف وامره ان يلحق بخالد الى بيت المقدس وقال له يا ابن ابى سفيان
ما علمتك الا ناصحا فاذا اشرفت على بلد ايليا فارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا
الله بجاه نبيه ومن سكنها من الانبياء والصالحين ان يسهل فتحها على ايدى المسلمين فأخذ
يزيد الراية وسار يريد بيت المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحى النبى صلى
الله عليه وسلم وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من اهل اليمن وقال له سر بمن معك
حتى تقدم بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تقدم قبلك ثم دعا بالمرقال
ابن هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع المسلمين وسرحه على
اثر شرحبيل بن حسنة وقال له انزل على حصنها وانت منعزل عن اصحابك ثم عقد راية خامسة
فسلمها للمسيب بن نجبة الفزارى وامره ان يلحق باصحابه وضم اليه خمسة آلاف فارس من النخع
وغيرهم من القبائل وعقد راية سادسة وسلمها الى قيس بن المرادى وضم اليه خمسة آلاف فارس
وسيره وراءهم ثم عقد راية سابعة وسلمها الى عروة ابن مهلهل بن زيد الخيل وضم اليه خمسة
آلاف فارس وسيره وراءهم فكان جملة من سرحه ابو عبيدة الى بيت المقدس خمسة وثلاثين

ألفا وسارت السبعة امراء في سبعة أيام في كل يوم أمير وذلك كله يرهب به أعداء الله فبقي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما أشرف عليهم كبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا على أسوار بلادهم فلما نظروا الى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا ان ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه من مايلي باب أريحا واقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان وفي اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة وأقبل في اليوم الرابع المرقال وأقبل في اليوم الخامس المسيب ابن نجية وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبيرة فنزل وأقبل في اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل فنزل مما يلي طريق الرملة قال عبد الله بن عامر بن ربيعة الغنوي فاني مانزل أحد من المسلمين على بيت المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله تعالى ودعا بالنصر والظفر على الاعداء ويقال ان خالدا كان هو وابو عبيدة قال فلما مضى العسكر أقام أبو عبيدة وخالد وبقية المسلمين والذراري والسواد والغنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشي والاموال فلم يبرحوا من مكانهم قال وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا ينظرون رسولا يأتي اليهم ولا يكلمهم احد من أهلها الا انهم قد حصنوا اسوارهم بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخر قال المسيب بن نجية الفزاري ما نزلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا اكثر زينة ولا احسن عدة من بيت المقدس وما نزلنا بقوم الا وتضعضعوا والا وداخلهم الهلع واخذتهم الهيبة الا اهل بيت المقدس نزلنا بازائهم ثلاثة ايام فلم يكلمنا منهم احد ولا ينطقون غير ان حارسهم شديد وعدتهم كاملة فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل ابن حسنة ايها الامير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون ام بكم فلا ينطقون ام عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم فلما كان في اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان اول من ركب من المسلمين من الامراء الى سؤال اهل بيت المقدس يزيد بن ابي سفيان فأشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد اخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون فقال للترجمان قل لهم امير العرب يقول لكم ماذا تقولون في اجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهي كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم وان ابيتم ولم تجيبونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو اعظم منكم عدة واشد منكم وان ابيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم فكلمه قس من القساقسة عليه مدارع الشعر وقال انا المخاطب عنهم ما تريد فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هذه الخصال الثلاث اما الدخول في الاسلام واداء الجزية واما السيف قال فبلغ القس لمن وراءه ما قال الترجمان قال فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا لا نرجع عن دين العز و لقبول وان قتلنا اهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك يزيد قال فمشى الى الامراء

واخبرهم بجواب القوم وقال لهم ما انظاركم بهم فقالوا ان الامير ابا عبيدة ما امرنا بالقتال ولا بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب الى امين الامة فان امرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن ابى سفيان الى ابى عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فالذى تأمر فكتب اليهم ابو عبيدة يأمرهم بالزحف وانه واصل فى اثر الكتاب فلما وقف المسلمون على كتاب ابى عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى ان المسلمين باتوا تلك الليلة كانهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال اهل بيت المقدس وكل امير يريد ان يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء قال فلما اضاء الفجر اذن المؤذنون وصلت الناس صلاة الفجر قال فقرأ يزيد لاصحابه ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا الآية فيقال ان الامراء اجرى الله على السنتهم فى تلك الصلاة ان قرؤا هذه الآية كانهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير يا خيل الله اركبى قال فاول من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون للحرب كانهم اسود ضارية ونظر اليهم اهل بيت المقدس وقد انشرحوا لقتالهم فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فجعل المسلمون يتقونها بدرقهم فلم يزل الحرب بينهم من الغدا الى الغروب يقاتلون قتالا شديدا ولم يظهروا فزعا ولا رعبا ولم يطمعوهم فى بلدهم فلما غربت الشمس تراجع الناس وصلى المسلمون ما فرض الله عليهم واخذوا فى اصلاح شأنهم وعشائهم فلما فرغوا من ذلك اوقدوا النيران واكثروا منها لان الحطب عندهم كثير فبقى قوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم يتضرعون وقوم نائمون مما لحقهم من التعب والقتال فلما كان الغد بارد المسلمون اليهم وذكروا الله كثيرا واثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل واقبلوا يرمون ويذكرون الله وهم يضجون الى الله بالدعاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل المسلمون فى القتال عدة ايام واهل بيت المقدس يظهرون الفرح وانه ليس على قلوبهم من هم ولا جزع فلما كان اليوم الحادى عشر اشرفت عليهم راية ابى عبيدة يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وابطال الموحدين وقد احدقوا بابى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن ابى بكر عن يساره وجاءت النسوان والاموال وضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فاجابتهم القبائل ووقع الرعب فى قلوب اهل بيت المقدس فانقلب كبارهم وعظماؤهم وبطارقتهم الى البيعة العظمى عندهم وهى القمامة فلما وقفوا بين يدى جاثليقهم وكانوا يعظمونه ويجلونه فلما سمعوا تلك الضجة دخلوا اليه ووقفوا بين يديه ووقعوا له وقالوا يا ابانا قد قدم امير القوم الينا ومعه بقية المسلمين وهذه الضجة بسببه فلما سمع بتركهم وجاثليقهم تغير لونه وتغير وجهه وقال هى هى قالوا ما ذاك ايها البترك والاب الكبير قال وحق الانجيل ان كان قدم اميرهم فقد نادها لا كم والسلام قالوا وكيف ذلك قال لانا نجد فى العلم الذى ورثناه عن المتقدمين ان الذى يفتح الارض فى الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى

نعمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله ولا بدّ لى ان اشرف عليه وانظر اليه والى صورته فان كان هو عملت فى مصالحته واجيبه الى ما يريد وان كان غيره فلا نسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الا على يد من ذكرته لكم والسلام ثم انه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة من حوله وصعد على السور من الجهة التى فيها ابو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كأنهم الاسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشى بين يدى البترك فقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نستخبركم ونسألكم قال فأمسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربى فصيح اعلموا ان صفة الرجل الذى يفتح بلدنا هذه وجميع الارض أصل صفته عندنا فان كان هو اميركم هذا فلم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن هو فلا نسلم اليكم ابدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون ذلك اقبل نفر منهم الى ابى عبيدة وحدّثه بما سمعوه قال فخرج ابو عبيدة اليهم الى ان حاذاهم فنظر البترك اليه وقال ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلادكم ودينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا اصواتهم واعلنوا بكلمة كفرهم واقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب ابا عبيدة بكلمة واحدة بل امر قومه بالحرب والقتال وعاد ابو عبيدة الى اصحابه فقال خالد ما كان منك ايها الامير فقال لا علم لى غير انى خرجت اليهم كما رأيت واشرف على شيطان من شياطينهم الذى يضلهم فما هو غير ان نظر لى وتأملنى حتى ضجوا ضجة واحدة وولى عنى ولم يكلمنى فقال خالد يوشك ان يكون لهم فى ذلك تأويل ورأى فنقف عليه ونعلم بناء ثم قال شدّوا عليهم الحرب والقتال فشد عليهم المسلمون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى ايام الشتاء والبرد وظنت الروم ان المسلمين لا يقدرون عليهم فى ذلك الوقت قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من اهل اليمن وهم اصحاب القسى ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم به حتى رأوا النبل ينكسهم على رؤسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون قال مهلهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل الروم يتهافتون من سورهم كالغنم فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالجحف والجلود وبمايرد النبل قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد اقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى رأسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبأيديهم القسى الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال قال عوف بن مهلهل فنظرت الى ضرار وقد قصد نحوه وهو يختفى ويستتر الى ان قرب من البرج الذى عليه البطريق ثم أطلق اليه نبلة قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع فقلت وما تكون هذه النبلة مع علو هذا الجدار وما الذى تصنع فى هذا العلج وعليه هذه اللامة اللامعة فأقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة فى فيه فتردى الى أسفل

برجه فسمعت للقوم ضجة عظيمة وجولة هائلة فعلمت انه قتل قال ولم يزل ابو عبيدة منازل
بيت المقدس اربعة اشهر كاملة ومامن يوم الا ويقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون
على البرد والثلج والمطر فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة الحصار ومانزل بهم من المسلمين
قصدوا الفخامة ووقفوا بين يدى بتركهم وسجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له ياابانا قد دام
علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا ان يأتينا مدد من قبل الملك ولاشك انه اشتغل عنا بنفسه
من اجل هزيمة جيشه وانهم أشهى منا للقتال وانهم من يوم نزلوا علينا لم نخاطبهم بكلمة
واحدة ولم نجبهم احتقارا منا بهم والآن قد عظم علينا الامر ونريد منك ان تشرف على
هؤلاء العرب وتنظر ما الذى يريدون منا فان كان امرهم قريبا اجبنا الى مايريدون ويطلبون
وان كان صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما ان نقتل عن آخرنا واما ان نهزمهم عنا فأجابهم
البترك الى ذلك واشتهر بلباسه وصعد معهم على السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع
القسوس والرهبان حوله وبأيديهم الاناجيل مفتحة والمباخر حتى اشرف على المكان الذى
فيه ابو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح العربية يامعاشر العرب ان عمدة دين النصرانية
وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم فليدن منا اميركم فأخبروا ابا عبيدة بمقالهم فقال
والله انى لأجيبه حيث دعانى ثم قام ابو عبيدة وجماعته من الامراء والصحابة ومعه ترجمان
فلما وقف بازائه قال لهم الترجمان ما الذى تريدون منا فى هذه البلدة المقدسة ومن قصدها
يوشك ان الله يغضب عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم انها بلدة
شريفة ومنها اسرى نبينا الى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو ادنى وانها معدن
الانبياء وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولانزال عليها أو يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها
قال البترك فما الذى تريدون منا قال ابو عبيدة خصلة من ثلاث أولها ان تقولوا لا اله الا الله
وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله فان أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم مالنا وعليكم
ماعلينا قال البترك انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها الا ان نبيكم محمدا مانقول انه رسول قال ابو
عبيدة كذبت ياعدو الله انك لم توحد قط وقد اخبرنا الله فى كتابه انكم تقولون المسيح ابن
الله لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال البترك هذه خصلة لانجيبكم
اليها فما الخصلة الثانية فقال ابو عبيدة تصالحوننا عن بلدكم او تؤدون الجزية الينا عن يد
وأنتم صاغرون كما اداها غيركم من اهل الشام قال البترك هذه الخصلة اعظم علينا من
الاولى وما كنا بالذى ندخل تحت الذل والصغار أبدا فقال ابو عبيدة مانزال نقاتلكم حتى
يظفرنا الله بكم ونستعبد اولادكم ونساءكم ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد واعتكف
على كلمة الكفر فقال البترك فانا لانسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا وكيف نسلمها وقد
استعددنا بآلة الحرب والحصار وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من
اهل المدن الذين اذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فادخلهم تحت طاعتكم
ونحن فى بلدنا من اذا سأل المسيح ودعاه اجاب دعوته فقال ابو عبيدة كذبت والله ياعدو

الله

الله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام
فقال انا اقسم بالمسيح انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما تفتحونها أبدا وانما تفتح لرجل صفته
ونعته فى كتبنا وليس نجد صفته ونعته معك أبدا فقال ابو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم
قال البترك لانخبركم بصفته لكن نجد فى كتبنا وما قرأناه من علمنا أنه يفتح هذه البلدة صاحب
محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى
صفته فيكم قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك من كلام البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلاد ورب
الكعبة ثم أقبل عليه وقال له اذا رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا اعرفه وصفته عندى
وعدد سنينه وايامه قال ابو عبيدة والله خليفتنا وصاحب نبينا فقال البترك ان كان الامر كما
ذكرت فقد علمت صدق قولنا فأحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبيناه
وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غير هم ولا نكد واعطينا الجزية فقال أبو عبيدة فانى
ابعث اليه بأن يسير الينا أفتحبون القتال أم نكف عنكم فقال البترك معاشر العرب
ألا تدعون بغيكم ونخبركم باننا قد صدقناكم فى الكلام طلبا لحقن الدماء وأنتم تأبون الا
القتال قال ابو عبيدة نعم لان ذلك أشهى الينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا قال
فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البترك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فجمع أبو عبيدة
الامراء والمسلمين اليه وأخبرهم بما قال البترك فرفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا
افعل أيها الامير واكتب الى أمير المؤمنين بذلك فلعله يسير الينا ويفتح هذا البلد علينا فقال
شرحبيل بن حسنة اصبر نقول لهم ان الخليفة معنا ويتقدم خالد اليهم فاذا نظروا اليه فتحوا
الباب وكفينا التعب وكان خالد اشبه الناس بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما فلما
أصبح الصباح قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان قد قال أبو عبيدة لخالد فركبوا جميعا وقالوا
قد جاء الرجل الذى تعلموه فعرفوا البترك فأقبل الى ان وقف على السور وقال له قل له يتقدم
بحيث نراه عيانا فتقدم خالد فتبينه وقال وحق المسيح كأنه هو ولكن باقى العلامات ما هى
فيه فبحق دينك من أنت فقال انا من بعض اصحابه فقال البترك يا فتيان العرب كم تكون
هذه الخداع فيكم وحق المسيح لئن لم نر الرجل الموصوف ما نفتح لكم ولا يرجع احد منا
يكلمكم ولو أقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم فقال المسلمون عند ذلك اكتبوا الى أمير
المؤمنين وعرفوه بذلك فعسى أن يأتى ويتشرف بهذه البقعة فكتب أبو عبيدة كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله امير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله أبى عبيدة عامر بن
الجراح أما بعد سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم واعلم يا امير المؤمنين انا منازلون لاهل مدينة ايليا نقاتلهم أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم
ويقاتلوننا ولقد لقى المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار الا انهم صابرون على
ذلك ويرجون الله ربهم فلما كان اليوم كتبت اليك الكتاب أشرف علينا بترككهم الذى
يعظمونه وقال انهم يجدون فى كتبهم انه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا واسمه عمر وانه يعرف

صفته ونعته وهو عندهم فى كتبهم وقد سألنا حقن الدماء فانك تسير الينا بنفسك ونجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك ثم انه طوى الكتاب وختمه وقال يا معاشر المسلمين من ينطلق بكتابى هذا وأجره على الله فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسى وقال أنا أكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة فخذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقة له كوما ولم يزل سائرا الى ان دخل المدينة فدخلها ليلا وقال والله لا نزلت عند أحد من الناس فاناخ ناقته على باب المسجد وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه ثم أتى مكانا فى المسجد فنام وكان له ليال عدّة لم ينم فأخذته عيناه فما استيقظ الا على أذان عمر وكان عمر يغلس فى الاذان فلما أذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الفجر فلما انحرف فى محرابه قمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الى صافحنى واستبشر وقال ميسرة ورب الكعبة ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة يا امير المؤمنين ثم ناولته الكتاب فقرأه على المسلمين فاستبشروا به فقال ماترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينة ايليا وضيقوا عليهم وهم فى كل يوم يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان انت أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر فلم يلبثوا الا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية فلما سمع عمر ذلك من مقال عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه نعم عندى غير هذا الرأى وانا ابديه لك رحمك الله فقال عمر وما هو يا ابا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفى سؤالهم ذلك فتح للمسلمين وقد اصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام وانى ارى انك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان فى مسيرك الاجر العظيم فى كل ظماء ومخمصة وفى قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم فاذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن ان ييئسوا منك ومن الصلح ويمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلك الهم والبلاء لا سيما بيت المقدس عندهم وهو معظم واليه يحجون فلا يتخلفون عنه والصواب ان تسير اليهم ان شاء الله تعالى قال ففرح عمر بن الخطاب بمشورة على رضى الله تعالى عنه وقال لقد احسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو واحسن على المشورة للمسلمين فجزاهم الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة على فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الغرة ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه أمر الناس بأخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فأسرع المسلمون الى ذلك واستعدوا وتأهبوا وأمر عمر ان يكونوا خارج المدينة ففعلوا

ذلك وأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه واستخلف على المدينة على بن أبى طالب وخرج من المدينة وأهلها يشيعونه ويودعونه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخرج عمر من المدينة وهو على بعير له أحمر وعليه غرارتان فى احداهما سويق وفى الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير وعبادة بن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلى الصبح فاذا انفتل من الصلاة يقبل على المسلمين ويقول الحمد لله الذى أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا فى بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة يملأها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون معه ثم يرحل فلم يزل كذلك فى مسيره قال عمرو بن مالك العبدى كنت مع عمر بن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء لجزام وعليه طائفة منهم نزول والماء يدعى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله اذا اقبل اليه قوم من جزام فقالوا يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا له امرأتان وهما أختان لاب وأم قال فغضب عمر وقال على به فأتى بالرجل اليه فقال له عمر ما هاتان المرأتان قال الرجل زوجتاى قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما اختان قال عمر فما دينك ألست مسلما قال بلى قال عمر أوما علمت أن هذا حرام عليك والله يقول فى كتابه وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فقال الرجل ما علمت وما هما على حرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احداهما والا ضربت عنقك قال الرجل أفتحكم على قال اى والله الذى لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا دين ما أصبنا فيه خيرا ولقد كنت غنيا عنه ان ادخل فيه قال عمر ادن منى فدنا منه فخفق رأسه بالدرة خفقتين وقال له أتتشاءم بالاسلام يا عدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذى ارتضاه الله لملائكته ورسله وخيرته من خلقه خل يا ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلدة المفترى فقال الرجل كيف أصنع بهما وانى احبهما ولكن اقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهى لى وان كنت لهما جميعا محبا فأمر عمر فاقترعا فوقعت القرعة على احداهما فامسكها واطلق سبيل الثانية ثم اقبل عليه عمر وقال له اسمع يا ذا الرجل وع ما أقول لك انه من اسلم فى ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك أن تفارق الاسلام واياك يبلغنى انك قد أصبت اخت امرأتك التى فارقتها فانك ان فعلت ذلك رجمتك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار عمر حتى مر على حى من بنى مرة فاذا بقوم منهم قد أقاموا فى الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقيل عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون

قال يقولون مانجد مانؤدى فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم مالا يطيقون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس فى الدنيا يعذبكم الله يوم القيامة فخلى سبيلهم ثم سار حتى اذا كان بوادى القرى اخبروه ان شيخا على الماء وله صديق يوده فقال له صديقه هل لك أن تجعل لى فى زوجتك نصيبا واكفيك رعى ابلك والقيام عليها ولى فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت ذلك ورضى فلما أخبر عمر بذلك أمر بهما فاحضرا فقال يا ويلكما ما دينكما قالا الاسلام قال عمر فما الذى بلغنى عنكما قالا وما هو فأخبرهما عمر بما سمعه من العرب فقال الشيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فقال عمر اما علمتما ان ذلك حرام فى دين الاسلام قالا لا والله ما علمنا ذلك فقال عمر للشيخ وما دعاك أن صنعت هذا القبيح قال أنا شيخ كبير ولم يكن لى أحد اثق به ولا أتكل عليه فقلت يا هذا اتكفينى الرعى والسقى وتعيننى على دوابى وانا اجعل لك نصيبا فى امرأتى والآن اذ علمت انه حرام فلا أفعله فقال عمر خذ بيد امرأتك فلا سبيل عليها ثم قال للشاب اياك ان تقرب منها فانه ان بلغنى ذلك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى اذا دنا من اول الشام وأشرف عليه قال اسلم بن برقان مولى عمر فلما أشرفنا على الشام وأشرف عليه المسلمون نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير اسرع وانظر ما هذه الخيل فاسرع الزبير اليها فلما قرب منها واذا هى خيل من اليمن قد بعث بهم أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضى الله عنه قال الزبير فسلموا على وقالوا يا فتى من أين أقبلت فقلت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف خلفت أهلها قلت بخير قالوا فما فعل عمر هل قدم علينا أم لا قال الزبير من انتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا أبو عبيدة لنأخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه قال أصبت يا أبا عبد الله فأقبل علينا تبع آخر فسلموا علينا وسألونا عن عمر فقال لهم ها أنا عمر فما تريدون قالوا يا أمير المؤمنين قد ذرفت العيون وطالت الاعناق بالتطاول الى قدومك فلعل الله ان يفتح بيت المقدس على يدك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم رجعوا على اعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين وابى عبيدة ونادوا بأصواتهم ابشروا يا مسلمين بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا ان يركبوا لاستقباله بأجمعهم فقال لهم ابو عبيدة عزيمة على كل رجل أن لا يخرج من مركزه ثم سار ابو عبيدة فى اناس من المهاجرين والانصار حتى اشرف بمن معه على عمر قال ونظر عمر الى أبى عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصة مغطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر فلما نظر ابو عبيدة الى عمر رضى الله عنهما أناخ قلوصه واناخ عمر بعيره وترجلا كلاهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض واقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يتسايران امام الناس وهم يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببيت المقدس فلما نزلا صلى عمر رضى الله عنه بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة فقال فى خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوى الشديد الفعال لما يريد ثم قال ان الله تعالى قد اكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزاح

عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعمة
تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
ثم قرأ من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قال فلما تلا عمر ذلك قام
قس من النصارى كان حاضرا بين يديه فقال ان الله لا يضل أحدا فلما كررها قال
عمر انظروا ان عاد الى قوله فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فأمسك ومضى عمر في خطبته
فقال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفنى كل شئ سواه الذي
بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يغني اعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم
وأنفسكم لا تريدوا بها جزاء من مخلوق ولا شكرا افهموا ما توعظون به فان الكيس من
احرز دينه وان السعيد من اتعظ بغيره ألا ان شر الامور محدثاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم
صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصار في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا
القرآن فان فيه الشفاء والثواب ايها الناس انه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقيامي فيكم وقال الزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد
ويحلف من لم يحلف فمن اراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وان تعوذوا من الشيطان ولا
يخلون احدمنكم بامرأة فانهن من حبائل الشيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو
مؤمن والصلاة الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس فجعل ابو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم
وعمر باهت فتارة يبكي وتارة يهدأ فلم يزل كذلك الى ان حضرت صلاة الظهر فقال
الناس يا امير المؤمنين اسأل بلالا ان يؤذن لنا وكان بلال مقيما ببلد فلما بلغه ان الناس
قد نزلوا على بيت المقدس اتى اليهم وشاهد قتالهم وجعل يقاتل معهم فلما بلغه ان عمر قد وصل
سار مع ابي عبيدة حتى سلم على عمر فعظم قدره فلما حضرت صلاة الظهر وسأل المسلمون عمر أن
يسأل بلالا فقال له يا بلال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون ان تؤذن لهم
وتذكرهم أوقات نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال بلال نعم فلما قال الله اكبر خشعت جلودهم
واقشعرت ابدانهم قال فلما قال اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس
بكاء شديدا حتى كادت قلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله فلما فرغ بلال من أذانه
وجلس قال بلال يا أمير المؤمنين ان أمراء المسلمين واجناد الشام يأكلون لحوم الطيور والخبز
النقي وما لا يلحق ضعفاء الناس وما لا تناله ايديهم وان الكل يفنى ومآله الى التراب ومصيرنا
اليه فقال له يزيد بن ابي سفيان ان سعر بلادنا هذه رخيص وانا لا نصيب ما قاله بلال ههنا
بمثل ما كنا نقوت به أنفسنا مدة من الزمان في الحجاز فقال عمر ان الامر كما ذكرت فكلوا هنيئا
مريئا ولست ابرح من مكاني حتى تجمعوا الي من في المنازل يعني ان تكتبوا الى فقراء
المسلمين ممن في المدن والقرى فأفرض لكل اهل بيت ما يجزيهم من البر والشعير والعسل
والزيت وما يحتاجون اليه ولا بد لهم منه ثم قال عمر هذا لكم من امرائكم غير ما يأتيكم مني
من بيت مال المسلمين فان قطعت عنكم امراؤكم فأمروني حتى اعزلهم عنكم ثم امرهم بالرحيل

فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربعة عشر رقعة بعضها من اديم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) بلغنى ممن أثق به أنها كانت مرقعة من صوف فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضاء قال ففعل قال الزبير أحسب انها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس هو جديدا ولا بالخلق دفعه اليه أبو عبيدة وقدم اليه برزون أشهب من برازين الروم فلما صار عمر على ظهره جعل البرزون يهتجب به فلما نظر عمر الى البرزون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال اقيلوا عثرتى أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك مما دخل قلبى من العجب والكبر وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من الكبر ولقد كاد أن يهلكنى ثوبكم الابيض وبرزونكم المهلج ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس مرقعته (قال الواقدى) كنا يوما نقرأ فتوح الشام وفتوح بيت المقدس عند قبر أبى حنيفة وكان الفتوح يقرأ على عبادة بن عوف الدينورى وكان من أهل الفضل وكان يسجع بكلامه فلما وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر لمرقعته قال قد سمح خاطرى بما أنا قائله (قال الواقدى) قلت قل ولا تخف الصدق فتهوى فى النار وان الصدق أمانة والكذب خيانة قال لما لبس عمر مرقعته وجعل يتحيز فى شمائل فقره والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندها تزينت له الدنيا بملابسها وتراءت له فى حال أمنيتها بواسطة حدثان مشيئتها وقد جعلت اشباح شهواتها على قمة رأس مرآتها واقفات راكعة فى حلة مراودته مطلقة اعنة الطمع فى طلب زوال مجاهدته معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته فى سناء قبلة مرآة تبهرجها فى عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته جاعلة ودادها ذريعة الى وصلته وعمر قد أمسك عرى طاعته بيد عصمته فلما نصبت له حبائل بلاها ولم تره وقع فى اشراك هواها أسمعت فى معناها قد شغفها حبا انا لنراها وقالت يا عمر قد وليت ارضى فلا بد من القيام بفرضى فالولاية لا تقوم الا بالملابس الهنية والمآكل الشهية والظلم فى الرعية فقال عمر اذهب فلست من رجالك ولا ممن يقع فى حبالك ولا فى أوحالك أما علمت انى قد تجردت لمعاندتك ولا حاجة لى فى مشاهدتك وها أنا على قدم تجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتى أفتح بلاد الروم والعجم ثم أظهر فى وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فاستحسنت هذا الكلام والحقت ما قاله فى هذا الموضع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبة وصعودها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحثو التراب فى وجوههم وأن تحرق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس فلما نظر اليها قال الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل

واصحاب العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذى كان فيه أبو عبيدة وطرحت له خيمة من شعر
وجلس فيها على التراب ثم قام يصلى أربع ركعات (قال الواقدى) وعلت للمسلمين
ضجة عظيمة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم
البترك يا ويلكم ما شأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير شئ فأشرفوا عليهم وانظروا ما
شأنهم (قال الواقدى) فأشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية فقال يا معاشر العرب
أخبرونا ما قصتكم قالوا ان أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا وهذه الضجة من
فرح المسلمين به قال فرجع وأعلم البترك فأطرق الى الارض ولم يتكلم فلما كان الغد وصلى
عمر بالناس صلاة الفجر قال لابى عبيدة يا عامر تقدم الى القوم واعلمهم انى قد أتيت قال فخرج
أبو عبيدة وصاح بهم وقال يا أهل هذه البلدة ان صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون
فيما قلتم قال فأعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسس
والاساقفة معه وقد حمل بين يديه صليب لا يخرجونه الا فى عيدهم وسار معه البطاليق
الى أن علاهم وهو يقول للبترك يا أبانا ان كنت تعرفه معرفة حقيقية والا لا نفتح له ودعنا وهؤلاء
العرب فاما أن نبيدهم واما ان يبيدونا قال البترك أنا أفعل ذلك ثم صعد على السور ووقف
البطاليق الى جانبه والصليب امامهم وأشرف على أبى عبيدة وقال ما تشاء أيها الشيخ الباهى
قال أبو عبيدة هذا امير المؤمنين عمر وليس عليه امير قد أتى فاخرجوا اليه واعقدوا معه
الامان والذمة وأداء الجزية فقال البترك يا ذا الرجل ان كان صاحبك الذى ليس عليه امير قد
أتى فدعه يدن منا فانا نعرفه بنعته وصفته وافردوه من بينكم وليقف بازائنا حتى نراه فان كان
صاحبنا الذى نعته فى الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان واقررنا له بالجزية وان كان هو
غير الذى نجد نعته فى الانجيل وصفته فما لكم عندنا غير القتال قال فرجع أبو عبيدة الى
عمر واخبره بما قاله البترك فهم عمر بالقيام فقال له اصحابه يا امير المؤمنين اتخرج اليهم منفردا
وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة وأنا نخشى عليك منهم غدرا او مكرا فيسألون منك
فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم امر ببعيره
فقدم اليه فاستوى فى ركوبه عليه وعليه مرقعة ليس عليه غيرها وعلى راسه قطعة عباءة
قطوانية وقد عصب بها راسه وليس معه غير ابى عبيدة رضى الله تعالى عنهما وهو سائر بين
يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والبطاليق عليه فتكلم ابو عبيدة وقال
يا هؤلاء هذا امير المؤمنين قد اتى فمسح البترك عينه ونظر اليه وزعق بأعلى صوته هذا والله
الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ثم انه قال لاهل
بيت المقدس يا ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة هذا والله صاحب محمد بن
عبد الله (قال الواقدى) فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت
انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة

ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله وخر ساجداً على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذا سألتمونا واقررتم بالجزية قال فرجع القوم الى بلدهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فبات فيه ليلة فلما كان من الغد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين وقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو واصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان ابو الجعيد الذى ذهب على الروم باليرموك بيت المقدس اهله وماله فقالوا اما ترى نغدر هؤلاء العرب اذا هم اشتغلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا ما يحترزون به من الضرب والقتل فقال لهم ابو الجعيد يا قوم لا تفعلوا ولا تغدروا بهم فان فعلتم ذلك اقول لهم بما تريدون ان تفعلوا بهم فقالوا وما الذى نصنع فقال ابو الجعيد اظهروا للعرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا وما فيها لا يصبر صاحبها عنها فان طلبوها فاغدروا فيهم بكم وما تريدون قال فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون من المال والمتاع الحسن فاظهروه وصفوه فى طريق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك فى دخولهم وخروجهم وهم يتعجبون منهم ولم يمل احد منهم ولم يلمسه وهم يقولون الحمد لله الذى ارشدنا يا رفوم لهم مثل هذا ولو ساوت الدنيا جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء قال عوف بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شئ من متاعهم ولا لمسه فقال لهم ابو الجعيد هؤلاء القوم الذى وصفهم الله فى التوراة والانجيل وانهم لا يزالون على الحق ولا يقربهم احد ما داموا على ما هم عليه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واقام عمر فى بيت المقدس عشرة ايام قال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما صالح اهل بيت المقدس ودخلها اقام فيها عشرة ايام فأتيت اليه وكنت فى قرية من فلسطين وتقدمت اليه لاسلم عليه واسلم على يديه وذلك ان ابى كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لى محبا وعلى مشفقا ولم يكتم على شيأ الا اعلمنى اياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعانى اليه وقال لى يا بنى انك تعلم انى ما ادخرت عنك شيأ مما كنت اعلم لانى خشيت ان يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين الورقتين فى هذه الكوة التى ترى فلا تعرض لهما ولا تنظر فيهما الى ان تسمع بخبر نبى يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد فان يرد الله بك خيرا فانت تتبعه ثم مات بعد وصيته اياى قال كعب فدفنته فما كان شئ احب بعد انقضاء العزا من النظر فى الورقتين واقرا ما فيهما مكتوبا فاذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة ودار هجرته طيبة ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب امته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال السنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهم منصورون على كل من عاداهم من اعدائهم اجمعين يغسلون وجوههم ويسترون اوساطهم اناجيلهم فى صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم وهم اول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم قال كعب

الاخبار

الاحبار فلما قرات ذلك تاملت فى نفسى وهل علمنى ابى شيأ اعظم من هذا ثم مكثت بعد وفات والدى ماشاء الله الى ان بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد اخرى فقلت هو والله لا محالة ولم ازل أبحث على أمره حتى قيل انه خرج ونزل بيثرب فجعلت أترقب أمره حتى غزا غزوات ونصر على أعدائه فتجهزت أريد المسير اليه فبلغنى أنه قد قبض صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى فقلت فى نفسى لعله بالذى كنت أنتظره حتى رأيت فى منامى كان أبواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل يقول قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى عن أهل الارض فرجعت الى دار قومى بجاءنا الخبر انه قدم من امته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقوم عليه فلم البث حتى جاءتنا جنوده الى الشام ثم جاءتنا وفاته ثم قيل انه استخلف عليهم رجل أسمر اسمه عمر فقلت لا أدخلن هذا الدين حتى أحققه ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وما صنع الله بأعدائهم فقلت انهم أمة النبى الامى فحدثت نفسى بالدخول فى هذا الدين فوالله انى ذات ليلة على سطحى واذا أنا برجل من المسلمين يقول يا اهل الكتاب آمنوا بما انزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله ان لا اصبح حتى يحول وجهى فما كان شئ أحب الى من الصباح ان يرد فلما اصبحت غدوت من منزلى وسألت عن عمر فقيل لى انه ببيت المقدس فقصدت اليه واذا به قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فأقبلت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى من انت فقلت له انا كعب الاحبار وانى جئت اريد الاسلام والدخول فيه فانى وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وامته فى الكتب المنزلة ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام انى ما خلقت خلقا اكرم على من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا سماء ولا ارضا وامته خير الامم ودينه خير الاديان بعثته آخر الزمان امته مرحومة وهو نبى الرحمة وهو النبى الامى التهامى القرشى الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافرين سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء اصحابه متراحمون متواصلون فقال عمر احقا ما تقول يا كعب قال اى والله والله يسمع ما اقول ويعلم ما تخفى الصدور فقال عمر الحمد لله الذى اعزنا واكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التى وسعت كل شئ وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك يا كعب فى الدخول فى ديننا فقال كعب يا امير المؤمنين فى كتابكم الذى انزل اليكم فى امر دينكم ذكر ابراهيم فقال عمر نعم وقرا ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرا ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم قرا افغير دين الله يبغون وله اسلم الآية ثم قرا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية ثم قرا قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم

دينا قيما الآية ثم قرأ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل الآية قال كعب فلما سمعت هذه الآيات قلت يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك أن تسير معى الى المدينة فتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك قال وارتحل عمر بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتابا أى عهدا وأقرهم فى بلدهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فأقام بها ودون الدواوين وأخذ الخمس الذى لله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فأعطى أبا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وأمره بالمسير الى حلب وأن يقاتل أهلها الى أن يفتحها الله على يديه وأعطى أرض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبى سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه وأمر يزيد أن يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه وكان قد أعطى أكثر الاجناد لابى عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمر بن سعيد الانصارى ثم سار عمر رضى الله عنه يريد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون ان عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص أسعارها ومما يخبرون عنها انها بلاد الانبياء وهى الارض المقدسة وفيها المحشر فبقى الناس يتطاولون نحوه ويخرجون فى كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر رضى الله عنه فارتجت المدينة يوم قدومه واستبشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤيته وسلموا عليه ورحبوا به وهنوه بما فتح الله على يديه فأول ما بدأ بالمسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم صلى ركعتين ودعا بكعب الاحبار وقال حدث المسلمين بما رأيت فى الورقتين فازداد الناس ايمانا (قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى) حدثنا أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بأبى سفيان النحوى قال حدثنا أبو جعفر بن أحمد بن عبيد الناسخ قال حدثنى عبد الله بن أسلم الزهرى وعبد الله بن يحيى الزرقى عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لان الصدق أمانة والكذب خيانة والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى خبر هذا الفتوح الا على الصدق وما حدثت حديثه الا على قاعدة الحق لاثبت فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن أهل السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا فى الله حق جهاده لاجرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى) وذلك أنه لما بعث عمر بن الخطاب أبا عبيدة وجعله أمير الشام وأمره بالمسير الى حلب وانطاكية والمعرق وما يليهم من الحصون وبعث عمرو بن العاص الى مصر ويزيد بن أبى سفيان الى ساحل الشام فنازلوا قيسارية وهى آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين الى ان نزل يزيد وهذا قسطنطين بن الملك هرقل وكان

معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية فلما نظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبى سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية ونفذ له المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبى سفيان عامله على بعض الشام الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى نازلت أهل قيسارية وهى مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس الهم سبيل وان قسطنطين قد استنجد بأبيه وقد أنجده بصاحب مرعش بعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد وأريد النجدة والسلام وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النخعى فلما ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر بن الخطاب قال عمر من أين هذا الكتاب قال من عاملك يزيد بن أبى سفيان فقرأه فلما أتى على آخره تفكر فى أمر يزيد وما وقع له واذا قد دخل عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه فأراه كتاب يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة فقال على لا تغتم على المسلمين فان الله يفتحها على يديك رغما فانجد يزيد وانفذ اليه الكتاب

(ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان مع أبى عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف (قال الواقدى) فلما وصل كتاب عمر الى أبى عبيدة نفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حرب بن عدى وبقى أبو عبيدة فى سبعة عشر ألفا وأكثرهم من اليمن وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم على خمسة عشر ألف مثقال من الذهب ومثلها من الفضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق من التين والزيت فلما تم الصلح وجاؤا بما ضمنوه من مدينتهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشروط ودخل أبو عبيدة وخالد فى رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فخطوا بها مسجدا فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لاب وأم وكانا يسكنان فى القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطريقان يقال لاحدهما يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الى حدود الضروب والى حدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه كل ذلك ابقاء لملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد لئلا يحيش عليه أحد جيشا ولا ينازعه فى ملكه لكثرة شره وتدبيره وشدة بنى عمه فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها وارتبط فى البلاد فلما هلك آل الامر بعده لولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للاموال مقداما للحروب لا يصطلى له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا ديناقد نزع يده من الرياسة وترهب وكان اعلم الناس فى اهل زمانه وانه لما بلغهم الخبر ان ابا عبيدة قد قصد اليهم قال لاخيه يوقنا الى ماذا عولت قال على قتال العرب ولادعهم يقربون من ارضنا

وبلادنا حتى يرى العرب انى لست ممن تقوا من بطارقة الشام ولا من غيرها فقال له اخوه يوحنا وكان قد درس الانجيل وقرأ المزامير وليس له همة الا عمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بأمورهم فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها وان خيلهم تضرب الى الفرات والعواصم والبقاع أقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا وقال يا أخى أريد أن أختلى بك الليلة واشاورك وأطلعك على سرى ورأيي وأشرف على سرك ورأيك قال نعم فلما اجتمعا فى الليل فى دار كانت لابيهما فى القلعة فلما جلس فى المشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخى الا ماترى ما نزل بنا من العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل باهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال فهذا وما ينزلون مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوا أهلها فما ترى أن نصنع فى أمر هؤلاء فكأنى بهم وقد أشرفوا علينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فقال يوحنا يا أخى اذا قد استشرتنى فى أمرك فانى أنصحك ولا أغشك اذا قبلت النصيحة وان كنت أصغر منك سنا فانى أعلم منك بصيرة فوحق المسيح والقربان لان قبلت مشورتى ليعلون أمرك ويسلم لك مالك ونفسك فقال يوقنا يا أخى ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الرأى فقال الرأى عندى أن ترسل رسولا الى العرب وتبذل لهم ما شاؤا وتسألهم الصلح وتتفق معهم على معلوم يدفع لهم فى كل عام ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد استوثق من الغضب وقال قبحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أو قسيسا ولم أقل لك الا مالكا ولا محاربا ولا مقاتلا والرهبان ليس لهم قلوب لا كلهم العدس والزيت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بملاقاة الرجال خبرة وأما أنا فملك ابن ملك وليس بينى وبينهم الا الحرب ولا ترى الملوك العجز ويلك كيف نسلم ملكنا للعرب ونعطيهم القياد من أنفسنا من غير حرب ولا قتال قال فلما سمع يوحنا ذلك من أخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال له يا أخى وحق المسيح ان أجلك قد اقترب لانك صاحب بغى تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جموعك أكثر من جموع الملك هرقل التى جمعها باليرموك مع ماهان ويوم اجنادين وهؤلاء القوم قد أيدهم الله علينا فاتق الله ولا تقف فى قتل نفسك فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت واطلت فى مدحك العرب وانى لست كمن لاقوه من هذه الجموع التى ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك اعلم أن كل من ذكرت من أهل المدن وغيرها أسلم بلده عنوة أو صلحا قبل أن يقاتل بلا عذر فى القتال ويبذل المجهود عن نفسه وانما جمعت الاموال من قبل الى الآن لادفع بها الاذى عن نفسى وانى مجمع على قتال العرب ومحاربتهم فان ظفرنى الصليب بهم وأعاننى المسيح عليهم طلبت العرب الى أن أدخل خلفهم الحجاز وأسود على سائر الملوك وارجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل أن ينازعنى وان هزمتنى العرب طلعت الى قلعتى هذه ولزمتها فانى قد أوعيت

فيها من الزاد والاوعية والاطعمة ما يكفيني طول دهري وأكون فيها عزيزا الى أن أموت ولا ألقي يدي الى العرب ولا أبذل أموالي من غير طائل فلا تعارضني في شئ من أمر العرب تدعني فيه الى الصلح والا بطشت بك قال فهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) واحتوى الشيطان على قلب يوقنا وقد سولت له نفسه العمل فلما سمع يوحنا من أخيه يوقنا هذا المقال قال له كلامك علي حرام أبدا حتى ترجع الى رأيي وتعود الى قولي ثم قام عنه مغضبا فلما كان من الغد جمع يوقنا اليه جميع من التجأ اليه من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم على نفسه فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون العرب عليهم ويقول انما هم قليل ونحن أكثر منهم لان جموعهم قد تفرقت منها جماعة على قيسارية ومنهم من توجه الى مصر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وعزم على قتال أبي عبيدة قبل أن يصل اليه والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس ووكله بحفظ بلده وسار يوقنا بمن معه يريد أن يلقى جيش أبي عبيدة والمسلمين وهو وقومه في اثنى عشر ألف مدرع غير من كان معه بغير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيهم صليب من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب قال ابن ثعلبة الكندي فأقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد ان فتحها بالصلح بعد أن أتاه يزيد بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره أن يبعث الى يزيد بن أبي سفيان طائفة من جيشه فبعث له بثلاثة آلاف فارس لابسين السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بني ضمرة يقال له كعب بن ضمرة وكان بطلا مجربا بشدة البأس وكان اذا ثبت على وجه الارض للقتال لا يهاب الجحافل قلت أو كثرت فضم اليه ألف فارس وسيره على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا الا تطيقه واختبر أمر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان يوقنا قد قدم أمامه عيونا يأتونه بالاخبار فأتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب قد أتت تريد بلده وقتاله فقال لهم في كم أتت العرب قالوا في ألف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول قال فكمن يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيوشه وبطارقته فلما أشرف عليهم وهم نزول وهم على نهر يسقون خيلهم ويتوضؤون فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب أمامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا على متن خيولهم وورد كعب بن ضمرة على فرسه وسبق في أول الخيل وأشرف على جيش يوقنا فحزره أنه في خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين فلما نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا أنصار دين الله اني نظرت عسكر عدوكم وحزرته فهو في خمسة آلاف وهم لكم مغنم ويقاتل الواحد منكم خمسة قالوا بلى والله وأقبل يشجع أصحابه بعضهم بعضا فقربت الفئة من الفئة وصاح يوقنا بأصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وأمرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم حملة

صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد
أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة اذ طلع عليهم الكمين من ورائهم واكبوا عليهم جميعا قال
مسعود بن علوان العجمي شهدت الخيل التي بعثها ابو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت
فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن في القتال ونحن لا نظن ان لهم كمينا يطلع
من ورائنا واذا بأصوات حوافر الخيل وقد كبت علينا وايقنا بالهلكة بعدما كنا موقنين بالغلبة
وصرنا في وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم
منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن معه
قال مسعود بن علوان فلله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وبلوا بلاء حسنا ووهبوا
انفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا
عظيما وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فجاهد عنهم وهو يجول بالراية وهو ينادي يا محمد
يا محمد يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا انما هي ساعة ويأتي النصر وانتم الاعلون فاجتمع
المسلمون عليه فنظر المسلمون والجراح فيهم فاشية وقتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا من
الاعيان منهم عباد بن عاصم النخعي وزفر بن ام راضي وحازم بن شهاب المقرئ وسهل بن اشيم
ورفاعة بن محصن وغانم بن برد وسهيل بن منلج وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبرك بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد قال مسعود بن عون والله
لقد تأسفنا على قتله ووجدنا فيه اربعين ضربة كلها في مقدمه رضي الله عنه ولم نجد واحدة
في ظهره وكان الاعيان اربعين رجلا لان الرجل منا ما قتل حتى قتل اعدادا من المشركين حتى
نظروا الى ثبات المسلمين مع قتلهم وما بهم ولهم من قتل منهم فهم المشركون ان ينهزموا فثبتهم يوقنا
وقال يا ويلكم ما العرب الامثل لذئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ولما نظر كعب
ابن ضمرة الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه
شد وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومنخاره وقبله بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد
معه وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يومك
المحمود عاقبته فاثبت للقتال في طاعة الله ولما استوى على متنه ووقف أمام المسلمين وجعل ينظر
الى القتلى وهو متفكر في امره والراية بيده وهو ينتظر من أبي عبيدة جيشا يقبل عليه اوطليعة
تنجده فلم ير لذلك أثرا وذلك ان أبا عبيدة ما قطعه عن المسير اليه الا قدوم اهل حلب عليه وذلك
انه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ اهل حلب والروسية بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم
تعلمون ان هؤلاء العرب قد اطاعهم اهل دين النصرانية والصليب ودخلوا في دينهم وفيهم من
رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم فأما الذي قاتلهم فخسر فهل لكم ان تسيروا الى امير المؤمنين
ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما أحب من اموالنا فان ظفر المسلمون بالبطريق
يوقنا نكن نحن آمنين غير وجلين منهم ونقر عيننا من بأسهم وان صالح يوقنا قوم نكن نحن

قد سبقناه الى الصلح وان غاب ورجع سالما لم نبلغه ولم نعلمه واستوى رأيهم على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا الغوث الغوث وكان العرب قد علمت أن الغوث بالرومية هو الامان وقال لهم الامير فان سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل يطالبكم الله به يوم القيامة وعمر برئ منه فكانت العرب يعرفونها فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدى أبى عبيدة فقال خالد بلا شك ان هؤلاء يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحونى صالحتهم وهو لا يعلم ما أصابه من الحرب الشديد والقتال العنيد وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان فى العسكر رجال قيام فى صلاتهم يتلون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الفعال ينصرون علينا فلما سمع الترجمان مقالهم أخبر أبا عبيدة وبما قد تناجوا بينهم فقال أبو عبيدة انا قوم قد سبقت لنا العناية من ربنا وانا رجال لا نريد من الله ورسوله بدلا ولن نجزع من قتال الاعداء فأخبرهم الترجمان بذلك ثم قال لهم من أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح فقال ابو عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلغنا ان بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته سنين واتخذ الجنود أكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقالوا أيها الامير ان صاحبنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم قال أبو عبيدة ومتى خرج قالوا خرج سحرا ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه وانا نرجو أنه هالك لا محالة لانه ركب البغى ولم يرض بالصلح وقد أطاع هواه فقد وقع فى شرك الردى فلما سمع أبو عبيدة بخروج البطريق خاف على طليعته منه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلك والله كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم أطرق الى الارض فقال مشايخ أهل حلب كلم لنا الامير فى الصلح قال فكلمه فقال أبو عبيدة بضجر لا صلح لكم عندنا قال فخاف الشيوخ على أنفسهم وقالوا انا قد اجتمع عندنا من القرى والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا فى ظلكم أيام عدلكم وان أنتم أبيتم ذلك فر الناس عنكم وطلبوا أقصى البلاد وشاع الخبر عنكم انكم لا تصالحون فلا يبقى حولكم احد قال فاعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم واذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيحا باللسان عربى فقال أيها الامير اسمع ما ألقيه اليك من العلم الذى انزل الله فى الصحف على الانبياء قال أبو عبيدة قل نسمع فان كان حقا علمناه وان كان غير حق لم نسمعه ولم نعمل به وكان اسمه دحداح فقال أيها الامير ان الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه يقول أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها فى قلوب المؤمنين وانى لا أرحم من لا يرحم من احسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبنى وجدنى ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له فى رزقه وباركت له فى عمره وأكثرت له اهله ونصرته على عدوه ومن شكر المحسن على احسانه فقد

شكوني وانا قد اتيناك ملهوفين خائفين فأقل عثراتنا وآمن روعتنا واحسن الينا قال فبكى ابو عبيدة من قوله وقرأ ان الله يحب المحسنين ثم قال اللهم صل على محمد وعلى جميع الانبياء فبهذا والله ارسل نبينا ارسله الله الى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ثم أقبل على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم الحمد لله على هدايته ثم قال ان هؤلاء اهل متجر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا ان نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم فانه متى كانت المدينة فى ايدينا والسوقة معنا فانهم يميروننا بالعلوفة ويعلموننا بما يعزم عليه عدونا ويكونون عونا لنا عليه فقال رجل من المسلمين اصلح الله الامير ان مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن ان القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا ومالقى القوم الا يخدعونا الا ترى الى بطريقهم وقد خرج يبغى قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح منا ولا شك انهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين فقال ابو عبيدة احسن ظنك بالله وثق بالله فان الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا فرحم الله من قال خيرا او صمت واذا أشرط عليهم النصيحة فى صلحهم للمسلمين ثم اقبل على القوم وقال انى اريد ان تبذلوا فى صلحكم ما بذله اهل قنسرين فقالوا ايها الامير ان قنسرين اقدم من مدينتنا واكثر جمعا ومدينتنا خالية من السكان لجور صاحبنا لانه قد اخذ اموالنا وغلاتنا واصعد الكل الى قلعته ولا بقى عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا فقال ابو عبيدة فما الذى تريدون ان تبذلوا فى صلحكم قالوا نعطى نصف ما اعطى اهل قنسرين فقال ابو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على انا اذا نزلنا بصاحبكم اعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون فى عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونون تعلمونه من اعدائنا ولا تتركون جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم منهزما تمنعوه ان يصل الى القلعة فقالوا ايها الامير اما قولك ان نمنع البطريق ان لا يصعد الى القلعة فما نجد الى ذلك من سبيل ولا نقول لك ما لا نفعله لان هذا ما لنا به طاقة ولا بمن معه من اعوانه وجنوده قال ابو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والايمان المؤكدة الغليظة ان لا تقولوا هذا القول وتوفوا لنا كل شرط ثم عليكم ثم حلفهم بالايمان الذى يعرفونها فحلف القوم عن آخرهم وصالحوا عن رجالهم ودوابهم وابنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر اهاليهم وانتهوا على ذلك فقال ابو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وايمانكم فان اصبنا احدا قد اخاف او علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل واخذ ماله وولده حلالا لنا الا يطلبنا الله بذمته ومتى نقضتم ما شرطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا ذمة لكم علينا ولنا عليكم الجزية فى العام المقبل قال سعد بن عامر التنوخى فرضى اهل حلب بما شرطه عليهم ابو عبيدة واخذوا عهدهم وكتب اسماءهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم فقال لهم ابو عبيدة على رسلكم حتى ابعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى ان تعودوا سالمين الى بلادكم فقال له الدحداح ايها الامير انا نرجع من الطريق الذى جئنا منه وما نريد احدا يسير معنا

فتركهم

فتركهم ابو عبيدة وبات بقية ليلته فلقاعلى كعب بن ضمرة ومن معه (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا فلما اشرفوا على حلب نظر اليهم بعض اعلاج البطريق وهم راجعون فأقبل اليهم وسألهم من اين اقبلتم وما صنعتم فظنوا انه من اهل حلب فأخبروه بصلحهم مع ابى عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم اهل حلب فسألوهم فاخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك واقبل العلج حتى اشرف على عسكر يوقنا وهو نازل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احاط بهم وهو يظن انه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح اذ اتى اليه العلج فقال له ايها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك قال له وماذاك يا ويلك قال له ان اهل بلدك قد صالحوا العرب وكأنك بهم وقد ملكوا القلعة واخذوا الاموال والنسوان فلما سمع يوقنا ما اخبر به العلج خشى على قلعته ان يملكوها فى غيبته فانعكس عليه ما كان يؤمل ان يفوز به من الظفر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل من المسلمين نيفا عن المائتين وكعب قد اجهد نفسه على الحرب وايقنوا انهم هالكون لا محالة قال كعب بن ضمرة وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وانا اثبتهم فى الحرب والى الحرب انهضهم بهمتى وادفع عنهم بمهجتى فاذا اجحفنى القتال وركبنى الحرب التجأت الى اصحابى وانا مع ذلك اتوقع فرجا من الله تعالى واترقب راية ابى عبيدة ان تطلع فبعد علينا ذلك ولم يزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثانى فأقسم بالله ان كان لاحدنا أن صلى ولا حصل له زاد يأكله ولا ماء يشربه وانا بين اليأس والرجا اترقب طريق قنسرين ان تطلع منه علينا راية الاسلام فما ارى لها اثرا فرأيت عند الصباح جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ماهذا الا عدد لحقهم من البلد او من الملك فالتجأت الى كلمة الشدائد وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال كعب بن ضمرة فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الكلمة حتى رأيت جيش العدو وقد انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين وانى اظن ان صائحا صاح بهم من السماء فبددهم او ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم ارهم اثرا قال كعب فهممت ان اتبعهم فصاح المسلمون الى اين يا كعب اما كفاك ما نحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما نحن فيه من التعب والنصب ونؤدى فرضنا ونريح خيولنا فما رد الله هذه القوم الا بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب وشربوا الماء وأسبغوا الوضوء وصلوا مافاتهم واكلوا زادهم واستقبلوا الراحة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وابطأ خبر كعب على أبى عبيدة فلما صلى الصبح انتقل من صلاته واقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا ابا سليمان ان اخاك ابا عبيدة ما رقد الليلة غما وانه كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان نفسى تحدثنى بان الذين مع كعب بن ضمرة قد قدر لما اخبرنى هؤلاء الذين يسألون الصلح ان صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم ار اثرا واظن انه صادف اصحابنا وقتلوهم وأفنوهم عن آخرهم فقال خالد والله انى مامنعت مثلك من الغم عليهم فما الذى عزمت ان تصنع قال الرحيل ثم

امر الناس بالرحيل وارتحلوا وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة
ابو عبيدة فما كان غير بعيد حتى أشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام وقد اقاموا لهم من
الديدبان من يحرسهم فلما أشرف عليهم خالد والراية فى يده رافعها فوق رأسه فلما رآها
الديدبان صاح النفير يا انصار الدين فثاروا عن مضاجعهم كأنهم اسد ثائرة واستووا
فى متون خيولهم واستقبلوا صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض هذه والله راية الاسلام
والمسلمين فنزل خالد وسلم عليهم واتصلت بهم الساقة واقبل ابو عبيدة فلما نظر كعب بن ضمرة
حمد الله واثنى عليه ونظر الى موضع القتلى مطروحين وما كان من المسلمين ورأوهم فلما نظروا
الى ذلك عاد فرحهم ترحا واسترجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه
راجعون وسأل كعبا كيف قتل اصحابك هؤلاء ومن قتلهم فأخبره كعب بقتال يوقنا وانه
أشرف هو وقومه ومن كان معه على الهلاك حتى لم يبق فيهم حركة وغمنا ليلتنا هذه فلما
اصبحنا واذا هم قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال فقال ابو عبيدة فسبحان مسبب
الاسباب ليت ابا عبيدة قتل امامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم أمر بدفن المسلمين بعدما جمعهم
زمرا زمرا وصلى عليهم ودفنوهم باسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على اجسادهم اللون
لون الدم والريح ريح المسك والنور يتلألأ عليهم ويدخلون الجنة فلما واروهم فى حفرتهم
قال لخالد ان كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم وعلم بصلحهم انا فيلقون منه تعاعظيما
فالحق بهم فقد وجب علينا ان نذب عنهم لانهم تحت زماننا وارتحل ابو عبيدة يريد حلب فلما
وصل البهار أى البطريق وجنوده قد احدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتلهم ويقال لهم
يا ويلكم صالحتم العرب عن انفسكم وصرتم عونا لهم علينا قالوا قد فعلنا ذلك وانهم قوم منصورون
فقال يا ويلكم ان المسيح لا يرضى بفعلكم فوحق المسيح لاقتلنكم عن آخركم او تخرجون
معى الى قتالهم وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق فاخبرونى بمن بدأ فى هذا الامر
حتى ابدأ به قال فلم يطيعوه على ذلك فقال لعبيده ادخلوا عليهم وأتونى بهم لاقتلهم فقد اخبرنى
فلان انه لقيهم وعرفنى بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وابواب منازلهم
فسمع اخوه يوحنا الضجة فى البلد وهو فى القلعة فنظر الى اخيه وهو يقتل فى الناس وقد قتل
من اهل البلد ثلثمائة فصاح بهم وبأخيه على رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا
ان نقتل عدونا فكيف من هو على ديننا فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا العرب عن البلد
وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا وحق المسيح لا أبقت عليك العرب أبدا وان لهم من يقتص
منك قال ومن يقتص منى قال المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب فقال يوقنا انت حملتهم على
ذلك وانت اول من ابطش به ثم عمد الى اخيه وقبض عليه وجرد سيفه ليعلوه به فلما نظر يوحنا
الى اخيه وقد جرد سيفه علم انه هالك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اشهد على انى مسلم وانى

مخالف

مخالف لدين هؤلاء القوم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال لاخيه اصنع ما انت صانع فان كنت قاتلى فانى صائر الى جنات النعيم فورد على يوقنا من اسلام أخيه مورد عظيم من أهل بلده ومن فزع من المسلمين فحمله الغيظ على أن يرمى برأس أخيه عن جسده والتفت الى اهل البلد فوجدهم يستغيثون فلا يغاثوا ويسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة وقد أخذوا عليهم البلد من سائر جوانبها وقد ايس أهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج وقد أتى والمعونة وقد ادركتهم واشرفت عليهم رايات المسلمين وابطال الموحدين وهم ينادون بكلمة التوحيد ويقدمهم خالد بن الوليد فلما نظر خالد الى اهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لابى عبيدة ايها الامير هلك والله اهل صلحك وزمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحمل الرايه وزعق فى القوم وقال انفرجوا معاشر الاعلاج عن اهل صلحنا ثم اجاد فيهم بالطعن وحمل المسلمون معه وبذلوا السيف فى الاعلاج فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته قال محصن بن عترة فرج الله عن اهل البلد بقتل الاعلاج يوم حلب فى البلد فمن لجا الى القلعة سلم ومن طلب الهرب قتلناه قال محصن فكان جملة من قتل يوقنا من اهل صلحنا ثلثمائة وقتلنا نحن من اصحابه ثلاثة آلاف اويزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها فلما قتل من قتل وفرج الله عن اهل حلب ما يجدون اخبروا ابا عبيدة كيف قتل يوقنا اخاه يوحنا وبالقصة جميعها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع يوقنا سيوف المسلمين صعد القلعة هو ومن معه من جنده واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الاسوار وكثر آلة الحصار واما اهل حلب فانهم اخرجوا لعساكر المسلمين اربعين اسيرا من البطارقة فقال لهم أبو عبيدة لاى سبب اسرتم هؤلاء قالوا لانهم من اصحاب يوقنا هربوا الينا فلم نر ان نخفيهم منك لانهم ليسوا منا ولا معنا فى الصلح قال فعرض عليهم الاسلام فأسلم منهم سبعة واما الباقون ابوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد نصحتم فى صلحكم وسترون منا ما يسركم وسار لكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصن فى هذه القلعة فهل تعرفون لنا عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلناها لكم غنيمة مع ما غنمتم من قومكم حتى نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا أيها الامير والله ما نعرف لها عورة وان يوقنا قد شحن طرقاتها وقطع مسالكها ووعر فجاجها وهذا ما نعلمه ولولا انه قتل يوحنا لكان اخذها سهلا لكم فقال أبو عبيدة وما جرى له فأخبروه بخبره وحديثه مع أخيه وانه اسلم بعد ما رفع يديه الى السماء وما ندرى ما قال غير انا سمعنا طرف كلامه وهو يقول اللهم انى أشهد ان لا اله الا أنت وأن عيسى عبدك ورسولك ومحمدا عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجعلته سيد المرسلين ولا دين اعلى من دينه فاصنع ما انت صانع فلما اسلم قتله قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال فى اى موضع قتله ثم وثب واخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين واتوا الى موضع قتله وهو راس سوق السلاح فوجده ملقى على ظهره وهو كأنه البدر ليلة تمامه مشيرا باصبعه الى السماء وقدمات واصبعه

قائمة فأخذه ابو عبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه فى مقام ابراهيم فلما واروه اتى الى ابى عبيدة رجل من المسلمين فقال اصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من حزبنا ينصحوا ويدلونا على عورات قومهم فقال لا والله ما يفعلون ذلك ابدا فعندها اقبل ابو عبيدة على المسلمين وقال اشيروا على رحمكم الله فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمرو الغسانى وكان رجلا بصيرا بالشام وجباله ومدنه وجميع ارضه وعارفا بطريق الشام فقال اصلح الله الامير انظر الى ما اعرفه من البلد وما عندى من الرأى قال ابو عبيدة تكلم يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين فقال ان الله قد فتح على يدك الشام سهله وجبله وحزنه ووعره وقتل طاغية الكفر وحاميته واما بقايا عساكرهم فهى من وراء الدروب وهى جبال وعرة ومضايق والقوم قد رعبت قلوبهم مما اباد الله منهم وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه القلعة وبث الخيل وشن الغارات فى بقايا البلاد وشاطئ الفرات فما لهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الغسانى وقال هذا والله هو الرأى وانا اشير عليكم بمشورة اخرى ان نزحف نحو القلعة فلعل الله ان يفتحها فى وقتنا هذا فانى اخشى ان طال بنا المقام ان تعطف علينا جيوش الروم من جهة اخرى فيحيلوا بيننا وبينها قال ابو عبيدة يا ابا سليمان لقد اشرت فاحسنت وقلت فصدقت ثم امر ابو عبيدة بالزحف الى القلعة فترجلت الفرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابها واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وانتمت العشائر وتحاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب قال مسروق بن مالك فوالله ما رأيت فى قتال حصون الشام يوما كان اعظم من ذلك اليوم لاننا كنا نشبه دوران الحرب كدوران الرحى تهشم ما دارت عليه وقد برزنا اليهم فى اول حرابهم وتبادرت ابطال اليمن وسادات ربيعة ومضر يتلو بعضهم بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق عليها فاذا دنوا منها اخذتهم الحجارة من كل جانب ورموهم بالمجانيق والفرادات وكنت انا واصحابى اقرب الناس الى الارض ففرغنا راجعين على اعقابنا يدفع بعضنا بعضا الا نظن ان ينجو منا احد فوقعت الخذلة فى المسلمين وقد شرخت منا الحجارة خلقا كثيرا فقتلت بعضنا وبعضا ارمته فكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب بالحجارة عامر بن الاسلع الربعى ومالك بن غزعل الربعى وحسان بن حنظلة ومروان بن عبد الله وسليمان بن فارغ العامرى وعطاف بن سالم الكلابى وسراقة بن مسلم بن عوف العدوى ورجال من اهل اليمن من آل عامر ومن بنى كلاب وغيرهم وسبعة من بنى عبد الله قال مرزوق بن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرة عرجاء من يوم حصار قلعة حلب فعندها نصب ابو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادى بالمسلمين فاجتمعوا اليه فقال ايها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من اصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنوا من القلعة بعد هذا اليوم ابدا وان حاصرونا فلا كيد نهم ولاهبطن الى عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد حدثنى عبد الله بن سليمان الدينورى وكان ممن نقل اخبار الشام وفتوحه من ثقات المسلمين قال حدثنى

عمر وان يوقنا انتخب الفين من خيار بطارقته وابطاله وقال لهم انزلوا مسرعين وليحذر بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وامر عليهم وزيره فنزلوا ليلا من القلعة وجعلوا يدورون حول العسكر الى ان أتوا الى مكان وقد خمدت نيرانهم وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبنى كلاب وعبيدهم قال عبد الله بن صفوان الكلبى كنا تلك الليلة غادين من عدونا آمنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا وطماطم الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد اعلنوا التهرج بزيناتهم فلا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهو لا يعلم من اين دهى ولا كيف يتخلص وقد وقعت الجندلة فى ابطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة أبى عبيدة وينادون أيها الامير كبسنا يوقنا فعندها ركب الامير فى بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته فصاح بأصحابه من كان أخذ شيئا فليتركه ويطلب نجاة نفسه قال عبد الله بن صفوان أخذوا من رجالنا نحو خمسين رجلا من اخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر ومضوا يجمع بعضهم بعضا ويطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل فى أصحابه واقتطع من الروم زهاء عن مائة رجل ووضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل أصحاب يوقنا الى القلعة فتح لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس دعا يوقنا بالمسلمين الخمسين رجلا وهم موثقون بالحبال فقربهم الى موضع ينظرهم المسلمون ويسمعون أصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادى فى عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن الامير أبى عبيدة على كل رجل لا يكل حرسه غيره وليكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكل بعضكم على بعض قال فأخذ القوم حذرهم واعدوا حرسهم واقبل يوقنا يدبر أمره فى مكيدة أخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك جواسيسه تأتيه بالاخبار فى الليل والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان الرومية قال فبينما يوقنا ذات يوم جالس فى قلعته والبطارقة من حوله وقد أضر بهم الحصار واشدّ ما كان عليهم من أهل المدينة لانهم لا ينظرون الى رجل من اصحابه يعرفونه الا أخذوه وسلموه للمسلمين واذا بجاسوس قد أقبل وهو من عيونه فقال له أيها السيد ان أردت ان تكيد العرب فهذا وقتك فقال له يوقنا وكيف ذلك وما الذى عندك من الخبر قال ان العلافة منهم قد خرجوا الى وادى بطنان وقد صالحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رأيت لهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم القمصان الخلقة وبأيديهم الرماح المشبعة وهم يقصدون القرى فى طلب الميرة وهم قليلون وليس هم فى كثرة فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار الفا من اصحابه وقال لهم اصلحوا شأنكم فوحق المسيح لاضيقن على العرب مسالكهم ولاقطعن عليهم طرقاتهم فلما اقبل الليل فتح لهم الباب وسار الجاسوس امامهم حتى استقاموا على الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع

ومعه سرح من البقر يريد بها بلده وقد خرج بها من بلد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما
نظروا اليه اسرعوا نحوه وقالوا احسست بأحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند
الغروب قد اصفرت وهم نحو عن مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال
وهم يريدون الميرة من هذا الوادى من الذين هم فى صلحهم ولسنا نخاف منهم فقال له المقدم
عليهم الآن قد القيت علينا من صلح اهل هذا الوادى ما لم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح
اخبرنا بأى طريق ذهبت العرب فقال من ههنا وأومأ بيده الى الشرق فسار البطريق بمن
معه ولم يعرفوا ان صاحب البقر منهم حتى اذا قرب الصبح اشرفوا على خيل المسلمين وكان الامير
عليها يقال له مناوش فلما نظر مناوش الى خيل الروم قد اقبلت اقبل على أصحابه وقال يا بنى
العرب هذا بطريق من بطارقة الروم قد اقبل اليكم فدونكم واياه والجهاد والصبر على الشدة
تنالوا الجنة ثم حمل وحمل معه أصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا قتالا
شديدا وقتل مناوش بن الضحاك والغطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان
ابن مرة فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من طى وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان
مع المسلمين من الابل والبغال وعاد المسلمون منهزمين فعند ذلك اقبل البطريق على أصحابه
وقال ارموا الاحمال عن هذه الاطوال واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها الناميرة
واطلبوا الجبل واختفوا عن أعين العرب والا ففى هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب
كالرياح تهزمكم فاكمنوا حتى اذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال
وساقوا الدواب والتجؤا فى الجبل الى قرية فأقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة
وأقاموا لهم ديدبان قال عوف بن صباح الطائى كنت فى الخيل لما قتل عمى مناوش ونحن
فى قلة وقد دهمتنا الخيل فلما نظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا أخذنا على
أنفسنا وأتينا المسلمين فبادر الينا أبو عبيدة وقال لنا ما وراءكم قلنا الحرب والطعان قتل منا
مناوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا وأخذوا ما كان معنا من الزاد والدواب فقال أبو
عبيدة ومن الذى دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا الا علم لنا غير
انا رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو فى عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدون
للقتال لا نعلم عددهم ولا من اين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فأصيب اميرنا
وقتل رجالنا واخذوا ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد
ابن الوليد اليه وقال يا أبا سليمان انت لها والمعد لمثلها وانى واثق بالله ثم بك مع انى استخير
الله فى جميع امورى سر على بركة الله تعالى وخذ معك من المسلمين من أردت لعلك ان تقفو
القوم وتعاين موضع اثر الوقعة وتتبع آثارهم عسى الله ان يوقعنا بهم واطلبهم اينما كانوا
وحيث ساروا والعلك تأخذ بثار المسلمين واعلم اننا صالحنا أهل الوادى واننا لا ننقض
عهدنا ولا نحول عن قولنا الا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتالهم من سبيل فاتق

الله

الله فيهم سر برحمك الله قال فأسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة الى أين يا أبا سليمان قال له أسارع الى ما امرتنى به فقال له خذ من أردت معك من المسلمين فقال خالد أنا أمضى وحدى وما اريد احدا فقال له أبو عبيدة كيف تمضى وحدك وعدوك فى عدد كثير قال خالد حتى يكونوا فى ألف او ألفين ألقاهم بمعونة الله تعالى فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فأخذ ضرارا وأمثاله وسار حتى اتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم أهل الوادى وهم يبكون خوفا من المسلمين على انفسهم وذراريهم وان العرب تطالبهم بهم فلما طلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار فتصارخ القوم فى وجهه والقوا انفسهم بين يديه فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا أصحابنا قالوا انا نحن بريئون من دماء اصحابكم ونحن فى صلحكم فاستحلفهم خالد انهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذى وقع بأصحابى فقالوا بطريق بعثه يوقنا من القلعة ومعه ألف فارس من اشد قومه وان لهم فى عسكركم عيونا يخبرونه بما انتم فيه كل ساعة فقال لهم وفى أى طريق قصدوا قالوا فى هذا الطريق فقال خالد أوما حلفتم أن ما عندكم علم بهم قالوا هذا الذى يخبرك من أهل حاب قد أتى يشترى طعاما ولولا أنك اقبلت فى هذه الساعة ما كا عرفنا من قتلهم فقال له خالد على هذا الطريق أخذوا فقال له الرجل نعم ورايتهم يطلبون الجبل فقال خالد لاصحابه ان القوم علموا انهم لا بد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد تعالوا عن طريقنا حتى اذا هجم عليهم الليل فيرجعون الى قلعتهم فعولوا على المسير فى طلبهم ثم انهم ارخوا الاعنة وخالد يقدمهم وقد أخذ معه رجالا من المعاهدين يقفون بهم اثر الطريق والقوم فلما حصلوا فى الطريق قال خالد لواحد من المعاهدين ألهم طريق الى قلعتهم غير هذا قال نعم ولكن اكمن ها هنا فانك تفوز بهم ان شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه فى الوادى وهم يرقبون الطريق فما مضى من الليل الا قليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والبطريق أمامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير فلما توسطوهم صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو وأصحابه فما كان قصد خالد غير البطريق وظن انه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين وقد وضعوا السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم فى الهرب فلم ينج منهم الا من اطال الله أجله وحازوا جميع ما معهم وأتوا برأس البطريق الى أبى عبيدة على راس رمح فوجدوه متلفتا الى قدومهم فلما أشرف خالد بمن معه من الاسارى والاسلاب والدواب هللوا وكبروا فأجابهم العسكر بالتهليل والتكبير قال وأتى خالد ومن معه بالرأس والاسلاب والاسارى فكانوا أزيد من ثلثمائة أسير وروس القتلى سبعمائة فأعرضوا عليهم الاسلام فأبوا وقالوا نحن نعطيك الفداء فقال خالد نضرب رقابهم قبال القلعة فيوهن بذلك عدو الله قال فضربت رقابهم قبال القلعة فقال خالد انا كا نظن انا محاصرون القوم واذا نحن بخلاف ذلك وهم يرقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا وقد قتلوا جمالنا والدواب والصواب ان نجعل عليهم حرسا فى كل طريق يمكننا ولا نمكنهم أن يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا قال أبو

عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان ما أبصرك بالامور فلما كان من الغد صلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر ودعا بعبد الرحمن بن ابى بكر وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ففرقهم حول القلعة ومعهم من اختاروا وأمرهم أن يمسكوا الطريق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام القوم على ذلك مدة فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فأمر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد عنهم اى عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فينتهزها قال فبعد عن المدينة فنزل بقرية بقرب منها يقال لها النيرب وهو يريد حيلة يصل بها الى يوقنا قال ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها ففكر أبو عبيدة غاية الفكرة وقال لخالد يا أبا سليمان ان جواسيس عدو الله تكشف اخبارنا وتوصلها اليه وتخوفه فانى أقسم عليك يا أبا سليمان الا ما جلت فى عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع باحد من جواسيسه قال فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا فى عسكرهم وأن يقبضوا على كل من أنكروه قال فبينما خالد فى طوافه اذ نظر الى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقلبها فجعل خالد يراقبه فاستراب الرجل منه فناداه وقال له من أى الناس أنت يا أخا العرب قال انا رجل من اليمن قال من أيها قال فأراد أن يقول وينتمى الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه فقال انا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال له يا عدو الله أنت عين علينا العدو قال ما أنا متنصر وأنا مسلم فأتى به الى ابى عبيدة وقال أيها الامير قد رابنى أمر هذا لانى ما رأيته قط الا يومى هذا وقد ذكر انه من غسان ولا شك انه من عباد الصليب فقال أبو عبيدة اختبره يا أبا سليمان قال وكيف اختبره قال اختبره بالقرآن والصلاة فان أجابك والا فهو كافر فقال له خالد فصل ركعتين واجهر بالقراءة فبهما فلم يدر ما يقول فقال له خالد أنت يا عدو الله عين علينا ثم استخبره عن شأنه فاخبره وأقرانه عين عليهم فقال له خالد أنت وحدك قال لا ولكنا ثلاثة فانا أحدهم والاثنان قد ذهبوا الى القلعة ليخبروا يوقنا بخبركم وأنا قد تخلفت لانظر ما يكون من امركم فقال له أبو عبيدة اخبرنى اما احب اليك القتل أو الاسلام فليس بعدهما شئ فقال الغسانى انا أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ثم رجع ابو عبيدة الى حلب ومازالت القلعة محاصرة اربعة اشهر وقيل خمسة اشهر وابطأ خبر ابى عبيدة على امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى ابى عبيدة يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله ابى عبيدة سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا ابا عبيدة ان بانقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقى ويضنى جسدى على اخوانى المسلمين ومالى ليل ولا نهار الا وقلبى عندكم ومعكم فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلى طائر وفكرى حائر وكأنك لا تكتب الى الا بالفتح او الغنيمة واعلم يا ابا عبيدة انى وان كنت نائيا عنكم فان همتى عندكم وانى داع لكم وقلبى عليكم كقلق الوالدة الشفوقة على ولدها فاذا قرأت كتابى هذا فكن للاسلام والمسلمين عضدا والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته

وبركاته وبعث الكتاب الى أبي عبيدة فلما ورد عليه وقرأه عليهم قال معاشر المسلمين اذا كان
أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم فى فعالكم فان الله ينصركم على عدوكم ثم كتب جواب
الكتاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أبي عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله
بالشام أبي عبيدة سلام عليك وانى أحمد الله تعالى واصلى على نبيه وبعد يا أمير المؤمنين ان
الله تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد شننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا
مدينة حلب صلحا وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها يوقنا وقد كاد نا مرارا
وذكر له ما جرى له مع أخيه يوحنا وانه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم انه ذكر
له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر واردت الرحيل عنه
وعن محاصرته الى البلاد التى بين حلب وانطاكية وانا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى
جميع المسلمين وبعث الكتاب مع عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فسارا الى ان أخذا
الى طريق هيشت العتيقة وجدا فى السير حتى قطعا أرض الجفار الى صكاصكة وهى حصن
العرب قريبة من تيما فلما وصلا اليها عارضهما فارس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة بلمع
وهو معتقل برمح كأنه قد برز الى عدوه أو قاصدا الى قتال فلما نظر اليهما قصدهما قال عبد
الله بن قرط لجعدة بن جبير يا ويلك أما ترى هذا الفارس وقد عارضنا فى مثل هذا المكان
على مثل هذه الحالة فقال له جعدة وما عسى أن تخوف من فرسان العرب ورجالها وليس
فى هذا الموضع من رفع عمدا أو ضرب وتدا الا وأصبح معنا ودخل تحت طاعتنا وفى شريعتنا
فلما قرب الفارس منا سلم علينا وقال من اين أقبلتما والى أين قاصدان فقالا له رسولان من
الامير أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمن أنت أيها الرجل قال انا
هلال بن بدر الطائى فقالا له مالنا نرى عليك آلة الحرب قال انى خرجت فى طوائف من
قومى وجماعة من أصحابى نريد الشام للجهاد لكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما رأيتكما
فى بطن الوادى قصدتكما لانظر ما قصتكما ولى أصحاب من ورائى مقبلون ثم سلم عليهما وولى
فركضا مطيتهما وسارا واذا بالخيل قد أشرفت والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر ارسالا يتبع
بعضها بعضا الى أن لحقوه فاخبرهم بقصة صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك
وساروا يريدون الشام وأما عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا
المسجد وسلما على عمر بن الخطاب وعلى المسلمين ودفعوا اليه الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع
كفيه الى السماء وقال اللهم اكف الناس شر كل ذى شر ثم أمر مناديا فنادى فى الناس الصلاة
جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبي عبيدة فلما قرأه قدم عليه راكب من حضرموت
وأقاصى اليمن من همدان ومدان وسبا ومارب يسألونه أن ينفذهم الى الشام فقال لهم عمر
فى كم أنتم بارك الله فيكم قالوا نحن زهاء عن أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين ومعنا أناس
يمشون على اقدامهم لا ركاب لهم فان كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى نصل الى
عدونا فقال لهم عمر وكم يبلغ الرجال الذين معكم قالوا أربعين ومائة رجل فقال لهم عرب أو موالى

قالوا عرب وموالى أذن لهم ساداتهم فى الجهاد والمسير الى الاعداء فعند هاد عاعمر بعبد الله
ابنه رضى الله تعالى عنهما وقال امض الى مال الصدقات فات القوم بسبعين راحلة ليتعقبوا
عليها و يحملوا زادهم وميرتهم على ظهورها فاسرع عبد الله بن عمر واتى بسبعين بعيرا وسلمها
اليهم وقال لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا الى حرب عدوكم ثم كتب
الى أبى عبيدة أما بعد فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرنى ما سمعت من الفتح والنصر على
اعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ماذكرته من انصرافك الى البلاد التى بين حلب
وانطاكية وتترك القلعة ومن فيها هذا رأى غير صواب تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت
مدينته ثم ترحل فيبلغ ذلك الى جميع النواحى انك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك
و يعلو ذكره و يطمع من يطمع و يجترى عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه
الجواسيس وتكاتب ملوكها فى أمرك فاياك أن تبرح من مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم اليك
ان شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين وبث الخيل فى السهل والوعر والضيق
والسعة واكناف الجبال والاودية و بين المغارات الى حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل
صلحه ومن سالمك فسالمه والله خليفتى عليك وعلى المسلمين وقد انفذت كتابى اليك ومعه عصبة
من حضرموت وغيرهم واهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب فى الجهاد فى
سبيل الله وهم عرب وموالى فرسان ورجال والمدد يأتيك متواترا ان شاء الله تعالى والسلام
وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط و جعدة وجعل القوم يجدون فى سيرهم ومع ذلك يسألون
عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد وقتل الروم الى ان سألوهما عن مستقر
العسكر فقال لهم عبد الله ان جميع المسلمين واميرهم محاصرون بقلعة حلب وفيها عظيم من
عظماء الروم ومعه اعلاج من اصحابه وقد تحصنوا فى رأس قلعته فقالوا له يا ابن قرط ماهؤلاء
لا يدخلون فى جملة من صالح من اصحابهم فقال لهم يا معاشر العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك
رجالا هم اشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل ابطالا وانه ليغار على اطراف العسكر
فى وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب اموالهم ويرجع الى قلعته وربما انه يستتر فى سواد الليل
فى طلب العلافة فيقع بهم فيأسر بهم ويأخذوا بهم وجميع زادهم وميرتهم ثم يعود الى قلعته
ونحن لا نعلم به وان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون قال وكان فيمن سمع
كلامه وفهمه مولى من موالى بنى طريف من ملوك كندة يقال له دامس ويكنى بابى
الاهوال مشهور باسمه وكنيته وكان اسود كثير السواد دصاصا كأنه النخلة السحوق اذا ركب
الفرس العالى من الخيل تخط رجلاه بالارض وان ركب البعير العالى تقارب ركبتاه رجلى
البعير وكان فارسا شجاعا قويا قد شاع ذكره ونما امره وعلا قدره فى بلاد كندة واودية حضرموت
وجبال مهرة وارض الشجرة وقد اخاف البادية ونهب اموال الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه
الخيل العتاق وكان اذا أدركته العرب فى بدايتها تعجبت من صولته وشجاعته وبراعته فلما سمع
دامس ابو الهول بذكر يوقنا وما فعل بالمسلمين كاد ان يتمزق غيظا وحنقا وقال لعبد الله

ابن

ابن قرط أبشر يا أخا العرب فوالله لأجتهدن فى ان يخذله الله على يدى فلما سمع عبد الله كلامه جعل ينظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك آمالا لا تبلغها وأشياء لا تدركها يا ويلك ألم تعلم ان فرسان المسلمين وابطال الموحدين بأجمعهم له محاصرون ولاصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر احد له على شر وقد كاد ملوكا وقهرها فلما سمع دامس كلام عبد الله بن قرط غضب وقال والله يا عبد الله لولا ما يلزمنى لك من اخوة الاسلام لبدأت بك قبله فاحذر أن تزدرى بالرجال وان أحببت أن تعرفنى فتسأل عنى من حضر من أهلى وما قد تقدم من فعلى الذى من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور وكم من عساكر قتلتها وجموع فرقتها ومحافل بددتها وغارات شننتها ولا يضام لى جار ولا يلحقنى عار وبحمد الله أنا فارس كرار غير فرار ثم تركه مغضبا وسار امام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله بن قرط يا أخا العرب ارفق بنفسك فانك وايم الله تخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال ان كان فى حرب كان فى أولها لا يدركه من طلب ولا يفوته من هرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم واطنبتم فى ذكركم وأرجو ان يجعل الله فيه خيرا وفرجا للمسلمين قال ثم أخذ القوم فى جد السير حتى قدموا حلب الى أبى عبيدة وهو منازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد احاط المسلمون بالقلعة من كل جانب فلما أشرف القوم عليهم أخذوا فى زينتهم وجردوا سيوفهم واشهروا اسلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا بأجمعهم وصلوا على نبيهم فأجابهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا عليه وانزل كل قوم عند بنى عمهم وعشيرتهم وبوقنا مازال فى كل ليلة ينشط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك انه كان لا يقاتلهم الا قليلا ولا يظهر من القلعة نهارا أبدا وكان اكثر خروجه فى وقت خروج الناس فلما بات المسلمون القادمون فى تلك الليلة ونظرت طى وشنيس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس وعظم حرسهم وحذرهم أقبل دامس ابو الهول على اهله الذين نزل عليهم من ظريف وكندة فقال لهم دامس والله ما أنتم محاصرون لا محالة فقالوا له وكيف ذلك قال لان العدو فى رأس قلعته وانتم فى قصاد العدو من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا الخوف قالوا يا أبانا يا أبا الهول ان صاحب هذه القلعة علج ميشوم يرتقب غفلتنا ويغير على اطرافنا ويأتينا من مأمننا فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالضجة وقد وقعت فى طرف عسكر المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس منتضيا حسامه منكا حجفته وطلب الناحية التى سمع منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا فى خمسمائة رجل أبطال أنجاد وليوث شداد وقد وجد فرقة من القوم فلما نظر دامس الى الروم وقع فى أواسطهم وجعل يقول

أنا أبو الهول واسمى دامس * أكر فى جمعهم مداعس
ليث هزبر بطل ممارس * أدعوا كل عدونا كس

قال وجعل يضرب فى أعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بنى ظريف من شجعانهم وفرسانهم

فلما نظر يوقنا ما نزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى رأس درب القلعة وكندة من ورائه فناداهم أبو عبيدة عزيمة منى عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد فى ظلمة هذا الليل فقال الناس يا أبا الهول ان الامير يعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله وتراجع القوم الى رحالهم وقد لمت كندة بلاء حسنا والناس قد نحو جوا فلما أصبح الناس واجتمعوا للصلاة مع أبى عبيدة فلما قضيت الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من أمراء المسلمين فجعلوا يذكرون لذاتهم فقال خالد أصلح الله الامير لقد رأيت كندة وقد بلت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها وما زالت تضرب حتى أزالت عنا حامية الكفر والعدو فقال أبو عبيدة صدقت والله يا أبا سليمان والله لقد اسعدت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون أحسن دامس وأجاد أبو الهول فقام الى أبى عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرداس بن يكرب فقال أصلح الله الامير دامس هو أبو الهول وهو مولى ظريف قدم مع هذا الوفد الذى ورد بالامس وهو رجل يفجر ويهول على الابطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة فقال أبو عبيدة لخالد ما تسمع كلام سراقة فى عبدهم دامس فقال خالد يوشك أن يكون صادقا فى قوله ولقد سمعت بذكره وحديثه وشجاعته وبراعته ولقد أخبرنى رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهرى ان دامسا هذا أغار وحده وهم على ساحل البحر فى سبعين رجلا من أهل مهرة وكان دامس هذا يطلبهم لاجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون منه ومن شره وبأسه فكانوا مع ذلك يفتقدون بأموالهم ودوابهم ويهربون الى أطراف الجبال وسواحل البحر حذرا منه وكان مع ذلك يسأل عن أخبارهم ويطلع على آثارهم فلما صح عنده نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للغزو فتشاغلوا ولم ينفر منهم أحد معه وكان خبيرا بالبلاد سهلها ووعرها وبرها وبحرها فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتقه فأتاه أناس من قومه وقالوا له الى أين تريد وما هذا الذى معك فقال يا قوم أنا أريد الغارة على بنى الشعر وآخذ بالثار وأكشف العار فقال له مشايخ الحى ما رأينا أعجب من أمرك وأنت تعلم أن بنى الشعر سبعون فمن يريد أن يغار عليهم وحده ويأخذ منهم بالثار ما سمعنا بهذا أبدا وانا نرى أن تقصد جوادا وكانت جواد هذه أمة لبنى حياس من الحضارمة وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها أسفل وكان دامس هذا يهواها وكلما يأخذه من الاموال والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرته وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع لها بالكثير فظن القوم أنه مضى اليها وقصد نحوها بحملته التى معه من رزمته فقال لهم وأيم الله انه بطل ما تظنون وسوف تعلمون انما أفعله الحق واليقين قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرعى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وجحفته وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته حتى اذا كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية فأبركها وحل رحلها وعقلها ودورها ترعى معقولة ثم اكمن بين حجرين وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدوروا به فلما مضى

عليه نهاره وأقبل ليله أتى الى راحلته وأبركها وارحلها واستوى فى كورها وسار حتى اشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى أشرف على الحى وكان فى ذلك الشرف شجر من الطلح فابرك ناقته ولزم شدقها الثلا ترغى فيسمع القوم رغاها ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب واتى الى تلك الشجرة فجعل على عود منها مثل عمامة الرجل ويأتى بالعود ينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ولم يزل حتى أقام أربعين عودا على هذه الصفة وجعل عليه حلة حمراء أرجوانية وهبط من ذلك الشرف الذى عليه الثياب وقصد الحى ودار حول بيوتهم وتفكر فى امره وكيف يحتال وقد مضى أكثر الليل ثم صبر الى ان طلع الفجر وسار نحو الساحل فلما قرب منهم صاح فيهم وقال دنا أجلكم أنا أبو الهول ولقد أصبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر وجعل ينادى بالثار ظريف يا آل ظريف يا آل كندة فلما وقع صوته فى أسماعهم زهات رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين والى الساحل نحو الجبل طالبين وهو من خلفهم فلما رأوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه لما رأوه وحده ولم يروا أحدا من ورائه وأخذوا فى طلبه فجعل يعكف عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا الى شدة بأسه وعظم مراسه وهول جولته وشدة حملاته أرادوا أن يسبقوه الى الشرف ليأتوا اليه من ورائه فلما علم انهم قد قاربوا الاعواد التى عملها وعليها الثياب خاف أن ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر فسبقهم الى الشرف وسار امامهم واقبل على الاعواد مخاطبا لها كأنه يخاطب الرجال وهو يقول يا أهل كندة يا أهل ظريف اياكم والقوم قد أتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا أفديكم بنفسى فان رأيتم على الحيف فاحملوا على القوم فمد القوم أبصارهم اليه فوجدوا عنده الثياب على الاعواد فى انشقاق الفجر فلم يشكوا انهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادى ألا يا قوم أقسمت عليكم أن لا تبرحوا من أماكنكم وأنا اكفيكم مؤنة القوم وحدى فرجعت بنو مهرة ناكسين على أعقابهم هذا قد أردف زوجته وهذا اولاده وهذا أمته وهذا أخذ ما قدر عليه من أثاثه ورجع أبو الهول الى الحى فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز فأمر العبيد أن يقربوا الجمال وحملوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعادوا أخذ الثياب من على الاعواد ولحقهم وأتى بهم ديار قومه فأعجبوا منه ومن فعاله فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد أقبل على سراقة وقال له ادع لى عبدكم حتى انظر اليه واسمع كلامه فأتى به سراقة فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال نعم اصلح الله الامير فقال له بلغنى عنك عجائب وأنت وايم الله أهلها الا انك جزل من الرجال واعلم انك وقومك تقاتلون فى بلاد سهلة لا تؤتون الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة أثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يوقنا فقال له دامس اصلح الله الامير لقد غزوت مهرة وأخذت أموالها وان جبالها منيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر وما هذه بأمنع من تلك الجبال فقال ابو عبيدة أنا أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك من أمر هذه القلعة بشئ فقال دامس اصلح الله الامير انى لما قدمت عليك فى هذا الوقت كنت رأيت

فى نومى رؤيا فقال أبو عبيدة وما الذى رأيت أراك الله الخير قال رأيت كأنى سائر فى وطأة من الارض وانى مجد أطلب قومى فبينما أنا فى مسيرى اذ أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فناديتهم يا قوم ما شأنكم وأى شئ عرض عليكم فى طريقكم فقال لى القوم ماترى هذا الجبل كيف قد عرض لنا فى آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع فقلت على رسلكم ألا ترون الى هذه الفجرة فى هذا الجبل فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفذ ولا مطلع فقلت ولم ذلك قالوا الآن فيه ثعبانا عظيما لا يمر به احد الا واهلكه وقد قتل رجالا وجندل أبطالا فقلت يا قوم الا تهجمون عليه باجمعكم قالوا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من انفاسه وليس لنا عليه من سبيل فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا من وراء ظهره فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم والتمست لى طريقا فلم أجد الا طريقا صعبا حرجا فاقتحمته فما سلكته الا بعد المشقة وأتيت الى الثعبان من ورائه فقتلته ثم أشرفت على قومى فاتبعونى فاوصلوا الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا رأيت وخيرا يكون يا دامس أما رؤياك هذه فانها للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة ثم قال له اجلس مكانك وأمر أبو عبيدة أن ينادى للمسلمين فحضر رؤساء المسلمين واعيانهم فلما حضروا قال أبو عبيدة الله اكبر فتح الله ونصر وحيانا بالظفر وخذل من كفر ثم قال يا معاشر المسلمين اسمعوا رؤيا أخيكم دامس فانها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر قال فاقبلوا يسمعون له فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال الحمد لله وصلى الله على رسوله وسلم ثم قال معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا فى كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الغلبة على أعدائنا والظفر بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده وانى نذرت ان فتح الله هذه القلعة على يدى اصنع من البر ما استطعت والآن قد هجس فى نفسى ووقع فى قلبى انا ظافرون بهذه القلعة ومن فيها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لانه قد دلنى على ذلك رؤيا هذا الغلام ثم قبض بكفه على زند أبى الهول وقال له رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت فى منامك فقام دامس قائما وقال اعلموا انى رأيت فى منامى كذا وكذا وجعل يقص على الناس رؤياه من أولها الى آخرها فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبى عبيدة وقالوا له أيها الامير قد سمعنا قوله وحفظنا شرحه فما تأويل رؤياه قال أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله ان الجبل الذى رآه عاليا شامخا شديدا الامتناع بين الشعاب والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وأما الثعبان الذى رآه وقد منع الناس وقد هجم عليه بسيفه فأمر حسن هو أن يفرج الله على يديه عن المسلمين ففرح الناس بتأويل أبى عبيدة وقالوا أيها الامير فما الذى تأمرنا به فقال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة على الاعداء طوعا وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله واصلحوا شأنكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فانى اقدمكم غداة غد الى أعاديكم الى أن يحدث لى رأى غير هذا فانى لست أدع الاجتهاد فى الرأى والمشاورة لمن اثق به وبرأيه من المسلمين فقالوا باجمعهم وفق

الله

الله رأيك ايها الامير وظفرك الله باعدائك انه سميع عليم فعال لما يريد ومضوا الى رحالهم
فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح آلة حربه وفرسه وهذا يتفقد درعه وهذا قوسه ونشابه وما
زالوا كذلك بقية يومهم فلما اصبحوا دعا أبو عبيدة بدامس وقال له أيها الولد المبارك ماذا ترى
فى امر هذه القلعة وما عندك من الحيلة فقال دامس اعلم أيها الامير انها قلعة منيعة شامخة
حصينة تعجز الوافد وتمنع القاصد فى اهلها لمحاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال غير انى افكر
فى حيلة احتالها او بلية اعملها وارجو من الله ان يتم ذلك عليهم فيكون ما فيه بدادهم ويهلك
بمشيئة الله ديارهم ونقلع آثارهم فقال ابو عبيدة يادامس وما هى فقال اصلح الله الامير انت
تعلم ما فى اذاعة الاسرار من الشر والاضرار ومن كتم سره كانت الخيرة فيما لديه ويقال ان
دامسا هذا أوّل من تكلم بهذه الكلمة فرت مثلا فقال أبو عبيدة فما الذى تشير اليه وما
الذى تعتمد عليه قال تزحف بعسكرك وجملة من معك من أصحابك حتى تنزلوا بازاء القلعة
ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعلم أن فى ذلك من الحيل ما أرجو من الله أن يتمها ان شاء الله
تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فأمر أبو عبيدة لعسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا
تحت القلعة وهللوا وكبروا واظهروا سلاحهم وأرهبوا اعداء الله تعالى قال فأشرف عليهم
الروم ونظروا الى جمعهم فهابوهم وألقى الله الرعب فى قلوبهم حتى انهم اضطربوا فى قلعتهم
وماجوا وجعل كبراؤهم يستشيرون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل نتعهد فى قلعتنا
فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الابراج
والبنيان وجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا ودامس مع
ذلك يعمل حيلة فيما يصل اليهم بسوء قال فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما اقبل دامس
على أبى عبيدة وقال له ايها الامير قد عجزت وانا أعمل حيلا فاصعد من يدى فى حقهم شئ وقد
افتكرت فى شئ وأرجو من الله ان يكون به الظفر والظهور على اعداء الله فقال أبو عبيدة وما
الذى دبرت قال تضيف الى من صناديد الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة
والاعتراض على فيما آمرهم به وأفعله واراه فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ثم ضم اليه ثلاثين رجلا
من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال لهم ابو عبيدة معاشر المسلمين انى قد امرت دامسا عليكم
وامرتكم بالطاعة والقبول لامره واعلموا رحمكم الله أنى ما امرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا
ونسبا ولا اعظم موكبا ولا اشدّ بأسا ولا أكثر مالا فلا يقل احدكم انى قد امرت
عليكم عبدا احتقارا بكم وبالله احلف مجتهدا لولا ما يلزمنى من تدبير هذا العسكر لكنت اوّل
من ينهض معه فى جمعكم وانا ارجو من الله أن يفتح على ايديكم قالوا واقبلوا عليه بجمعهم وقالوا
أصلح الله الامير ما نشك فى انظامك لنا ومعرفتك بسابقتنا ولقد كان كلامك الاوّل اثر فى
نفوسنا وها نحن لك وبين يديك وامرت علينا لجا الغلاف لم نخرج لك من امر ولا رأى اذ علمنا انك
لا تريد الا نصح الدين وحياطة فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لمن وليته علينا من قبلك كائنا من
الناس اجمعين قال ففرح ابو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم اعلموا

رحمكم الله تعالى ان نفسى تحدثنى ان الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسير وامعه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى فؤاداً على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم اقبل على دامس فقال له يا دامس ما الذى تحب بعد هذا قال ترحل انت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وأن يختفوا ما استطاعوا ويكون لك رجال تثق بشدتهم ونجدتهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير ان يعلم بهم وبنا احد ويكونون بغير سلاح سوى الخناجر فاذا عاينوا منا الظهور على اعدائنا والظفر بهم يلحقوك ويبشروك بذلك فتلحق بنا ان شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين ولا يكونوا فى موضع واحد فان ذلك اسلم لهم وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان فى جميع الامور والاحوال فعلم أبو عبيدة انه نصيح من الرجال صاحب رأى وبصيرة ثم ان دامسا اقبل على رفاقه الذين ولى عليهم وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن فى بعض هذا الوادى مادام الناس عازمين على الرحيل وتشرف الروم ينظرون الى رحيلهم فلا يتفق لنا ان نطلب لنا مكمنا اذا أشرفوا من أعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وجحفته وخنجره لا غير ففعلوا ذلك فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت أثوابه واخذ جماعته وخرج بهم حتى اذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم واشخاصهم وهو سائر بهم حتى اتى بهم كهفا فى الجبل فأمرهم بالدخول اليه وجلس على بابه قال واما ابو عبيدة فانه امر الناس بالرحيل بعدما رتب الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم اهل القلعة فرأوهم يرحلون ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وصاروا يصيحون على المسلمين من اعلى القلعة وقالوا لبطريقهم أيها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل أن نقتل منهم احدا أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى العشاء فقال دامس لاصحابه من فيكم ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبر منها او يقدر على رجل يأسره فيأتينا به فنأخذ منه خبرا فلم يجبه أحد فقال انا اعلم ان ما فى هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وانا لكم الفداء فانظروا كيف تكونون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعة واذا به قد اتى ومعه علج وقال لهم يا فتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله فقال على رسلكم فغاب غير بعيد وأتى بثلاثة أخر فلم يكن فيهم من يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هؤلاء ما افظع لغتهم واكثر طمطمتهم ثم اوثقهم كتافا وغاب الى ان مضى من الليل نصفه ولم يأت فقلق عليه اصحابه قلقا شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض انا أقول ان دامسا قد فطن به فقتل او اسر وما جوا فى ذكره وهموا ان يرجعوا الى العسكر فبينما هم فى ذلك اذ دخل عليهم دامس وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوه بين عينيه وسألوه عن ابطائه وقالوا له يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا فقال اعلموا رحمكم الله تعالى انى لما فارقتكم سرت الى قريب من سور القلعة وكمنت لهم وهم يمرون على وهم يطمطمون

بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك وأنا أطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها فلم أرأحدا حتى ايست وهممت بالرجوع خائبا اذ سمعت هدة شديدة قد وقعت من أعلى السور فأسرعت اليها لانظر اليها ماهى فاذا أنا بهذا الرجل وقد القى نفسه من القلعة الى أسفل السور فبادرت اليه وأخذته وأتيت به اليكم فانظروا ماهو فدنوا اليه وخاطبوه فلم يكلمهم الا بلغته واذا به قد انفتحت جبهته فقال لهم دامس اعلموا ان له شأنا وأى شأن وانى أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من يفهم مايقول ولكن على رسلكم فأنا آتيكم بمن يتكلم بلسانه وبالعربية ثم أسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليل واذا به قد عاد ومعه رجل قد نزل عمامته فى رقبته وهو يقوده حتى مثله عندنا قالوا له من المدينة أنت أم من القلعة فقال له دامس من أنت تكون من الروم أم من العرب المتنصرة قال لا ولكنى من العرب المتنصرة فقالوا ياهذا أهل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ونحن نطلق سبيلك ولا يتعرض اليك أحد بسوء فقال ياهؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعنى فى دينى ولا رأيت أن أدلكم عليها وحق المسيح قال فاغتاظ منه دامس وقال له اسأل هؤلاء الاسارى هل فيهم أحد من أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم فلم يجد فيهم أحدا من أهل الربض بل كلهم من أهل القلعة وأنا أعرفهم فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك فسأله فقال له انه يقول ان الملك يوقنا غضب على اهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يتهددهم فلما انصرفت العرب نزل يوقنا فجمع رؤساءهم وأصعدهم الى القلعة وأنا فى جملتهم وطلب منا من الاموال مالا طاقة لنا به ولا نقدر عليه فلما رأيت ماقد نزل بنا هربت والقيت نفسى من القلعة أطلب الفرج والنجو من العقوبة فلم أشعر الا وانت قد قبضت على وأنا من اهل الربض فان كنت من العرب فأنا فى ذمتكم وأمانكم فلا تنكشفوا ولا تغدروا وان كنتم من غيرهم فاطلبوا منى ما أردتم فداء فانى قد هربت من العقوبة فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا بأس عليك ولا خوف ولا ينالك منا سوء وأراد دامس أن يورى للربضى مايفعل بأعدائه فاخرج الروم والمتنصر وضرب رقابهم ولم يدع غير الربضى ثم أطلقه واستمروا الى الليل وعمد دامس الى مزودة فاستخرج منها جلدا ماعزا وألقاه على ظهره وأخرج كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله واستعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا نفوسكم وقدموا الحزم فى اموركم فانى معول على فتح هذه القلعة ان شاء الله تعالى فقالوا اسر على بركة الله تعالى فقاموا مسرعين وتقدم دامس وبعث رجلين من اصحابه يعلمان ابا عبيدة بشأنهم ويقولان له ابعث الخيل عند طلوع الفجر قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشى على أربعة والجلد على ظهره وكلما احس بشئ قرض فى الكعك كأنه كلب يقرض عظما وهم من ورائه يقفون أثره وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا اصوات الحرس وزعقات الرجال من اعلى القلعة والحرس شديد فلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى ان

اتى الى مكان لم يجد به حساً واذا بحرسه قد ناموا وراء المكان ولم يروا فى السور اقرب منه فقال
دامس لاصحابه انتم ترون الى هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس فيها حيلة لشدة الحرس
ويقظة القوم فما الذى ترون من الرأى أن نصنع بها وكيف الحيلة فى الصعود اليها الى أن
نحصل فى وسطها فقالوا يا دامس ان الامير أمرك علينا وأنت أدرى منا وأوجاجنا ونحن لك
وبين يديك فمهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا تتأخر عنه ووالله ان قتل نفوسنا وذهاب
رواحنا اسهل علينا من الرجوع بغير فائدة فلك الامر ومنا السمع والطاعة فليس منا من يتأخر
عنك ولا نموت الا تحت ظلال السيوف وفى طاعة الله ونصرة دين الاسلام فقال دامس شكر الله
فضلكم ورزقكم النصر على اعدائكم فان كانت هذه نيتكم فالتصقوا بنا الى هذا المكان
قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واثنان كانوا أرسلوهم الى الامير يعلمانه بأن يأتى اليهم الصبح
فقال لهم دامس افيكم من يقدر على الصعود الى هذه القلعة فقلنا له يا ابا الهول وكيف لنا
ان نرقى اليها وعلى اى شئ نصل الى اعلاها بغير سلم فقال على رسلكم ثم انه اختار منا سبعة
رجال كالاسود الضوارى لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم جلس
على قرافيصه وقال لاحد السبعة اجلس على منكبى وارم بحيلك الى الجدار واجلس
كما أنا جالس ففعل الرجل ما امر به وامر آخران يفعل ويصعد على منكبى الآخر وان يرمى
بقوته على الجدار قال ففعل ثم انه لم يزل يصعد واحد بعد واحد الى ان صعد الثامن
وقوتهم على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك امر الاعلى ان يقوم قائما وان يطرح حيله على
الجدار فقام الاول وقام الثانى ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد
منهم قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق
بها فاستوى على السور ونظر الى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو ثمل من الخمر فأخذ بيده
ورجله ورماه فلما وصل الى الارض قطعوه واخفوا جسده ووجد اصحابه اثنين سكارى وهم
رقود فذبحهم بخنجره ورمى بهم ثم ارخى عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور وكان
دامس قد اعطاه حبلا فبقوا ينشلون به بعضهم الى ان تكاملوا الى السور واصعدوا من بقى
معهم على الارض وكان آخر من صعد ابا الهول فقال لهم مكانكم حتى اقفوا الخبر واكشف
لكم الاثر ثم انه اتى الى دار البطريق وهو فى وسط القلعة واذا عنده سادات البطارقة واكابرهم
وهم جلوس وبين ايديهم بواطى الخمر ويوقنا جالس فى وسطهم على بساط من الديباج منسوج
من الذهب وعليه بدنة من اللؤلؤ ومعصب بعصابة من الجوهر والقوم يشربون والمسك والبخور
يفوح من عندهم فعاد دامس الى اصحابه وقال اعلموا ان القوم خلق كثير وان هجمنا عليهم فلا
نأمن من الغلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما هم فيه فاذا كان وقت السحر هجمنا على
يوقنا ومن معه من الملوك نقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم واذلهم الله لنا وعلى أيدينا فهو الذى
نريد وان كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ولا شك ان الرجلين من اصحابنا قد
اعلما خالد بن الوليد فيأتينا فقالوا ما نخالف لك امرا ونحن قد جعلنا فى قلعة هؤلاء الاعداء

وليس

وليس ينجينا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا فقال لهم مكانكم فلعل ان افتح الباب قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابون داخلهما والرجال تنام عندهم بالنوبة فلما وصل دامس الى الباب وجده مغلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين وتركهم مردودين ورجع الى أصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم أبشروا فانى قد فتحت الابواب وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاسبقوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقى القوم حصيدا بأسياف المسلمين ان شاء الله تعالى قال وأرسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ثم أرسل خمسة من أصحابه يمسكون الباب وأخذ الباقين ومشى نحو دار يوقنا فصاحوا عليه ووقع الصائح فى القلعة فرجعوا بأجمعهم الى الباب وأخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها جاءتهم الابطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ يوقنا بأصحابه فأتوا من كل جانب فعندها كبر المسلمون ونادوا بلسان واحد الله اكبر فخيل للروم ان القلعة ملآنة منهم قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضارية فما رأيت اقوى بأسا ولا أشد مراسا من دامس ابى الهول فى ذلك اليوم فلقد عددنا فى بدنه بعد ما انفصلنا ثلاثة وسبعين جرحا كلها فى مقدمة بدنه قال فبينما نحن فى اشد القتال ونحن يحمى بعضنا بعضا وقد بقى منا ثلاثة وعشرون وقتل منا أربعة وهم أوس بن عامر الجزعى من بنى حزم وأبو حامد بن سراقة الحميرى والقارع بن مسيب التميمى وفزارة بن مراد العوفى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لقد حدثنى نوفل بن سالم عن جده غويلم بن حازم وكان ممن صحب دامسا فى قلعة حلب قال لما قتل من قتل منا وقد قتل أيضا ملاعب بن مقدام بن عروة الحضرمى وكان ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وتبوك ومرارة بن ربيعة العامرى وهلال بن أمية وهو ابن أخى كعب الذى تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبوك وأنزل الله فيه ما أنزل قال وبقينا عشرين رجلا وتكاثرت الروم علينا فى أزيد من خمسة آلاف وهم سد من حديد قال ونحن قد أيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف فوجدونا ونحن فى اشد ما يكون من القتال فلما دخلوا علينا صاح فيهم خالد فانجفلت الروم عنا قال أوس فلما رأيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت المسلمون ودخل ضرار ومثاله يضربون رقابهم فلما رأى الروم ذلك علموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع بهم فألقوا السلاح ونادوا الغوث الغوث وكفوا أنفسهم عن القتال فكفت المسلمون ايديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ اقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فأخبروه أن الروم يطلبون الامان وان المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى ان تأتى وترى فيهم رأيك فقال ابو عبيدة قد وفقوا وسددوا فأمر باحضار رجالهم ونسائهم فعرض عليهم الاسلام فكان اول من اسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم قال فرد عليهم اموالهم وأهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والاسر وأخذ عليهم العهود ان لا يكونوا الا مثل أهل الصلح والجزية وأخرجهم من القلعة قال ثم أخرج المسلمون من الذهب والاوانى ما لا يقع عليه عدد فأخرج منه الخمس وقسم الباقى على المسلمين وأخذ الناس فى حديث دامس

وحيله وعجائبه وعالجوا جراحته حتى برأت قال وأعطاه أبو عبيدة سهمين ثم ان أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين وأكابرهم وشاورهم فى الامر وقال ان الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدى المسلمين وما بقى لنا موضع نخافه فتى نقصد انطاكية وهى دار الملك وكرسى عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل فما ترون من الرأى قال فعندها قام البطريق يوقنا وتكلم بلسان عربى فصيح وقال أيها الامير ان الله تبارك وتعالى قد ايدكم وظفركم بعدوكم ونصركم وماذاك الا أن دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور فى الانجيل وهو لا محالة الذى بشر به المسيح ولا شك فيه ولا مرا وهو الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل وهو النبى الكريم اليتيم الذى يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا أيها الامير فقال أبو عبيدة نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم وانى يا يوقنا قد حرت فى أمرك وانت بالامس تقاتلنا ومرادك تكسر عسكرنا وتقطع الطريق على علوفتنا واليوم تقول مثل هذا القول وقد بلغنى انك لا تفهم بالعربية شيأ فمن أين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله وانت تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها الامير انى كنت البارحة مفكرا فى أمركم وقد وصلتم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة اضعف منكم وتوسوست فى ذلك فلما نمت رأيت شخصا أبهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الازفر ومعه جماعة فسالت عنه فقيل لى هذا محمد رسول الله فكأنى اقول ان كان نبيا حقا فيسأل ربه ان يعلمنى العربية وكانه يشير الى وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذى بشر بى المسيح وانا لا نبى بعدى وان اردت فقل لا اله الا الله وانى محمد رسول الله قال فاخذت يده فقبلتها واسلمت على يديه واستيقظت وفى من تلك الليلة كالمسك الازفر وانا أتكلم بالعربية ثم انى قمت الى منزل اخى يوحنا وفتحت خزانة كتب فوجدت فى بعض الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره ووجدت كل الصفات صحيحة وان ابغض الخلق اليه اليهود اكان ذلك ايها الامير ام لا فقال ابو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبنا اشد الطلب حتى نصرنا الله عليهم واخذنا حصونهم وقتلنا ابطالهم قال يوقنا وجدت هذا فى سيرته وجملة اخباره وان الله تعالى كان يوصيه بأصحابه وبالمسلمين وبالايتام والمساكين اكان ذلك ام لا قال ابو عبيدة نعم اما وصيته من الله على اصحابه فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال فى حق اليتيم والمسكين فأما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال وهو عند الله كريم فقال له معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وجدتك ضالا فى تيه محبتنا فهديناك الى مشاهدتنا وأيضا اسهل لك الوصول الى سبل المكاشفة ووفقك للوقوف فى مقام المشاهدة ووجدك ضالا فى مجال الطلب على مركب الطلب فهداك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقائق الصدق لتكون بقلبك مائلا عن الاغيار وتهيم فى قيعان الاختيار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك منا خبر ولا معك منا أثر الحنا لك لوائح الرضى وكشفنا لك عن واضح القضى أما علمت يا يوقنا انه لا شئ عند المؤمن أوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا

حسب

حسب أوضح من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من الجهل ولا شئ أعز من التقوى ولا شئ أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخذى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخوف ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياء أحسن من الصحة ولا معيشة أهنى من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع ولا زهد خير من القنع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه وقال هكذا قرأته في كتب أخي يوحنا وهو مذكور في الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا وقال الحمد لله الذى هدانى الى هذا الدين ووالله لقد رسخ هذا الدين في قلبي وعلمت انه الحق وسأقاتل في الله كما كنت أقاتل في طاعة الشيطان ووالله لانصرن هذا الدين حتى ألحق باخي يوحنا ثم انه بكى بكاء شديدا على مافرط في امر اخيه فقال له أبو عبيدة قال الله في حق أخوة يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وقال له ان اخاك في عليين مع الحور العين واما انت ساعة اسلمت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك امك فبكى لذلك وقال اشهد على المسلمين انى كلما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه في صحائف اخي يوحنا ولا بد ان اقاتل في سبيل الله وامحو ماسلف من الفعال فقال ابو عبيدة يا عبد الله دلنا على ابن نسير فقال يوقنا اعلم ايها الامير ان حصن اعزاز حصن مانع وهو قوى بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لى اسمه دارس بن جوفناس وهو ذو شدة وبأس وقوة ومراس جليد في الحرب قوى عند الطعن والضرب وان انتم تركتموه ومضيتم الى نحو انطاكية اغار على حلب وقنسرين واذاقهم شرا فقال ابو عبيدة يا عبد الله قد انطق الله لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة فقال يوقنا عندى من الراى ان اركب جوادى وتضم الى مائة فارس من المسلمين ولكن على زى الروم ولباسهم واتقدم بهم ثم يتقدم امير من العرب ومعه ألف فارس على خفاف الخيل وانا في المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كاننا هاربون منكم واوائل الخيل الالف في طلبنا فاذا اشرفنا على اعزاز نلقى الصوت فاذا نظر الينا صاحبها دارس لا بد ان ينزل الينا ويلقانا فاذا سألنى اخبرته أنى اسلمت زورا ثم هربت فخرجت العرب في طلبي فانه اذا سمع منى ذلك يصعد بنا الى حصنه وليكن مقدم الالف بالقرب منا في قرية هناك فاذا كان نصف الليلة سرنا في وسط الحصن ونضع السيف في اعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يأتينا امير العرب بالالف الذى معه فلما سمع ابو عبيدة ذلك استنار وجهه واستشار خالدا ومعاذا في ذلك فقالا يا امين الامة راى سديد ان لم يغدر هذا الرجل ويرجع الى دينه فقال ابو عبيدة ان ربك لبالمرصاد فقال يوقنا انا والله رجعت عن دينى الى دينكم بعد ما كنت اعظم من تلك الصور والصلبان وما بقى في قلبي سوى محبة الرحمن ومحمد سيد ولد عدنان والجهاد عن أفضل الاديان والله على ما اقول وكيل وحق الذى لا اله الا هو وحق محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الذى رأيته وعاينته في

المنام ان كنتم تظنون فى غير ذلك فلا تتركونى أفعل شيئا مما ذكرته لكم فقال ابو عبيدة
يا عبد الله ان انت نصحت للمسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا فى كل ما تحاوله فاتبع الصدق
تنج به فان دينا مبنى على الصدق واتبع سنن اخوانك المؤمنين واعلم ان المؤمن الصادق
قوته ما وجد ولباسه ما ستره ومسكنه ما وجد فلا يحزنك ما تركت من مالك وملكك وامريتك
فان الذى تركته فان والذى تطلبه باق لان نعمة الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى واعلم انك
فى يومك هذا عار من الشرك واعلم ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والمؤمن يتيقن أن
القبر مضجعه والخلوة مجالسه والاعتبار فكره والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه
والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه
والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته
والجنة داره واعلم يا يوقنا ان المسيح قال عجبت لمن ليله غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا
والموت يطلبه وبان قصرا والقبر مسكنه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم من أعطى أربعا
اعطى اربعا وتفسير ذلك فى كتاب الله تعالى من اعطى الذكر ذكره الله عزو جل لان الله
تعالى يقول اذكرونى اذكركم ومن أعطى الدعاء اعطى الاجابة لان الله تعالى يقول ادعونى
استجب لكم ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة لان الله يقول لئن شكرتم لأزيدنكم ومن اعطى
الاستغفار اعطى المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا (قال الواقدى رحمه
الله تعالى) حدثنى عامر بن قبيصة اليشكرى قال حدثنى يونس بن عبد الاعلى قرأة عليه قال
شهر بن حوشب عن جده عامر بن زيد قال كنت ممن شهد فتوح الشام وكنت فى فتوح قنسرين
وحلب مع ابى عبيدة وكنت كثيرا ما اصحب الروم الذين دخلوا فى ديننا فلم أرمنهم أشد اجتهادا
ولا اخلص اعتقادا ولا اعظم نية ولا احسن فى الجهاد حمية ولا ابلغ فى قتال الروم من يوقنا
ولقد نصح والله للمسلمين وجاهد فى الكافرين وارضى رب العالمين وقد فعل فى الروم ما لم
يقدر أحد عليه من ابناء جنسه من بعد ما قاسى المسلمون منه على قلعة حلب وما تركهم
ينامون ولا يقرون ليلا ولا نهارا وما قتل من المسلمين رضى الله تعالى عنهم اجمعين

(ذكر فتح اعزاز)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورضى عنه لما وعظ ابو عبيدة يوقنا وفرغ من وعظه
ضم اليه مائة فارس والبسهم زى الروم قال وكان كل عشرة من قبيلة قال وهم من طى وفهر
وخزاعة وشنيس ونمير والحضارمة وحمير وباهلة وتميم ومراد وجعل على كل عشرة نقيبا فاما
نقيب طى فخزعل بن عاصم وعلى فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدى وعلى شنيس
مسروق بن سنان وعلى نمير أسد بن حازم وعلى الحضارمة ماجد بن عميرة وعلى حمير ملكهم
ذا الكلاع الحميرى وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن وعلى مراد مالك بن
فياض فلما كملوا قال لهم أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله انى مرسلكم مع هذا الرجل الذى

وهب

وهب نفسه لله ورسوله وكل طائفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له واطيعوا مادام في مرضاة الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا معه فلما أبعدوا بفرسخ أرسل وراءهم ألف فارس وأمّر عليهم مالكا الاشتر النخعي وقال له سر في أثر القوم وانظر ما يكون من أمر هذا العبد الصالح فاذا قربت من هذا الحصن فاكمن الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك سر وفقك الله وأرشدك فسار مالك يقدم قومه فساروا بقية يومهم فلما جنّ عليهم الليل اكمنوا في قرية بالقرب من الحصن وهي خالية من السكان وأما ما كان من يوقنا فانه أخذ على غير طريق وسار طالبا اعزاز (قال الواقدي) حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري حدثني الشديد بن مازن عن جده خزعل بن عاصم قال كنت في خيل يوقنا لما وجهنا ابو عبيدة معه قال لما شارفنا اعزاز قال لنا يوقنا اعلموا يافتيان العرب انا قد شارفنا هذا العدو فاياكم أن يتكلم أحد منكم فان لغتكم لا تخفى على الروم وأنا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا رأيتموني وقد بطشت بصاحب الحصن فثوروا على اسم الله تعالى ثم سار وليس عنده خبر من تواتر القدر (قال الواقدي) حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري قال حدثني عبد الرحمن المازني وكان ممن يكتب فتوح الشام قال حدثني الاكوع بن عباد المازني قال كنت مع مالك الاشتر من جملة الالف حين سرنا في اثر يوقنا صاحب حلب حتى اذا كنا في تلك القرية ونحن ننتظر الصباح واذا نحن بجيش من ورائنا من غربي القرية فسار مالك الاشتر وقصد الحصن فغاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد أقبل به فلما صار بيننا قال يافتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقلنا وما الذي يقوله قال اسألوه فانه يخبركم فسألناه وقلنا من أي الناس انت قال من غسان من بني عم جبلة بن الايهم فقال له مالك ما اسمك قال اسمي طارق بن شيبان فقال له يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من اعدائنا قال والله لا أكتم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدوّكم قال مالك وكيف ذلك قال لان البارحة ورد علينا جاسوس من عندكم وهو منا اسمه عصمة بن عرفجة وكان يسمع ما تناجيتم به من الحيلة التي أرادها يوقنا على صاحب اعزاز فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه وأطلقه الى صاحب أعزاز فلما قرأها أرسلني الى صاحب الراوندات لوقا بن شاس يستنجده عليكم فمضيت اليه بالرسالة وهو قادم في خمسمائة فارس وكأنكم بهم وقد هجموا فخذوا حذركم (قال الواقدي) واما ما كان من أمر يوقنا فانه سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه أصحابه وهو خارج الحصن وكان اللعين يركب في ثلاثة آلاف فارس من الروم وألف من العرب المتنصرة غير من التجأ اليه من السواد فلما قدم عليه يوقنا لم يوهمه في شئ من أمره بل استقبله وترجل اليه وأقبل كأنه يقبل ركابه وكان في يده سكين امضى من القضاء فقطع بها حزام فرس يوقنا وجذبه اليه واذا به قد وقع على ام رأسه فاطبق الاربعة آلاف على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى اخذوهم قبضا بالكف

وشدوهم كتافا و بصق دارس فى وجه يوقنا وقال له لقد غضب عليك المسيح والصليب اذ
فارقت دينك ودخلت فى دين اعدائك و وحق المسيح لابد لى ان ابعثك الى الملك الرحيم
هرقل يصلبك على باب انطاكية بعدما اضرب رقاب هؤلاء العرب ثم انه اصعدهم الى
الحصن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن خيرة الله للمسلمين ان الجاسوس لم يكتب لصاحب
اعزاز فى مكاتبته بسير مالك الاشتر قال وان مالكا الاشتر لما سمع كلام المتنصر أيقظ أصحابه
و ربط المتنصر عنده وأقاموا ينتظرون صاحب الراوندات فلما راق الليل سمعوا حس حوافر
الخيل فلم يكلمهم مالك حتى انهم توسطوا الكمين وأطبقوا عليهم فكل اثنين ربطوا الواحد
من الروم وأخذوهم بالكف ولم ينفلت منهم أحد ولبسوا ثيابهم ورفعوا راياتهم وصلبهم كما كانت
ثم ان مالكا الاشتر قال للمتنصر هل لك أن ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم فيمحى عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتبقى لنا من جملة الاخوان فقال ان قلبى
ولبى عندكم فلا جزى الله من ألجأنا الى الدخول فى هذا الدين خيرا وأنا والله من الطائفة التى هى
أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم انه قال من بدل دينه
فاقتلوه فقال له مالك لقد صدقت فى قولك ولكن نسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله فقد
قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية
وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشى قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات فلما
سمع الغسانى ذلك فرح وقال أنا اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن
والله يا مالك قد طاب قلبى وانجبر كسرى أخذ الله بيدك وأنقذك الله يوم القيامة قال ففرح
مالك باسلامه وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ثم قال له يا عبد الله انى أريد أن تمحو ما سلف
منك بما تفعله فقال وما تريد أيها الامير قال تمضى الى صاحب اعزاز وتبشره بقدوم
صاحب الراوندات الى نصرته فقال أفعل ذلك ان شاء الله تعالى وان كنت فى شك من أمرى
فارسل معى من تثق به حتى يسمع ما أقول فان الليل قد تنصف والحرس شديد وباب الحصن
مقفول وأنا اخاطبهم من شفير الخندق قال فارسل معه مالك ابن عم له يقال له راشد بن مقيس
و وصاه أن يكون مستيقظا فسارا جميعا الى ان وصلا الى الحصن فوجدا الحرس شديدا والروم
تضرب بوقاتها والصوت عال فى وسط الحصن فقال طارق لابن عم مالك ما هذا وحق أبى
الا قتال وضرب وحرب فصنتنا فاذا هو كما قال طارق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان
السبب فى ذلك أن ابن صاحب اعزاز شاب شجاع يقال له لاون وكان أبوه دارس فى كل وقت
يرسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لما بينهم من القرابة وكان يقيم عنده اشهرا فى أعزما كان وانه
حضر عنده فى بعض المرات فى عيد الصليب فى البيعة التى هى اليوم الجامع وكان يدخل
فى كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهى بين جوارها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم
أمرها وعاد الى اعزاز وشكى حاله الى أمه وما كان لابيه ولد غيره وهى تحد له محبة عظيمة فقالت
له أنا أخاطب أباك فى ذلك والزمه أن يرسل يخطبها من أبيها ويزوجك بها ونبذل له من المال

مهما أراده وطلبه واشتغل قلب الشاب بحب الجارية وفي أثناء ذلك جاءت العرب الى بلادهم
واشتغلت خواطرهم فلما وقع يوقنا في يد أبيه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة
من المسلمين وحبسهم جميعا في دار ولده لاون ووصاه بحفظهم فقال لاون في نفسه وحق ديني
ان ابن عمنا يوقنا أعلم من أبي بالاديان ولولا انه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم بعد
ما قاتلهم أشد القتال وأيضا ان جيوش الملك ما ساوتهم وان الله قد نصرهم على ضعفهم وأنا قلبي
متعلق بابنته واني أرى من الرأي السديد أن أحل هؤلاء القوم من الوثاق وأرجع الى دينهم
بعد أن أتق من ابن عمي أن يزوجني ابنته فانه على الحق وأنال ما أطلب وبعدها أتزوج ابنته
فلما حدثته نفسه بذلك أقبل الى يوقنا وجلس بين يديه وقال له يا عم اني عولت على ان احل
وثاقك أنت وأصحابك وقد اخترتك على اهلي وابي وملكي وانت تعلم ان فراق الاهل صعب
واخترت الايمان على الكفر وقد علمت ان دين هؤلاء صحيح ولكن لي عليك شرط ان تزوجني
ابنتك ومهرها اعتقك انت وهؤلاء الناس الذين معك فقال يوقنا يابني مالك الى زواجها
من سبيل اذا كنت تدخل فيه لاجل غرض الدنيا ولكن دخولك فيه خالصا من قلبك
حتى ان الله يأجرك على ما تفعله وانا ان شاء الله تعالى أبلغك ما ترومه وتنال عز الدنيا والآخرة
فقال لاون انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ثم حل يوقنا من وثاقه واعطاه
سلاحه وحل المائة واعطاهم سلاحهم وقال لهم كونوا على اهبة وانا امضي الى ابي وهو ثمل
بالخمر فاقتله وثوروا على بركة الله تعالى في رضى الله ثم رضاك فعندها قال يوقنا للمائة
اشهدوا على اني زوجته ابنتي وجعلت صداقها عتقنا فقبل منه ومضى الى دار ابيه فوجد اباه
مقطوع الرأس واخوته عنده فقال لهم من فعل هذا بأبي قالوا نحن قال ولم ذلك قالوا اردنا
بذلك وجه الله وقد سمعناك وما تحدثت به مع يوقنا واصحابه فخفنا عليك ان لا يتم لك هذا الامر
ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ ابانا خبرك فيقتلك فبطشنا به قبلك قال ففرح لاون بذلك
ورجع الى يوقنا واصحابه واعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاون وتوسطوا الحصن ورفعوا اصواتهم
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف في الروم قال ووقع
الصائح في الحصن كما وصفنا وتبادرت الروم لقتال المسلمين وفي تلك الساعة قدم طارق ورفيقه
قال فسمعنا الاصوات فرجعنا الى مالك واعلمناه بما سمعناه فقال مالك لاصحابه اركضوا لاصحابكم
فركضوا اخيولهم وخلف منهم مائة يحفظون الاسرى فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد
قال للاون ان نجدة من المسلمين تأتينا فأتى لاون فرأى المسلمين قد اتوا ففتح لهم باب الحصن من
باب السر وادخلهم فلما حصل مالك الاشتر في حصن اعزاز نادى هو ومن معه الله أكبر فتح الله
ونصر وخذل من كفر فلما رأى اهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الغوث الغوث فرفعوا
عنهم السلاح واخذوهم اسارى وشكروا يوقنا ومن معه قال فحدث يوقنا مالكا الاشتر
حديث الغلام لاون فقال مالك اذا أراد الله أمرا هيأ اسبابه (قال الواقدي رحمه الله تعالى)
حدثني قيس عن عقبة عن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير عن ابيه قال سألت

ابالبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام كيف كان فتوح اعزاز وقتل دارس فان نفسى تأبى هذا واريد صحته فقال لما وضعت الحرب اوزارها وجمع مالك الاشتر الاسارى والمال والثياب والذهب والفضة والآنية وامر باخراج ذلك من الحصن ووكل به قيس بن سعد وكان ممن حضر واصابه سهم فعوره وكذلك ابولبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق احد فى اعزاز ثم قام مالك فمشى فى الحصن وتفقد دارس فوجده مقتولا فقال من قتل هذا اللعين فقال لاون قتله اخى لوقا وهو اكبر منى سنا فأمر مالك باحضاره وقال له لم قتلته وهو ابوك وما سمعنا ولدا اقتل اباه من الروم سواك فقال حملنى على ذلك محبة دينكم لان فى بيعة هذا الحصن قس من المعمرين وكنا نقرأ عليه الانجيل ويعلمنا بعلم الروم وانى كنت فى بعض الايام فى البيعة أنا وهو وليس عندنا احد وكان اسمه ابو المنذر فقلت له يا أبا المنذر ألا ترى الى بلاد الشام كيف قد استولت عليها العرب وملكوا اكثرها وهزموا جيوش الملك وما كنا نظن أن العرب تقدر على ذلك لانه ليس فى الامم اضعف منهم وان الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك فى كتب الروم او ملاحمهم او ملاحم اليونانية فقال يا بنى نعم انى قرأت ذلك ولقد اخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة وغيرهم واخبرهم ان العرب لا بد ان يملكوا ما تحت سريرى هذا ولقد بلغنا عن نبى القوم انه قال زويت لى الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها فقلت له يا ابانا فما تقول فى نبى القوم قال لى يا بنى ان فى كتبنا ان الله تعالى يبعث نبيا بالحجاز وقد بشر به عيسى المسيح ابن مريم ولا ندرى اهو هذا ام لا فعلمت انه كتم عنى امره مخافة ان اذيع سره فكتمت ما قال لى البارحة فلما رايت يوقنا واصحابه اسرى قلت هذا يوقنا قد قتل اخاه يوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم انه رجع الى دينهم وما ذاك الا انه قد علم الحق معهم فقلت انا لنفسى قم انت واقتل اباك وخلص يوقنا واصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لا شك فيه فلما نام ابى بعد ما شرب الخمر وسكر قتلته وصرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت اخى لاون قد سبقنى الى ذلك فقال له مالك يا غلام لم فعلت ذلك قال محبة فى دينكم وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال له مالك قبلك الله ووفقك ثم خرج مالك من الحصن وولاه لسعيد بن عمرو الغنوى وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا وقدموا اليه صاحب الراوندات ومن معه فأعرض عليهم الاسلام فأبوا فضرب رقابهم (قال الواقدى) حدثنى عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عبد الله بن قرط الازدى ان فتح اعزاز كان هكذا والذى ذكر ان بنات دارس وزوجته قتلوه لم يصح والله اعلم ثم ان مالكا الاشتر أراد أن يرحل فعرض عليه سبى اعزاز فكان الف رجل من الشباب ومائتين وخمسة واربعين رجلا من الشيوخ والرهبان وألفى امرأة من النساء والبنات ومائة وثمانين عجوزا ونظر الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقت الفراسة فهذا القس الذى اخبرنى به لوقا واخوه لاون ودعا

بهما

بهما وقال هذا هو القس الذى أخبرنى به لوقا فقال نعم فقال له يا شيخ اذا كنت من علماء أهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ولكن خفت من الروم ان يقتلونى لان الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف انا فقال له مالك افتدخل فى ديننا فقال لست ادخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها فى الانجيل فقال له مالك هات ما عندك فلما أراد القس ان يتكلم وقع الصائح فى الحصن فارتاع الناس ووثب مالك لينظر ما خبر الناس وظن أن الروم قد غدرت بهم واذا بأناس من المسلمين الذين بالحصن يقولون أيها الامير خذوا حذركم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولا ندرى ماهى فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ماذاك واذا قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشدودون فى الحبال ووراءهم ألف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس رضى الله عنه وكان قد أرسله أبو عبيدة حتى غازى منبج والباب وبزاعة فوقع التكبير فى الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالكا عن قصته فحدثه ان الله قد فتح اعزاز وأذل من فيها وحدثه بما كان من حديث يوقنا وانى مامنعنى من الرحيل الا هذا القس وسؤاله فقال له الفضل أيها القس قل ما أنت قائل فقال القس اخبرنى عن أى شئ خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض فقال الفضل أول ما خلق الله اللوح والقلم ويقال العرش والكرسى ويقال الوقت والزمان ويقال العدد والحساب ويقال أول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها فسارت ماء ثم خلق العرش ياقوتة وكان عرشه على الماء وقيل خلق اولا العقل لانه أراد أن ينتفع به الخلق وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء ثم خلق الارض وقيل أول ما خلق الله نور وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار فانكرت الظلمة واقر النور فخلق منه الجنة لرضائه عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها وخلق أرواح السعداء من النور وأرواح الاشقياء من الظلمة فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره ويقال أول ما خلق نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت ألفا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من ألف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم يميتهم بقبضة ويحييهم بنفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل بن العباس قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هذا هو العلم الذى استأثر به أنبياء الله فلما نظر أهل اعزاز الى قسهم وقد اسلم اسلموا عن آخرهم الا قليلا منهم والله أعلم

تم هذا الجزء الاول من فتوح الشام للعلامة الواقدى ويليه الجزء الثانى

بهما وقال هذا هو القس الذى أخبرنى به لوقا فقال نعم فقال له ياشيخ اذا كنت من علماء أهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ولكن خفت من الروم ان يقتلونى لان الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف انا فقال له مالك افتدخل فى ديننا فقال لست ادخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها فى الانجيل فقال له مالك هات ما عندك فلما أراد القس ان يتكلم وقع الصائح فى الحصن فارتاع الناس ووثب مالك لينظر ما خبر الناس وظن أن الروم قد غدرت بهم واذا بأناس من المسلمين الذين بالحصن يقولون أيها الامير خذوا حذركم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولا ندرى ماهى فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ماذاك واذا قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشدودون فى الحبال وورائهم ألف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس رضى الله عنه وكان قد أرسله أبو عبيدة حتى غازى منبج والباب وبزاعة فوقع التكبير فى الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالكا عن قصته فحدثه ان الله قد فتح اعزاز وأذل من فيها وحدثه بما كان من حديث يوقنا وانى ما منعنى من الرحيل الا هذا القس وسؤاله فقال له الفضل أيها القس قل ما أنت قائل فقال القس اخبرنى عن أى شئ خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض فقال الفضل أوّل ما خلق الله اللوح والقلم ويقال العرش والكرسى ويقال الوقت والزمان ويقال العدد والحساب ويقال أول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها فسارت ماء ثم خلق العرش بأقوته وكان عرشه على الماء وقيل خلق أولا العقل لانه أراد أن ينتفع به الخلق وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء ثم خلق الارض وقيل أول ما خلق الله نور وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار فانكرت الظلمة واقر النور فخلق منه الجنة لرضائه عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها وخلق أرواح السعداء من النور وأرواح الاشقياء من الظلمة فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره ويقال أول ما خلق نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت ألفا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من ألف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم يميتهم بقبضة ويحييهم بنفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل بن العباس قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هذا هو العلم الذى استأثر به أنبياء الله فلما نظر أهل اعزاز الى قسهم وقد اسلم اسلموا عن آخرهم الا قليلا منهم والله أعلم

تم هذا الجزء الاول من فتوح الشام للعلامة الواقدى ويليه الجزء الثانى